

مُلُوكُ الْعَرَبِ

أو

رجلته في البلاد العربية تشمل على مقدمة وثمانية أقسام

مزية بالخرائط والرسوم

تأليف

أمين السجاني

الجزء الثاني

مسلطنة نجد وبلقاتها

الكويت - الحنظلون - العراق

الطبعة الثانية

وقد صححها المؤلف وزاد في حواشيها

الطبع في المطبعة العلمية ليوسف صادم

بيروت سنة ١٩٢٩

بيان ما يحويها الجزء الاول

— من هذا الكتاب —

القسم الاول	الملك حسين بن علي
القسم الثاني	الامام يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله
القسم الثالث	السيد الادريسي
القسم الرابع	عدن والنواحي التسع المحمية
	مزين بالخارطات والرسوم

صفحاته ٣٩٢

✽ اقوال وآراء في الريحاني ✽

الفن الريحاني لغة القرآن اثباتاً يسمح له بالتحريد فيجاري أكبر الكتاب اسلوباً وسلامة منطق

المحامي محمد لطفي جمه

لو كان لي مجثم في حديقة تزهر فيها زهور دمشق ما كان اسعدني ان اقضي
سويقات العصر والغروب متصفحاً اللزوميات ترجمة الريحاني
كليتون سكولارد

مُلُوكُ الْعَرَبِ

أو

رجلة في بلاد العربية تشمل على مقدمة وثمانية أقسام

مزينة باقارطات والرسوم

تأليف

أمين السجاني

الجزء الثاني

مطبعة شد وحققاتها
الكويت - الهندون - العراق

الطبعة الثانية

وقد صححها المؤلف وراى حواتها

طبع في المطبعة المصنعة ليوسف صادم
بيروت سنة ١٩٧٩

مفرد الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

القسم السادس

آل صباح

شيوخ الكويت

الكويت

حدودها : شرقاً خليج العجم . شمالاً وغرباً وجنوباً خط يبتدىء عند ملتقى الخطين الثلاثين من العرض الشمالي والثامن والاربعين من الطول الشرقي فيمتد في شكل نصف دائرة ويمر بالشق غرباً والشقة يمتد جنوباً وبين جبلي بركان والقرين الى رأس القليعة على الخليج . اما منطقة الحياض بين الكويت ونجد فهي من رأس القليعة الى خبرة الدويش ومنها في خط يمتد جنوباً بشرق الى قرب الخط الثامن والاربعين من الطول الشرقي ومن هذه النقطة الى عين العبد فرأس المشاب على الخليج .

ساحتها : اربعة الاف ميل مربع .

عدد سكانها : نحو مئة وعشرين الف نفس منهم ثمانون الف في مدينة الكويت . والباقي من العشائر خارجها .

اهم بلدانها : الجهرة وجزيرة فيلكه والدمنة والغنطاس وابو حليفة والشعيبة . وفي برها اما كن باسماء معروفة كالوبرة عند الحدود الشمالية والصبية حية في الجنوب وخبرة وام الرؤوس وغيرها . وهذه كلها اما كن مياه يرتادها عرب العشائر .

مذاهبها : اهمها السنة ثم الشيعة ، وقايل من الفرس والمسيحيين واليهود .

الفصل الاول

في الكويت

القافلة في البادية — أهمية الانسان في القفار — وهم لزيد — دهشة الذئب — العود الى البصرة — الصالحية جنة — السماط والسف — الكمال غاية الحياة القصوى — فشلت في الفحص — عدت من نجد استاذاً — سور الكويت — لمقابلة الملكية في القلاة — سمو الشيخ احمد الصباح — القصر والفتنة فيه — مفاجآت الترف — البقوليات — بندورة الكويت — الاجانة لدى السماط والشهانة — كرسي فيه الكفر بالله — جعيم يتبع النعم — الهوا الاصفر — طيب من يروت — خبر الشيخ خزعل والعاقبة .

كنت قد عاهدت « خويامي » ان ادخل واياهم الى الكويت راكباً الدلول ، ولكننا قبل ان نصل الى المدينة رأينا سيارة قادمة منها فوقفنا . اذ دنت منا ، فقال هدلول يخاطبني : من الشيخ احمد . نوح ، نوح .

أنحت آسفاً لاني ادركت في الحال ان لا بد من الركوب في السيارة فأخاف بوعدي ، وأحرم لذة كنت أطل النفس بها . ليست القافلة في البادية غير قافلة مها كان عددها ، وليس الراكب فيها اياً كان غير واحد من المسافرين . لا أهمية للاسان والحيوان في القفار . او ان الاثني واحد في فسح مهالكها .

وكن القافلة ساعة تدنو من العمران ، من الحضارة ، تتغير في نفسيها فيعظم شأنها ، فتدخل بوابة السور وقد اختلط في قلبها الكبر والسرور ، وتسير في اسواق المدينة كأنها موكب من مواكب النصر والفخار ، وكأن كل واحد من الراكب امير على عرشه العالي او قائد عائد من ساحة الوغى . هو وهم في عجب ولا مراء . ولكنه وهم جميل كان يستوقف العقل مني كل مرة نصل الى مدينة كما استوقف العين صورة سميلة . بل كان يلذ لي ولاغروا اكثر من سواي لاني حديث العهد به .

لذلك اسفت عند ما انخت ذلولي خارج الكويت . ولكني دهشت ومرتت «
ففسيت ما كنت اعلى به النفس ، اذ رأيت صديقي القديم يوسف السالم جلبي آل
بدر ومعه الشيخ عبد الله خليفه آل صباح ، وقد جاء من قبل سمو الشيخ احمد
يجملان الي كتاب السلام والترحيب .

كان آخر عهدي بيوسف جلبي في البصرة عند صديقنا الاديب الفاضل
الشيخ محمد امين عالي باش اعيان العباسي يوم أدب لنا مأدبة فاخرة في بيته
« الصالحية » على نهر الصالحية هناك . فقلت متصرفاً بالبيت المأثور :
والصالحية جنة والصالحون اليها أمثوا^(١)

كنا يومئذ عشرين وثيق من الصالحين - الصالحين للنزال والطعان .
وكان يوسف قد شحذ سلاحه جالساً الى جنبي يسف الارز سفاً عجيباً . وانا
الطالب في هذه الطريقة اعجب به واتمنى ان يكون لي جزء ما له من المهارة
والاقتدار . سألته عما اذا كنت استحق الشهادة في السف البسيط وهو ان
تأخذ شيئاً من الارز فتعجنه بين اصابعك وتدفعه بالباهم الى فك . فاستعرض
سني ثم قال : لا يزال بنقصك شيء من العلم والاثقان . عينك . قال هذا ومد
يده الى الارز فادارها فيه ، كأنه يحدد دائرة هي ملكه ، وقبض على كتلة منه
كبيرة قد ملكها ، ثم رفعها وجعلها ، وهو يعصر منها السم ، اكرة متأسكة
شديدة ، فقفذ بها اذ ذلك الى فمه دون ان يسقط منها او يجني بين انامله بذرة
واحدة . فقلت : سبحان الله الذي جعل الكمال غاية الحياة القصوى . فلا شيء
اجمل في الحياة من اتقان في صناعة او كمال في فن .

قلت ليوسف جلبي ، بعد ان شاهدت منه هذه البراعة ، الي مسافر الي نجد
فاتمرون هناك ، وسأعود ان شاء الله اليه ليعطيني الشهادة . وما كان في الحسبان
ان ستجمعنا التقادير ثانية ، فتصير النكثة بعد اربعة اشهر حقيقة مضحكة .
قال يوسف ونحن سائرون في السيارة نعيد تلك الذكرى : متفحصك اليوم في

(١) استغفرك يا سيدي الاستاذ اني اعلم ان أمّ تعمدي بداتها ولكن النكثة الشرعية
تعتد « اليها » .

القصر ونعطيك الشهادة باذن الله .

اول ما يسترعي النظر في الكويت اذ يصل المسافر من البر اليها ذلك السور الكبير الذي بناه اهلها بعد وقعة الجفرة ليصدوا هجمات الاخوات . وهو سور يحيط بالمدينة من جهات البر كلها ، طوله خمسة اميال وعلوه نحو اربعة امتار . وممك في بعض الاماكن مترٌ ويزيد ، فيه المعقل والكوى للرمي والدفاع ، وله بوابات ثلاث يقيم الحرس عندها ، وثقل في الليل . لم تنفق الحكومة روبية واحدة على بناء هذا السور ، فقد تبرع اهل الكويت كل بما يستطيع من عمل او مال واتموا البناء في مدة شهرين . انه لمن الاعمال المدنية العامة المدهشة خصوصاً في البلاد العربية .

دخلنا المدينة في الساعة الاولى من ذلك النهار ، فوقفت السيارة في الساحة الكبرى ، فترجلنا ومشينا تجاه صف من الناس جالسين في الفلاة على مجالس من الحجارة والطين الى حائط بيت صغير . فوقف اذ وصلنا من كان جالساً في الوسط ووقف على اثره الجميع . هو سمو الشيخ احمد الجابر آل صباح حاكم الكويت . خرج من قصره بحاشيته وبعض امرته يستقبلنا في المكان الذي يجلس فيه للناس . ليس احب الى السائح وليس اقرب الى الديمقراطية الحققة والمساواة من هذه المقابلات الملكية في الفلاة .

الشيخ احمد في العقد الرابع من العمر ، ربع القامة ، دقيق الملامح ، حسن الخلق والبذة ، لطيف الاشارة والحديث . وهو اقرب في هيأته الى الشكل الآري منه الى السامي . فلو كان في غير النعل والثياب العربية لظننته هندياً من البنجاب او اوروبياً من بلاد الاسيان .

هنا في بوصولي واعرب عن دهشته لسفري في البلاد العربية هذه السفرة الطويلة . ثم قال : العرب انفسهم يكبرون هذه الطريق ويخافونها . ومنهم من لا يقوى على تحمل مشقاتها . وكيف تحملتم ركب الدلول كل هذه الايام ؟ نهنيكم يا استاذ ونرحب بكم . ولم يشأ ان يطيل الجلسة الاولى رغبة في راحتي . فبعد ان تناولنا القهوة أمر من لاقاني ان يرافقوني الى القصر .

وكانت هناك الفتنة الكبرى . لا اريد بالفتنة ما فيه نسوة او دين او سياسة ، وقد كنت بعيداً عنها كلها . ولكني فُتنت . اجل ، فُتنت بمفاجآت الترف والرفاه ، انا الذي اُفتمت عشرين سنة في مدينة تزدحم وتبذل في نُزُلها نوافل العيش ونفائس الصناعة والفنون ، تلك التي كانت تنحصر في الماضي خصوصاً ياوروبا في قصور الاشراف والاعيان ، وهي اليوم هناك لكل من يستطيع من الناس بَدَل بعض المال .

تالله ما تفعل البيداء وخشونة العيش . دخلت القصر في الكويت كآني يدوي لم يرَ في حياته قصراً جميلاً ، تزينه الاعمدة والقناطر ، ولم يجلس مرة في صاعة مفروشة الفاخر من الرباش . وعندما جاء الخدم الواحد بعد الآخر يحملون الاطباق ، فوضعوها على السجادة ، وجلست انا ورفيقي اليها فُتنت بما احاط صحفة الارز من الالوان المطبوخة بالبقولات .

البقولات ! بعد الارز والرمل واللحم والتراب التي كان يطبخها لنا مسفر ومعاوناته الرياح ، انها من النعم التي يفترق فيها الابتهاج والامراف . فحرت الالوان فخر العاشق المشتاق ، واخصت بالامراف بندورة الكويت التي يشحنون منها الى البصرة ، وهي صغيرة مدملكة ، يطبخونها بقشرها دون ان تمسها السكين . ثم سمك الكويت المشهور الذي يشبه سمك المشط في طهيرة ، ولكنه ارق وادمم . ثم اصناف الحلوى وما اشد حلوها واكثر سمنها وامرارها . وعند ما نهضنا نغسل ايدينا وقف امامي يوسف السالم آل بدر ، وهو كما اشرت من رجال السماط المشهورين في البصرة والكويت ، فصالحني وقال : اهنتك بما احرزت . فقد صرت من ليس في صف الارز فقط بل في صف السماط .

وبعد ان ودعني في تلك الليلة خرجت الى الايوان ذات العمدة ، المشرف على الخليج ، ففتنت بمشهد البحر والسفن المسريلة بضوء القمر ، وظلمت حتى نصف الليل جالساً في كرسي هندي ^(١) ، وانا في ثوب النوم ، جلسة اميركية .

(١) اذا كنت تبغي كرسيّاً استريح فيه ، وتنام فيه ، وتسيء الادب فيه ، فليس اصلح من ذلك الكرسي الهندي وقد جعل نظيره درجات تنبسطه قدر ما تشاء ، ولجانبيه عضادتان ترفع عليهما سابقك ، فتسيء انك انساناً وتكفر بالله .

— وما اخلق ذلك الكرسي بها — رافعاً للقمر رجلي ، مطلقاً العنان للذيذ الاحلام . فما احسست بهواء البحر البارد الرطب الا بعد ساعة ، فدخلت وانا ارتعش الى غرفة النوم .

نمت قليلاً واستنققت اثن من شدة الالم . عاد السحاب في بطني ناراً ، واستحال النعيم جحيماً . فكنت منذ تلك الساعة حتى الفجر احس بشيء يتعقد في ثم ينحل ، ثم ينقطع ، ثم يندوب ، فاذوب معه واكاد من شدة الوجع اموت . بل عاينت الموت في تلك الهیضة التي تندر في غير الوباء . الله ! يارب المسرفين والمقتربين ، يا ارحم الراحمين ، افي الهواء الاصفر نهاية هذه الرحلة ونهايتي . او انها بندورة الكويت تفعل ما لا تفعله الادوية والاملاح .

جاءني في الصباح يوسف جلبي فحزنت لحالي وبادر الى الطبيب . وجاء بعد ساعة الطبيب فاثبت الجرم على البندورة وقال : ان لها شريكة هي الحمى . — ولللاثين عدوة هاكها . غير ان الطبيب نفسه نفعتي اكثر من عقاقيره . فقد استأنست به ايما استئناس لانه من سوربة واسمه شبيه باسمي . هو الدكتور ويحان من بيروت . وما الذي قذف به الى الكويت ؟ اخبرني انه في معية السردار اقدس الشيخ خزعل خات الذي جاء يقضي بعض الشتاء في قصره خارج المدينة . فكان اخبر هذا كالوردة الحمراء في ضمة من الريحان . لاني كنت عازماً على زيارة الشيخ خزعل في المحمدرة فسررت جداً بقربه مني ، وعادت في ذلك النهار العافية مثلاً وآت ، وهي تحمل باحدى يديها ادوات العمل وبالاخرى مصباح الامال .

الفصل الثاني

آل صباح^(١)

اقسام العرب — ربيعة وعنيزة آل صباح — تاريخ الكويت — اول من حكمها من آل صباح سنة ١١٩٠ هـ — اولاد صباح — حكم عبدالله — حكم محمد — شقاق في بيت آل سعود — تدخل الدولة — فتح الحسا — مساعدة آل صباح للدولة — الشيخ مبارك — الفرق بينه وبين اخويه — الخلاف — الفلوجة — ذبحة محمد وجراح — التجاء اولاد المقتولين الى والي البصرة — التجاء مبارك الى والي بغداد — تدخل الحكومة البريطانية — قيام يوسف آل ابراهيم على مبارك — هجومه على الكويت — سفره الى الحجاز — ما عرضته الدولة على مبارك — رفضه والتجاءه الى الانكليز — مدرعة من ابي شهر — انتصار مبارك — يوسف آل ابراهيم في جبل شمر — الحرب بين مبارك وبين ابن الرشيد — وفاة الطرفية — ظهور ابن سعود — وفاة ابن الرشيد وابن آل ابراهيم — الجو ينجلي — مبارك الحاكم باسمه — اتفاقه مع الانكليز — حكم الشيخ جابر — حكم الشيخ سالم — اخلاقه — سوء سياسته — وفاة الجهرة — طريقة انتخاب الحاكم.

ليس من يجهل ان العرب كلها تقسم الى قسمين ، قحطان اي العرب العرباء وعدنان اي العرب المتعربة ، وان عدنان تقسم الى فرعين مضر وربيعة . اما مضر فسكنت الحجاز وكانت لها الرئاسة في مكة ، واما ربيعة فكانت منازلها في نجد اي بين اليمامة والبحرين والعراق .

وهي اي ربيعة تقسم الى عمارنين ، بني كلب وبني اسد ، ويتفرع بنو اسد الى فرعين او بطنين هما جديلة وعنزي . ومن عنزي يتحدر بكر بن وائل الذي تنتسب اليه البيوت الثلاثة الحاكمة اليوم في نجد والبحرين والكويت ، اي آل سعود وآل خليفه وآل صباح .

كانت عنزي تقطن اولاً عين التمر في بر العراق على مسيرة ثلاثة ايام من

(١) الشيخ يوسف آل عيسى والسيد صبد الرحمن النقيب من الكويت الفضل على بعض المعلومات في هذا الفصل والفصل الذي يليه .

الانبار . ثم انتقلت منها الى نواحي خيبر فاقامت هناك ومعها احياء من طيء ، فصارت تنتجع وتشتي معهم في نجد . انها من اكبر قبائل العرب ، وهي تنقسم الى اثناذ كثيرة منها جميلة ، وتنقسم جميلة الى فروع كثيرة منها الشرحلان ، وتنقسم الشرحلان الى عشائر اكبرها واشهرها آل صباح .

اما الكويت فتاريخها القديم غامض مجهول . وقد لا يكون لها ما يهتم منه قبل ان ححر اليها آل صباح قادمين من خيبر منذ نحو مئتين واربعين سنة . والكويت - غير كوت والكوت في اصطلاح اهل تلك النواحي هو بيت محوط بيوت صغيرة - كانت هذه الناحية يومئذ لبني خالد يجمعون فيها زادهم اذا رجعوا في الحجرة ، فجاء آل صباح ، كما هو منقول ، وسكنوها باذن منهم .

ثم انتخب صباح حاكماً على العشائر فيها وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة ، لآب المرجمع هو انه توفي سنة ١١٩٠ بخلفه ابنه عبدالله الذي توفي سنة ١٢٢٩ هـ .

كان الشيخ عبدالله الصباح اول من حكموا الكويت من هذا البيت . حكمها نحو اربعين سنة ، فانتست في عهده وتضاعف ذكرها في الخليج . ثم خلفه ابنه جابر عام ١٢٢٩ هـ وخلف جابراً ابنه صباح عام ١٢٧٦ هـ .

اما نوع الحكم فقد كان قبل صباح شوروبياً يشترك فيه رؤساء العشائر ، فلا يقدم الحاكم على امر مهم قبل ان يستشيرهم وهم يستشيرون الجماعات . ولكن هذه الشورى بدأت تضعف في عهد صباح الثاني اي ابن جابر حتى نقلص ظلها تماماً في ايام ابنه مبارك الذي حكم بامرهم ، وخصوصاً في العقد الثاني من حكمه .

من اولاد صباح الثاني ثلاثة تولوا الحكم بعده . الاول عبدالله الثاني الذي حكم ستاً وعشرين سنة ، ثم محمد الذي حكم اربع سنوات ، ثم مبارك الذي استمر حكمه احدى وعشرين سنة . ولكن مباركاً ، وهو على عسفه وشذوذه حاكم الكويت الاكبر ، حاز قبل ان تولى الحكم شهرة في القيادة تقدمت شهرته السياسية .

ففي سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م حدث شقاق بين ابني فيصل آل سعود

عمرى السلطان عبد العزيز ففاوض احدهما الدولة العثمانية بواسطة واليها في بغداد يومئذ مدحت باشا ، فاغتمت مدحت الفرصة وارسل جيشا الى القطيف ففتحها ، ثم الى الاحساء فحاصرها واستولى بعدئذ عليها .

وقد كان لمشايع الكويت الفضل الاكبر في فتح الاحساء . فقاد الشيخ مبارك الذي كان يومئذ في ريعان الشباب جيشا كبيرا من العشائر في طريق البر ، ورافق الشيخ عبدالله القائد العثماني بجرأ . ومنذ ذلك الحين وقبله الى حين الفاجعة التي اولت مباركا الحكم كانت العلاقات بين حكام الكويت والدولة العثمانية شبيهة بغيرها مع العشائر الموالية لها . فقبلت بان يكون لها سيادة اسمية في الكويت وان يعترف آل صباح بهذه السيادة .

بعد وفاة الشيخ عبد الله تولى الحكم اخوه محمد وكان مبارك واخوه جراح ظامعين به . على ان جراحا والى محمدا وكان فعلا لا رسميا شريكه في الحكم . فاشتدت المنافسة بين مبارك واخويه وكان لها من غير السياسة اسباب اخرى . اما مبارك فقد كان ولا شك ابعد الاخوين طموحا ، واشدهما بأسا ، واحدهما طبعاً ، وامضاهما عزمًا . بيد انه كان متهورا متسرعا في اعماله . وكان جراح صاحب النفوذ الاكبر في الحكم يجب المال بقدر ما يجب مبارك المجد والشهرة . بل كان الاول بجيلا والثاني مبذرا . الا ان النفوذ الاكبر في العشائر كان لمبارك ، فنزع الى الغزوات ، ففدا في حاجة الى المال دائمة . وكان الاخوان محمد وجراح ينعيان عليه دائما آراءه واعماله ، ويبثان معاملته ، ويمسكان عنه احيانا ما تقتضيه نفقاته الخصرية . فصبر مبارك بضع سنين على هذه المعاملة واني ان يصبر على الدوام . وكان يرى فوق ذلك ان اخويه هما عثرة في سبيل المجد الذي ينبغي للكويت وآل صباح . فعندما فرغت كأس الصبر ، وامتلأت كأس التغيظ والنقمة ، عزم على ان يريح نفسه وآل صباح والكويت من ذينك الاخوين ، فنهض ذات ليلة للامر ونهض معه ابنته ، وكل منها يحمل بندقيته ، فقتل مبارك اخاه محمدا وقتل ابن مبارك عمه جراحا . وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٣ للهجرة .

ضجت الكويت لهذه الفاجعة ثم اذعنت للشيخ مبارك صاحب الحكم فيها .
 اذعنت الكويت الا ابناء القتيلين واشياهم ورجلاً آخر سيجي ذكره . فره
 ابناء جراح ومحمد هارين الى البصرة فشكوا امرهم الي واليها الفريق حمدي باشا .
 وكان يومئذ رجب باشا والي بغداد فسبق مبارك ابناء اخويه الي ذاك المقام
 الاعلى ، فتمكن بواسطة بعض رجاله من استمالته اليه ، فكتب رجب الي
 الاستانة يقول ان الحادث هو من الحوادث العادية المألوفة بين البدو ، وخير
 للدولة ان لا تتدخل في الامر لان ذلك يؤدي الي تدخل الانكليز .

ولكن الانكليز لم ينتظروا احداً ليتقدمهم في عمل هم دائماً متأهبون له .
 فكان ابنا جراح ومحمد قد لجأوا ايضاً الي قنصل انكلترة في البصرة
 فنصرهم علي مبارك ، وسعى في سبيلهم ومبيل السياسة الانكليزية في الخليج
 سعياً عجيبياً اثر ذاك الأمر النهائي الذي اصدرته الدولة العلية . فخير ابن صباح
 الكبير بواحد من ثلاثة أمور : اما ان يحضر الي الاستانة فيعينه المابين عضواً في
 مجلس شوري الدولة ، واما ان يسافر الي البلد الذي يريد فتخصه الحكومة
 بمعاش دائم ، واما القوة تستخدمها عليه اذا رفض ان يعمل باحد الامرين . مما
 لا ريب فيه ان الدولة العلية اصدرت هذا الحكم ارضاءً لدولة بريطانيا العظمى .
 ومما هو في دائرة اليقين ايضاً ان الشيخ مبارك كان قد بدأ يفاوض رئيس الخليج
 الوكيل السياسي لبريطانية العظمى في ابي شهر ، فسمع هذا قصته وشكواه
 متجاهلاً ما كان من زميله في البصرة .

انها لرواية محزنة مضحكة معاً . لجأ اولاد القتيلين اولاً الي حمدي باشا
 والي البصرة ، فلجأ القاتل الي رجب باشا والي بغداد . ثم لجأ طالبو الثأر الي
 قنصل انكلترة في البصرة ، فلجأ مبارك الي وكيلها السياسي علي شاطي . العجم .
 وكانت دولة بريطانيا العظمى تمثل بواسطة ممثلها دورين معاً ، دور المدعي
 العمومي ودور المحامي عن المدعي عليه .

ضغطت الدولة العثمانية علي مبارك فطلب الحماية الانكليزية دفاعاً عن
 نفسه ، فلبت بريطانيا العظمى طلبه حباً وكرامة . لا تدع يسراك تعلم بما تفعله .

بيناك . عند وما وصل المركب الحربي العثماني الى الكويت يقبل تقيب البصرة
وبعض موظفي الدولة وهم يحملون الى الشيخ مبارك امرها العالي ويطغون
تنفيذه ، جاء مركب حربي اخر يتخذ الشيخ مبارك ويطرد المركب العثماني
من مياه الكويت .

اقف عند هذا الحد في المأساة لاعود الى اولها . قلت ان رجلاً اخر غير
ابناء القتيلين خرج على الشيخ مبارك وقام بنصر اولادهما . هذا الرجل هو
الشيخ يوسف آل ابراهيم من كبار تجار الكويت واغنام . قد كان يوسف بنفسه
ثورة ، ودولة ، وحرماً على مبارك ، استمرت عشر سنين . فوقف ثروته ،
ووقته ، وحياته للاخذ بالثأر . اجل ، قد كانت هو الباذل للمال ، وهو القائد
للرجال ، وهو رسول قضيته الى الدولة العلية والى امراء العرب .

اول ما باشره حرباً هو انه جهز اسطولاً من السفن المشحونة بالرجال
المسلحين وتولى قيادته في الهجوم بنته على الكويت . ولكن ليلة دنا من
الاسكلة رآه احد النوتيين ، فحمل الخبر الى الشيخ مبارك ، فاستعد لملاقاته
وكانت المدينة معه . فلما علم يوسف بان المدينة مستعدة كذلك لمحاربه فقل راجعاً ،
ولجأ بعد ذلك الى الخدعة .

جاء ببعض قاطعي الطرق واوعز اليهم ان يأخذوا سفينة من اسطوله
ويدخلوا بهسا الكويت ، فيظنهم الشيخ مبارك من اعداء يوسف آل ابراهيم ،
فيقرهم منه فيقتلوه . تمت المؤامرة على هذا الوجه ودخل المتآمرون الكويت
بسفينة من سفن يوسف آل ابراهيم يدعون انهم غنموها بالمحاربة ، فانطلقت الحيلة
على الشيخ مبارك ، فقرب الرجال منه وجعلهم من حرمه الخاص . ولصكن
واحد منهم تاب الى ربه قبل الاغتيال وراح يطلع الشيخ مبارك على الدميسة .
فامر الشيخ بالقبض على الرجال هؤلاء وبنفيهم من البلاد .

لجأ بعد ذلك يوسف آل ابراهيم الى الدولة العلية فسافر الى الحجاز يستعين
بشريف مكة ، وكان في مساعيه السياسية عوناً لسياسة انكثرة في المسئلة ، او
بالحري كانت سياسة انكثرة عوناً له . فصدر ذلك الامر الذي حمل الشيخ

مبارك على ان يطلب الحماية الانكليزية ، فأسقط ابن آل ابراهيم في يده للمرة الثالثة .
ولكن الفشل وان تعدد لم يكن ليثنيه عن قصده ومرامه . فقد سعى لدى
امير الجبل الامير عبد العزيز بن الرشيد فاغراه بعهده في الكويت ، فشن ابن
الرشيد الغارة على عشائرها ، فبادر الشيخ مبارك الى الدفاع بما عنده من الجيوش ،
وكانت هذه فاتحة الخير لآل سعود الذين كانوا مقبحين يومئذ في الكويت ،
فطوعوا في حرب اعدائهم بيت الرشيد . جهز الشيخ مبارك جيشاً اولاً لعمد
العزيز سلطان نجد الحالي ، ثم جيشاً اخر برئاسة اخيه حمود بن صباح ، ثم خرج
مبارك بنفسه يقود الجيش الثالث ومعه الامام عبد الرحمن آل فيصل والد السلطان
عبد العزيز . فالتقى الفريقان واحتربا احتراباً شديداً في اخر ذي القعدة سنة
١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) في مكان يسمى الصريف ، فقتل خلق كثير من الفريقين .
وكان النصر لابن الرشيد (١) .

بعد وقعة الصريف خرج ابن سعود عبد العزيز في نفر قليل من الرجال
بيغي استرجاع الرياض عاصمة اجداده التي كانت يومئذ في حوزة ابن الرشيد .
فذبح عامله فيها واستولى عليها (٢) . وكانت هذه الغزوة فاتحة غزوات وحروب
ادهشت العرب في شبه الجزيرة وخارجها ، فاعجب العدو والصديق بنبوغ ابن
سعود ، بشجاعته واقدامه ، وبمحنته وحلمه .

وعندما بُشر مبارك بفتح الرياض خاف ان يعيد ابن الرشيد الكرة عليه
فبعث بنجدة الى عبد العزيز الذي كان قد فاز ايضاً بنصرة اهل الرياض ، فخرج
منها بجيش كبير ، وشرع يحارب ليسترجع ملك اجداده . فقتل الامير عبد العزيز
الرشيد في وقعة « روضة مهذا » في سنة ١٣٢٤ هـ (٣) . وكان قد توفي في السنة
السابقة اي سنة ١٣٢٣ هـ الشيخ يوسف آل ابراهيم فاستراح مبارك من عدويه ،
واخذ نفوذه يمتد بعد ذلك الى البادية ونجد .

(١) راجع تاريخ نجد الحديث ، الفصل الاول : وقعة الصريف .

(٢) » » » الفصل الثاني : الاستيلاء على الرياض .

(٣) » » » الفصل الثامن ، ذبحة ابن الرشيد .

كان الشيخ مبارك في سياسته مثله في حروبه موقفاً منتصباً . فامتد نفوذه الى البصرة والمحيرة وكانت كلمته مسعوعة في ابي شهر . على انه مع تلك السياسة وذاك النفوذ لم يكن في اعماله شي يذكر من النفع العام . فقد بنى مسجداً واحداً وقصوراً عديدة ، ولكنه لم يهتم بالتعليم ولا ساعد في بناء مدرسة واحدة . اصف الى ذلك انه كان يرهق بالضرائب الرعية والتجار .

اما اتفاهه مع دولة بريطانيا العظمى فخلاصته ان الشيخ مبارك تعهد بان لا يكون للكويت علائق مع حكومة اجنبية غيرها اية كانت ، وهي تعهدت ان تحمي الكويت من كل اعتداء خارجي من البحر وليس من البر ، فلا تتدخل في شؤون العشائر ورؤسائها .

وقد تبع هذا الاتفاق في اب ١٩١٣ م . اتفاق بين الدولتين البريطانية والعثمانية بخصوص الكويت وقطر والبحرين ومسقط وعمان . فتنازلت الدولة العثمانية عن حقوقها في هذه الاسا كل كلها ، واخذت الدولة البريطانية على عاتقها اثاره الخليج وخفارتها . اما الكويت فظلت علائقها مع انكلترا على حالها السابق حتى سنة ١٩٢٥ عندما نقرر ان يُبحا كم الاجانب فيها في دار الوكالة البريطانية . توفي الشيخ مبارك في محرم سنة ١٣٣٤ هـ . نوفمبر سنة ١٩١٥ م . خلفه ابنه جابر الذي لم يحكم غير سنة وشهرين . وكان جابر كريم السجايا يحبه الناس . فقد النى من ضرائب ابيه المتعددة ، التي يستغرب مثلها حتى في ايام الحرب في تركيا ، ما يتعلق منها بالاملاك . اذ ان مبارك كان قد فرض ضريبتين باهظتين الواحدة عن كل عقار يباع وهي ثلث المبيع ، والثانية على كل عقار يؤجر وهي ثلث الاجار . وكانت تكرر الضريبتان كل مرة يكرر الاجار او البيع .

اما اماره سالم الذي تولى الحكم بعد وفاة اخيه سنة ١٣٣٥ هـ وحكم مدة الحرب العظمى كلها فقد اشتهرت بامر من مما اتساع تجارة الكويت ونسكة الجهرة . فجاء في الاول البرهان على مقدرته التجارية ، وجاء في الثاني الدليل على ضعفه في سياسة البلاد .

اما التجارة فقد كان الشيخ سالم رغم الاثر : بيت ، يسمح

بإدخول البضائع التي كانت تصدر من بلاده إلى الأتراك في العراق وفي سورية .
فاتسعت لذلك التجارة بالرغم من مأمور الحصار الذي عينته الحكومة البريطانية
للمراقبة في الكويت ، وبالرغم من المال الذي كانت تدفعه لرؤساء العشائر مثل
ضاري بن طوالة وغيره ليصادروا القوافل في بادية العراق والشام .

كان الشيخ سالم خشن البادرة ، صعب المراس ، متعصب الرأي ، قسلاً
ينتصح ولا يعتدل . وكان فوق ذلك شديد النزعة في الدين أبيه انه كان يكره
الوهابين والاخوان ولا ينبي . فأدت هذه الخصال فيه إلى خلاف بينه وبين
سلطان نجد . وكان الخلاف سبب التكة التي اشترت اليها . ذلك ان بضعة
الاف من الاخوات هجموا على الجهرة ، فذبحوا مئات من اهلها وقتل منهم
مئات ، وحاصروا الشيخ سالم في قصره هناك فلم ينبج إلا بجيلة احتال
عليهم بها^(١) .

تدخل الإنكليز فردوا الاخوات عن الكويت . ثم تدخل الشيخ خزعل
فارسل احد انجاله مع الشيخ احمد الجابر الذي اتتدب ليفاوض السلطان
عبد العزيز بالصلح فساعدتهم بالمفاوضات الاقدار ، اذ بينما كانوا في الرياض في
شتاء ١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م . توفي الشيخ سالم وانتخب الشيخ احمد الجابر خلفاً له .
ان الوراثة او الانتخاب في آل صباح يكون غالباً باتفاق بين الامرة
والحكومة البريطانية . على ان مباركاً رشع ابنه جابراً لولاية العهد دون ان
يستشير الإنكليز . ثم تولى سالم الحكم لانه يلي جابراً في السن ، ولم يخل انتخابه
من تدخل الوكيل السياسي ولو في سبيل التحقيق . فقد سأل اعضاء الامرة
والمتوجهين من الاهالي اذا كانوا راضين بالشيخ سالم فاجابوا بالايجاب .

اما اذا كانت تدخل الوكيل السياسي في الكويت لا يتجاوز المراقبة
والامتناع فهو في غيره من الاقطار العربية ، كما سترى ايها القارىء في البحرين ،
يتجازها ، اذا انتضت السياسة والمصلحة ، الى ما فيه الامر والارهاب .

(١) تاريخ نجد الحديث ، الفصل الثلاثين ، الاخوان في الكويت .

امراء الكويت من آل صباح

- ١ - صباح الاول . حكم في القرن الثاني عشر للهجرة والمرجع انه توفي سنة ١١٩٠
- ٢ - عبدالله الاول خلف صباحاً . توفي سنة ١٢٢٩ هـ .
- ٣ - جابر بن عبدالله (جابر الاول) تولى الحكم سنة ١٢٢٩ هـ .
- ٤ - صباح بن جابر (صباح الثاني) = = سنة ١٢٧٦ هـ .
- ٥ - عبدالله بن صباح (عبدالله الثاني) = = سنة ١٢٨٣ هـ .
- ٦ - محمد بن صباح = = سنة ١٣٠٩ هـ .
- ٧ - مبارك بن صباح = = سنة ١٣١٣ هـ .
- ٨ - جابر بن مبارك (جابر الثاني) = = سنة ١٣٣٤ هـ .
- ٩ - سالم بن مبارك = = سنة ١٣٣٥ هـ .
- ١٠ - احمد بن جابر الحاكم الحالي = = سنة ١٣٣٩ هـ .

الفصل الثالث

مشكل الكويت

معمل الشراع — مهتم السفن — العمال والنويسيون يشتغلون — سفن التجارة والغوص — اللؤلؤ — مدينة تجارية — المسابرة — اهل نجد — التجار والبدو — امانة الاحرابي — المسابرة في نظر السلطان عبد العزيز — جبارك نجد — اهل نجد يعتمدون على المسابرة — المسابرة في نظر المسابرين — طلب سلطان نجد يرفضه حاكم الكويت — الحق مع الكويت — كتاب الى السلطان عبد العزيز اقترح فيه طريقة للنسوية — وفد الكويت في الرياض — كتاب من السلطان « مسألة الكويت تحمل قريباً حسب رغائب الجميع » .

من رواق القصر نشرف على مشهد من مشاهد العمل في الكويت . قانت في ساحته الفسيحة المرتكز بها العلم الاحمر وقد كتب عليه « الكويت » نجد دائماً من الناس جالسين على الارض حول شراع مبسوط . وغالباً نجد ثلاثة او اربعة اشعة كبيرة والى كل منها عشرة ونيف من النوتيين يشتغلون فيها ، يخيطنون جديداً او يصلحون قديماً منها . هوذا معمل الشراع الذي يعيش في ظله اكثر ابناء الكويت .

ودون الساحة اذا ما مرحنا النظر في السيف امامنا ترى السفن والادفال وقد اكتظ واشتدك بعضها ببعض ، وفيها العمال يصلحون قديماً او يدقون^(١) سفينة جديدة . هناك مصنع السفن التي تبحر في الخليج وتوصل حبل التجارة بين الهند والعراق ، وبين الاسا كل العربية والفارسية ، فترسو حيث لا تستطيع المراكب التجارية ، وتحمل الصادرات والوردات من شاطئ الى آخر باجور لا يستطيع البخار ان يجاري الشراع بها .

ان سفن الكويت ومراكبها مشهورة بحسن شكلها وجودة صنعها . وهي على انواع ، منها للعبور والتنزه ، ومنها للحمولة ، ومنها للغوص . الكبيرة مثل اليوم

(١) دق السفينة بناها في اصطلاحهم او استاجر من بينها .

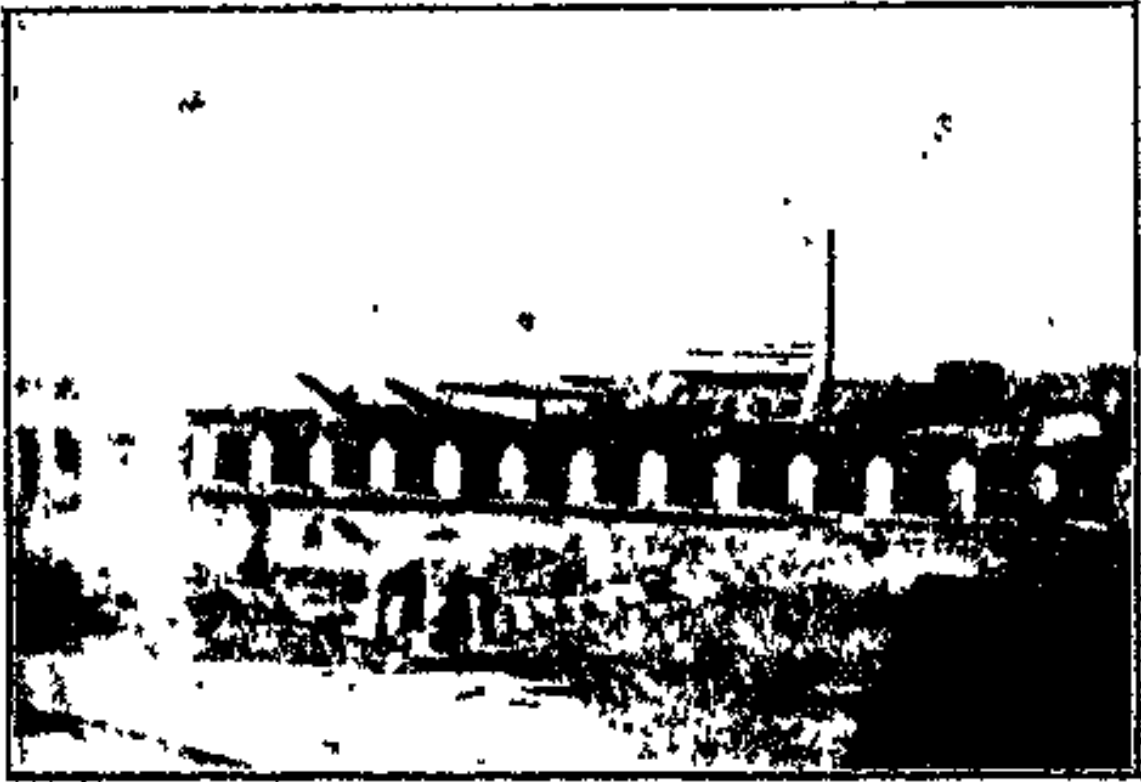
والجلبوت تصنع بالخشب المقْلَظ (١) المطلي بالقار ، ثم تغطى بالواح من الساج ، وتنقش عرشتها من الخارج نقشاً ايضاً لطيفاً . اما البوم التي تدعى ايضاً البغلة فهي اكبر السفن واجملها وابعدها ابجراً ، فلا يقل طولها عن الثلاثين ذراعاً وعرضها الاعلى يتراوح بين الثانية والعشرة الاذرع ، وعمولها مثا طن ، وهي تصل في سفارها حتى الى جزائر مدغسكر وزنجبار .

بيد ان اكثر السفن والمراكب التي نراها في الكويت تستخدم لاستخراج اللؤلؤ في موسم الغوص ، وللتجارة بين الهند والعراق . فتخرج من الكويت غالباً فارغة وتعود مملأة اليها . ذلك لان الكويت مدينة من مدن اللؤلؤ على الخليج ، وقبلها يقرن اللؤلؤ بمصدر آخر من مصادر الثروة . هذا ما لها تشتري به ما يلزمها من ضرورات المعيشة ونوافلها . ليس في الكويت غير المفاقي ، وليس فيها او في جوارها شيء يذكر من النخيل ، فهي تضطر ان تجلب حتى التمر من البصرة او من القطيف .

ولكن عندها كما قلت اللؤلؤ الذي تزيد قيمته على قيمة ما تحتاج اليه من ما كول وملبوس ، فتشتري بالزيادة للتجار . وعندنا السفن تحمل الى تجارها ما يشاؤون من البنادر القصية ، فضلاً عن البواخر التي تجيئهم بالاحمال الكبيرة من الهند .

الكويت اذن مدينة تجارية . بل هي مثل جيزان او ميدي على البحر الاحمر ، وان كانت تزيد عليها في عدد السكان عشرة اضعاف ، اذ لا تقوم تجارتها وتعمو من فيها فقط . فلو انكلت الكويت على سكانها وعلى العشائر في ياديتها لما كانت تجارتها ربع ما هي او بالحري ربع ما كانت منذ سنتين . اما السبب في سوء حالها في السنتين الاخيرتين (٢) فاذا سألت عنه التجار هناك يجيبونك بكلمة واحدة : المسابلة .

(١) قلفط السفينة او جلفطها هو ان يدخل بين مسامير الالواح وتخروزها مشاة الكنان وقد قُست بالزيت والقار .
(٢) كانت الواردات والصادرات في السنين الماضية تتراوح بين الخمسة والستة الف روية كل سنة . اما في السنتين الاخيرتين فهي تقدر بثلاثة الف روية سنوياً .



نوتيون يسيطون الشراع في الكويت



مصنع السفن في الكويت

وما هي المسابلة ؟ سأكفيك مؤونة التفتيش في القاموس فقد لا تجدها فيه .
المسابلة هي ان يجيء العرب الى المدينة فيسابلون تجارها اي يشترون منهم نسيئة
ما يحتاجون اليه من ملبوس وما كول . وغالباً يجيئون في الصيف فيشترون ما
يلزمهم في فصل الشتاء كله ، ويدفعون ثمنه بعد ان « يصلحوا » مواشيهم اية
يرتعوها ويستثمروها في اواخر الربيع .

اما اكثر من يجيئون الى الكويت للمسابلة فهم من نجد من رعايا ابن سعود .
يجيئونها ويفضلونها على البصرة والزيبر لاسباب ثلاثة . اولاً لانها اقرب . ثانياً
لانهم يجدون في اسواقها دائماً ما يحتاجون اليه . ثالثاً لان تجارها يتساهلون معهم فلا
ينقضونهم دفع ما عليهم ولو مر على الدين سنتان وثلاث . وهم مع ذلك قلما يخسرون .
واية ضمانه يقدمها البدوي للتاجر ؟ قسمه بالله . فهو اذا غاب عشر سنين وعاد
الى الكويت ، وليس معه غير جملة ، يجيء به الى التاجر قائلاً : هذا حلالك .
واذا مات الاعرابي قبل ان يفي ما عليه ، وكان قد نما ماله اي مواشيه ، يجيء
احد ابنايه او انسيائه بما يكفي منها لتسديد الدين او بعضه ، فيقدمه للتاجر
قائلاً : هذا حلالك من فلان . ترحم عليه . هي ذمة الاعرابي ا

ان رغبة تجار الكويت في المسابلة اذن لمثل رغبة اهل نجد بل هي اشد لان
عرب نجد كما اشرت هم مصدر تجارهم الأهم . وهم يستطيعون ان يتساهلوا بدفع المال
اكثر من سواهم لان رأسمالهم اكبر ، بسبب مدخول الكويت الاخر من تجارة اللؤلؤ .
هذه هي احدى وجهات المسابلة . وهناك وجهة اخرى هي وجهة السلطان
عبد العزيز . ان سلطنة نجد جمارك ثلاثة في العقير والقطيف وجبيل ، فهو
لذلك يفضل ان يجلب اهل نجد بضائعهم من احدى هذه الاماكن التجديدية في
الاحساء ، او ان يسابلوا فيها خصوصاً في القطيف . على انه ليس في القطيف
تجار ذوو يسار فيستطيعون ان يعاملوا التجدي كعامله تاجر الكويت . والسلطان
عبد العزيز يدرك ذلك .

ومع ذلك فقد نهى رعاياه منذ سنتين عن المسابلة في الكويت فانتهوا ،
فتأثر التجار من ذلك وشرع الشيخ احمد يفاوض في القضية الرياض . اما

موقف عظيمة السلطان فهو ان رعاياه يشترون من الكويت ويعودون بما يشترون الى نجد دون ان يدفعوا عليه رسماً ما . فكأنهم في هذه الطريقة يهربون الأبخعة ليتخلصوا من دفع الرسوم الجركية . وبما انه لا يستطيع ان يؤسس الجمارك في البادية على حدود نجد والكويت المترامية الاطراف ، وبما ان اسلطنة نجد ممتدة فيها جمارك فقد اصدر امره ان تكون المسابلة في احدها وحقه في ذلك بيتن لا مقاطعة فيه . لان المقاطعة تكون بين شعبين متعادين ولا عداء اليوم بين الكويت ونجد . ولكن هناك وجهة اخرى لهذه القضية وهي وجهة اهل نجد وخصوصاً البدو الذين لا يستطيعون ان يدفعوا نقداً ثمن ما يشترون كما هي الحال غالباً اذا جاؤوا القطيف للمسابلة . فهم مثل التجار متأثرون ، وبما ان السلطان عبد العزيز يهتم بشؤون البدو اهتماماً خاصاً ويكره الجور والارهاق فقد اقترح اكراماً للفرقيين المسابلين ، النجديين والتجار الكويتيين ، ان يعين في الكويت وكلاء له يجمعون رسماً على كل ما يشتره اهل نجد فيدفعونه قبل ان يخرجوا بابضعتهم من المدينة . وطلب ان يكون هذا الرسم سبعة بالمئة . فرفض سمو الشيخ احمد الطلب محتجاً بحق اليادة التي لقطر الكويت المستقل ، اذ ان مثل هذا العمل يحجب بها ، ولا يكون الا اذا اكرهت الكويت عليه فيمتد اذ ذلك ضرباً من الاحتلال . هو مصيب في احتجاجه بحق يرفضه . ولحسن الحظ ان السلطان عبد العزيز والشيخ احمد متحابان متواليان فلا يتخذ الواحد منها خطوة تؤدي الى تراخي العلائق الولائية واقطاعها .

لذلك بعث السلطان الى الشيخ يقول . نحن لا نقيم احداً من قبلنا عندكم ولكننا نوكلكم في الامر ، فتعينون من قبلكم من يجمع الرسم المطلوب من اهل نجد المسابلين ، فترسلونه الينا كل ثلاثة اشهر او كل ستة اشهر او كل سنة مرة كما تشاؤون . ولكن الاكثرية في آل صباح لا يقبلون حتى بمثل هذه التسوية لانهم كما قال احدهم ليسوا جباة خراج لسلطان نجد .

كانت المفاوضات قد وصلت الى هذا الحد عندما وصلت الى الكويت ، وكان سمو الشيخ احمد على شيء من القلق لتعقد القضية ثانية بين هو يعالجها بالتؤدة

والحكمة . فخطر لي بعد ان مررت بقسم من الارض في تلك النواحي وعرفت الحقيقة الاولى التي تتعلق بالاسفار هناك ، وبعد ان درست المسئلة ورأيت ان ما يطلبه عظمة السلطان عبد العزيز من حكومة الكويت هو في الحقيقة محجف باستقلالها ، ان اكتب اليه كتاباً اقترح فيه حلاً للمشكل قد يرضي الطرفين .

اما الحقيقة التي تتعلق بالاسفار والتي لا ينكرها المعارفون بتلك البلاد فهي ان القوافل الخارجة من الكويت لا تسير الا في طرق معلومة ، غرباً كانت ام جنوباً ، فتمر بما معلوم لتستقي قبل ان تدخل المفازات . فاما ان تسير عن طريق الجهرة مثلاً اذا كانت مسافرة الى القصيم ، واما عن طريق الصبيحية اذا كانت وجهتها الحسا . وهناك طريق اخرى تمر ببحيرة الدويش . ان حدود الكويت ونجد تنتهي الى هذه الاماكن الثلاثة او في جوارها .

فكتبت الى عظمة السلطان افصح عن رأيي في المسئلة واطلب منه ان ينازل لا عن الطاب بالرسوم بل بجمع الرسوم في نفس مدينة الكويت واقترحت عليه ، حياً بحفظ الصداقة بينه وبين آل صباح ، ان يقيم ثلاث نقط جمركية في الاماكن المذكورة اعلاه او قريبا فيتمكن ولا شك من تحصيل الرسوم على البضاعة التي تدخل من الكويت الى سلطنة نجد . ان هذا العمل لا يكلف غير الخيام ورواتب ستة موظفين وبعض النجابة .

ويظهر ان المسئلة دخلت بعدئذ في طور جديد لان سمو الشيخ احمد باتفاق مع الاهالي بعث ابن عمه حضرة الشيخ عبد الله السالم الى السلطان عبد العزيز يحمل منه كتاباً يفصح عن خالص الولاء والاکرام ومعه هدايا كبيرة من الارز والسكر والبن . فخرج السلطان بجماعيته لاستقبال الشيخ عبدالله خارج الرياض واركبه معه في السيارة وانزله في القصر ضيفاً كريماً مبعجلاً . فاقام هناك بضعة ايام وعاد الى الكويت مسروراً جداً ، يحمل الهدايا الثمينه وشيئاً مما اشتهر به عظمة السلطان من تلك الصراحة المقرونة باللفظ والاکرام .

وقد جاءني من عظمته كتاب يقول فيه جواباً على اقتراحي : اما مسئلتنا مع الكويت فهذه تحمل قريباً حسب رغائب الجميع وعلى احسن ما يكون ان شاء الله .

الفصل الرابع

الشيخ احمد الجابر آل صباح

الرجل المسالم - القوة المدخرة في اللين - الشيخ احمد في انكلترا - اعجاب به
بالمدينة الغربية . اما رجال حكومتها - مداراته للانكليز - استشارة لا امثال -
امتياز البترول - الشركة التي فضلها - يحترم رأي الغير - حكمة كل يوم -
الكويت بين شاقوفين - اصحاب الدسائس - الحماكم الحكيم - تحفة اللين
والمسألة - ثروة الكويت الحقيقية - المدارس - النهضة الادبية - ادباء
الكويت وسفنها - رسل العلم والتهذيب .

لو كان غير الشيخ احمد حاكماً في الازمة الاقتصادية التي سبق الكلام
عليها لما سلم الامر من حادث عدائي بين البلادين نجد والكويت . ولو حدث هذا
الحادث لما اختلف اثنان في نتيجته . فالفضل اذاً في سلامة الكويت وان كان
على ضيق وشدة هو للشيخ احمد ، ذاك الرجل المسالم ، اللين الجانب ، الدمث
الاخلاق . ولكنه في لينه بل في المعروف والحسنى يصل الى حد يساء في الحاكم
فهمه . فهو اذا مال الى السلم والولاء ، او الى المهاودة والوفاق ، لا يشفع ميله
بتلك الكلمة التي فيها العزم الرابض او القوة المدخرة . وقد يألف العزم
الربوض فيتعسر انهاضه ، وقد يهن القوة من الادخار الدائم . الحكيم اذن من
هرن قواء كلها حتى الحيوانية المحضة واستخدمها من حين الى حين . وما يصح في
الرجل الحكيم يصح في الحكومات .

الشيخ احمد مثل الشيخ خزعل ومثل الملك فيصل . معجب بالمدينة الغربية
وبرجالها . وهو من امراء العرب الذين لبوا دعوة جلالة الملك جورج الخامس
بعد الحرب العظمى ليزوروا انكلترا ، فنزل هناك ضيفاً على الحكومة ، وساح في
ملك البلاد ، وشاهد من مظاهر الرقي وال عمران المادية والادبية ، من مناجم
الفحم الى المتحف البريطاني ، ما لا يزال يلهج بذكره ويود لو كان للعرب جزء
يسير منه . ولو لم يكن حاكم الكويت وكانت تلك الرحلة دليله الوحيد الى

المدنية الغربية لاخذ منه الاعجاب كل ماخذ فتغيب عنه الحقيقة كلها او القسم
الاهم فيها .

ولكنه ، وهو حاكم عربي ، يشاهد احيانا في رجال تلك المدينة ، خصوصا
رجال الحكومة منهم ، ما لا تجيزه احكامها ولا تبرره دائما مبادئها . فالوكيل
السياسي الانكليزي مثلاً صاحب مصلحة مثل غيره من الناس شرقيين كانوا او
غربيين . هو لا يختلف عنهم بغير الوسطة ، والاسلوب ، والعدة العقلية او
المادية . ومتى كان قريبا من امير عربي ، وله بالدنو منه ومن شؤونه بعض الحق ،
يود الامير احيانا لو لم يكن الرجل متعمدا او من امة متعمدة فيعامله اذ ذلك كما
يعامل البدو ، بالحسنى اولا والا فبالصديق .

الشيخ احمد الجابر آل صباح يداري الانكليز ولا يملكهم منه . يابن
لوكيل بريطانيا العظمى في الكويت ولا ينكسر . قد يستشير ويقبل رأيه في
ما يراه نافعا لبلاده او معززا لسياسته ، ولكنه لا يأتمر بأمره . مثال ذلك ان
حكومة بريطانيا العظمى رغبت الى الشيخ احمد ان يمنح شركة الزيت في
عبادان امتيازاً في الكويت فابى ذلك لانه يفضل ان يمنح الامتياز شركة اخرى
انكليزية مستقلة عن الحكومة ولا دخل لها بالسياسة ، وشروطها احسن جداً من
شروط شركة عبادان .

وهو في سلوكه مع رعاياه واسرته مثله في سلوكه مع الانكليز . يستشيرهم
ويتفاوض معهم ، ولا يتبع دائماً الرأي العام . ولكنه لا يزيغ ما لا يريد ولا
ينعي على الناس اراءهم . لكل كلام مقام ، اي ان حكمة كل يوم هي حكمته .
وكثيراً ما يكون الرجل العادي في كرسي الحكم انفع لامته وبلاده من الرجل
الشاذ الشديد المراس .

لا ينتظر من الشيخ احمد وخصوصاً في هذه الايام ان يخرج بعشاره
فيحارب مثل جده مبارك امراء العرب ويدخل البلدان فاتحاً منصوراً . واليك
الاسباب . اولاً لان الشيخ احمد وان كان يحمل السيف هو اميل الى البراع واحب
شيء اليه السلم والاداب . ثانياً لان عشاره وهي قبيلة لا تمكنه لو قال : السيف

من ان يقول كذلك : النصر . قد تلبيه فتُغلب فتتقلب عليه . ثالثاً لان الاحوال اليوم هي غيرها منذ خمس عشرة سنة ، فالكويت التي لعبت بولاية الدولة في الشمال ، وحاربت امراء العرب ومشايخ القبائل في القصيم والاحساء ، اصبحت اليوم بين امتين متحدين ، وقوتين قاهرتين ، وحكومتين طامعتين بالاستيلاء . ان الكويت بين نجد والعراق لمثل فتاة بين عاشقين ، وكلاهما يبغيها .

حدثني احد رجال الحكومة في بغداد قال : الكويت جزء من العراق واهلها يفضلون الانضمام الينا . اراد بذلك ان الكويت تفضل العراق على نجد اذا كان من ضم وانضمام . فلو لم يكن الشيخ احمد كما وصفت ، لكان ظفر اصحاب الدسائس بما يفتون ، لان الذين يغرون العشائر خارج هذا القطر فيهجمون عليه او على عشائره ، لا يرومون من ذلك غير احداث ذلك الحادث الذي قد يكون فيه خاتمة استقلال الكويت الاداري .

والشيخ احمد مدرك ذلك ، فلا يذهب مع التيار ولا يستسلم الى الهياج العام . فهو اذا هجمت عربان نجد او العراق على عشيرة من عشائر الكويت او على المدينة ، وقام الاهالي يستنفرون بعضهم بعضاً ، يقف وقد تسليح بالحكمة والعزم في وجههم فيصددهم ويسكن روعهم . مثال ذلك هجوم ابن حثلين شيخ مشايخ العجمان في هذه السنة قياد اهل الكويت الى السلاح فصددهم الشيخ احمد ورددهم قائلاً : لتفاوض اولاً ابن سعود هو صديقنا . والذي اخذته انه غير راض عن هذا الاعتداء . فاذعن الناس له وففاوض السلطان عبد العزيز فجاه منه الجواب يقول انه متأسف جداً لما حدث وانه مستعد ان يعرض على الكويت كل ضرر .

قد يختلف الناس في هذه الخطة السياسية ، خطة اللين والمسألة . وفي الكويت من لا يستحسنها . بيد انهم يتيقنون اذا ما ذكروا سياسة سلف الشيخ احمد ونكبة الجهرة ، ان في دار الحكم اليوم رجلاً اقل ما يقال فيه انه محافظ على سلامة الكويت واستقلالها .

ومهما كان من امر الكويت ومشاكلها التجارية والسياسية فان فيها غير

التجارة ثروة وغير اللؤلؤ كنزاً . فيها ذكاء وجراءة وادب شاهدت منه نماذج جميلة في الحفلات التي اقيمت هناك وفي المجالس .

ومها كان من منزلة الشيخ احمد في السياسة فانه في المساعي الادبية مذكور وان لم يكن من الجميع مشكوراً . وسيعرف عهده بعهد النهضة الادبية التي تشرف العاملين في سبيلها . اجل ان في الكويت نهضة ادبية لها ركناث ، المكتبة الاهلية هناك والمدارس اليومية والليلية ، وهي تتغذى فوق ذلك بما تثمره الاداب العصرية والعلوم الكونية في سورية ومصر . ثم تبت روحاً في الربوع التي لا تصل اليها الجريدة والمجلة ، ولا ينفع فيها الكتاب لان ليس فيها اليوم مدارس . اجل ، كما ان سفن الكويت الشراعية تصل الى الاسا كل التي لا تدنو منها البواخر الكبيرة ، فكذلك ادباء الكويت في اختلاطهم مع البدو واسفارهم في داخل البلاد العربية يستطيعون ان ينشروا روح العلم والتهذيب ، وروح القومية السليمة العامة ، في العشائر والبوادي وفي المدن الكبيرة دون الدهناء والتفود .

الفصل الخامس

الشيخ خزعل

قبل من لا يعرفه - قبل من يعرفه - ثروته وكرمه وادبه - ذوقه الشامل -
 الفواني - الشعراء - الاحبار - اجمل ازاهر الكرم فيه - الكنيسة ومحل
 الماسون والراقصة - الساهل في غير القبيح النعيم - ولا يأنف من اللب -
 ولا يروعه تمدد النساء في الحرم - « من هي امك يا وليد؟ » - الزواج
 السياسي - جاء في الكامل للمبرد - ناشين من الملوك - ومن بابا رومه -
 ومن الفيلسوف ايكوروس والصوفي ابن العربي - لماذا ترددت في زيارته -
 كتابي اليه - جوابه - اجتهادنا - حديث عن اطباء الاسنان - وعن
 الاخوان - القهوة في مجالس آل صباح - بلية العالم - الرجوع الى الارض
 بعد الموت - متى يجب ان يرجع الشيخ خزعل .

هو سمو النردار اقدم ، معز السلطنة ، الشيخ خزعل خات بن نصرت
 الملك الحاج جابر خان الجاسي المحتسبي الكمي العامري ، امير نويان ومردار
 عربستان ، ومؤلف كتاب الرياض الخزعلية في السيامة الانسانية . قل من لا
 يعرفه من قراء الصحف العربية باسمه ولقبه الاولين في الاقل . وقل من
 يعرفه معرفة حقيقية . فهو من امراء العرب وان كان يحكم ولاية من ولايات
 الدولة الإيرانية . بل هو اكرمهم بعد الملك حسين سناً ، واسبقهم الى الشهرة ،
 وقرين اعظمهم في الكرم . هذا ما يعرفه اكثر العارفين ببعض البلاد العربية
 وامرائها .

اما ما يجبهه اكثر الناس خارج الكويت والبصرة فهو ان هذا الامير العربي
 من طراز الامراء في عهد العباسيين . اعني بذلك انه غني حكيم كريم معاً . فهو
 يرمي في كرمه ، وفي ذوقه ، وفي ادبه ، يحب اللهو والغناء حبه الادب والشعراء .
 بل يميل الى كل ما فيه شيء من اسباب السرور كلها ، العقلية والاجتماعية
 والجسدية . وان كلمة قالها معاوية : الدنيا بخذافيرها ، الخفض والدعه . لتصح ان
 تكون من كلماته .

اجل ، ان للشيخ خزعل ذوقاً انسانياً شاملاً فلا ينفر من غير القبيح والدميم في الحياة ، ولا يعرف في مكارمه التفضيل والتمييز . تجي . المخبية من حلب او الشام الى المحمرة وهي لا تملك غير خلخالها فتقيم عدة اشهر في القصر وتعود غنية مثقلة بالحلي . ويجي . الادباء الشعراء وفي جيوبهم قصائد المديح فيعودون من المحمرة وفي جيوبهم اكياس من المال . ويجي . حبر من احبار المسيحيين فينزل على سمو السردار ضيفاً كريماً محترماً ويعود مصحوباً بالهدايا الثمينة . ثم يجي . المبشر بالماسونية فيحل محل الاسقف في القصر الخزعلي ويعود بعد اقامة سعيدة كما عاد المحترم قبله .

ان من اجمل ازاهر الكرم في هذا العربي تساهله وهو شيخي المذهب . فهو يساعد في بناء كنيسة في بلاده لنيكوبي الكلدان ، ويساعد في تأسيس محفل للماسون ، ويفتح خزنته لراقصة او مغنية كما يفتحها لاولي البر والاحسان من الطوائف كلها جمعاء . وهو على مقامه بل بالرغم من مقامه يميل دائماً الى ما فيه لهو او تسلية او فكاهة . فاذا ما انتابه الضجر في القصر ، وكان قصر الضيافة فارغاً ، ولم يكن ليرغب في زيارة البصرة لبشرف طاولة « البوكر » فيها ، يتادي اولاده قائلاً : يا وُلْد الخير تعالوا . الاتلعبون . فيجي . السردار ارفع او السردار اجل او السردار جاسم او نصرة الملك او كلهم اجمعون ، فيجلسون مع عظمة الوالد الى تلك الطاولة الخضراء العزيزة الشأن حتى في المحمرة والبصرة . والشيخ خزعل من امراء العرب المحافظين على تقاليد الاجداد في التعريس ، ولا سيما شريعة المنعة عند الشيعة تساعد في ذلك . فقد قيل لي ان له اكثر من ستين امرأة وانه قلما يعرف اولاده . كثيراً ما يجيئه احد اولئك الصغار فيسأله قائلاً : ومن هي امك باوليد ؟ ثم اذا ناواه احد مشايخ القبائل وهم بالخروج عليه ، وكانت له بنت سالحة للتكاح ، يزوره السردار اقدس ويشرفه بالمصاهرة ، فتخمد فيه في الحال جذوة التمرد والعصيان . سألت عن سمو الشيخ وانا في البصرة فقيل لي هو متغيب اليوم . فقلت : وابن هو ؟ فقال محدثي : راح يتزوج . وهو لا يزال على سنه الذي يتجاوز الستين اهلاً مثل هذه المهات .

جاء في الكامل للمبرد ان انعم الناس عيشاً من عاش غيره في عيشه . ولا
 اظن الشيخ خزعل يحتاج الى شهادة المبرد وشهادتي في انه يعتقد بهذه الحكمة
 ويعمل بها . فهو اذا لبس ثوبه الرسمي في صفته السياسية يحمل على صدره
 شهادات من ملوك الارض وفيها وسام القديس غريغوريوس من البابا بنادبكتوس
 الخامس عشر بابا رومه . وبين تلك الاوسمة والنياشين كلها ارى وسامين لا
 يراهما كل الناس بل لا يراهما غير من نظر الى هذا الرجل بعين الشعر والفلسفة .
 فهو في صفته الانسانية يحمل وساماً من الفيلسوف اليوناني ابيكوريوس واخر من
 الحكيم الالهي الصوفي محيي الدين ابن العربي .

ادين بدين الحب وكيف توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني (١)

هوذا الامير العربي الذي كنت متردداً في زيارته بالمحرة . وقد ترددت
 لسببين ، اولهما لان المتأدين يؤمنون تلك السدة الشريفة وفي جيوبهم قصائد
 المدح الطنانة ، ولست لسؤ الحظ ممن يحسنون النظم ولا المدح الرسمي . وثانيهما
 انه حاكم بلاد اطلق عليها العرب في الماضي اسم الاهواز وهي اليوم عربستان من
 اعمال فارس . على ان رغبتني في الاجتماع بامير عرفته من اخباره انه فيلسوف
 الامراء ، بل فيلسوف الحياة العملية ، كادت تغلب على اسباب التردد كلها ،
 فوطنت النفس على ان اعرج على المحرة في عودتي الى البصرة . ولكن نقادير
 الخير امرضتني بجمعتني بالدكتور ريجان الذي نشرني بوجود سمو الشيخ في

(١) جاء خطأ في الطبعة الاولى ان هذا البيت الشريف الرضي ، وكنت قد نقلت
 في الجزء الاول بيتاً له مغلوطاً . فصحيح العالم النجفي البتین باللهجة التي صحح بها ما كتبه
 عن صاحب الزمان . (راجع الجزء الاول صفحة ١٢٦) قال نقينا الله جلله وتسخطه ،

« لعل السائح العربي لما احس بجنابته على الشريف الرضي ما رضى الا ان يتداركها
 ففسب اليه في مقام آخر شعراً ليس هو من شعره ، فصارت الجنابة باثنتين والسيئة
 سببتين » .

فبيل تظن ان الشريف الرضي يرضى ، من الوجهة البيانية ، بان تحيي السبحة بعد
 الجنابة . وهلا تظنته ينفو ، من الوجهة الاخلاقية ، عن الجاني عليه اذا كان ذلك في سبيل
 الحب . واني في هذا السبيل كذلك اشكر للعالم النجفي اهتمامه بكتاب « الملوك » وبصاحبه .

المكوت (١) .

فبادرت الى القلم والورق اكتب اليه كلمة استأذنه بالزيارة ، فوقف القلم في رأس الصفحة البيضاء جامعاً . كيف احبي هذا الامير وهو كثير الالتساب والترتب والارصمة ؟ بل كيف احبي من يتحدث الناس من عرب وعجم وافرنج عن مكارم اخلاقه وغرر اياديه ؟ هل احذو حذو الادباء فانظم الاسجاع ، في من كرمه كالمسك ضواع ، ومتفق عليه بالاجماع ؟ قد يظنها قصيدة مدح مني فيعاملني بما يوجبه شرع المحمرة . لذلك طرحت الرسميات جانباً وكتبت الى مولاي الشيخ خزعل كلمة سلام مقرونة بالاجلال والاكرام ، فجاءني منه الجواب الاتي :

اسعد الله اوقاتك

ايها الفيلسوف المكرم ، حياك الله وابقائك ، وحفظك ونجائك ، واني مشتاق الى لقيائك . فيجب ان ازورك قبل ان تزورني لان لكل قادم حق الزيارة وقد سبقتني بالجميل في كتابك الكريم ، فاشكر ذلك الذوق السليم . واني صباحاً ان شاء الله ازورك في محل الجميع واحظى بنور تلك الطلعة واختم كتابي بالسعاء لكم بالتوفيق والسلام عليكم .

المحب لكم

خزعل

وكان اجتماعنا الاول في « محل الجميع » اي عند سمو شيخ احمد في الجناح الجنوبي من القصر في الصاعة المفروشة بالفرش الاوروبي .

الشيخ خزعل في العقد السادس من العمر وهو ، بالرغم عن الطيبين في معيته ،

(١) كان الشيخ سارك آل صباح والشيخ خزعل صديقين حميمين يتزاوران دائماً فتوفقا الى فكرة جيلة يخلدان بها تلك الصداقة الجميلة . وكان في وسعهما تحقيقها فحققتها ؛ فبنى الشيخ خزعل للشيخ مبارك قصراً في المحمرة وبنى الشيخ مبارك للشيخ خزعل قصراً في الكويت . ولكنه كان الى جانب قصره في المدينة فبنى بعدئذ الشيخ خزعل قصراً خارج السور يقيم فيه بعض اشهر الشتاء . وهناك اليوم قصراً للشيخ احمد آل صباح مجهز بالكهرباء والتلفون ومفروش بالفاخر من الرياش .

على جانب متين من الصحة والعافية - الا انه كان يشكو يومئذ من اسنانه ومن الطيبين معا .

- سمعت الناس يشكرون اطباء الاسنان في اميركة . وقد قال لنا احد افاضل الاميركيين ان اطباء الاسنان هناك وباعة الخيل وممارسة البورص من طبقة واحدة . فلم تفهم كلامه فهل لك ان تشرحه لنا .

فقلت : اما باعة الخيل فالمشهور من امرهم يا مولاي هو انهم مثل ما يبيعون المعاليق في حماة فينفتحونها قبل ان يزنوها . اما ممارسة البورص فلهم اسم آخر في اميركة فيه اظن الشرح الذي تبغيه . فهم كما يدعونهم هناك اصحاب الدلو الفارغ . اي انهم يتاجرون بلاشيء ، بالهواء . فيبيعون زبائنهم ما لا يملكون من الاسهم . وكذلك الزبائن يبيعون ويشتررون . هو ضرب من لعب القمار ، يكثر فيه ما هو محض شر من الاسرار .

- واين وجه الشبه بينهم وبين طبيب الاسنان .

- وجه الشبه في المبدأ يا مولاي - المبدأ واحد هو الوهم والاحتراف به هو الهواء في المعاليق ، وهو الدلو الفارغ او الهواء في الدلو . فاذا رحمت الى طبيب اسنان تسكو من وجع في خرس واحد يقول لك بعد الفحص انك جبار لانك لا تسكو الا من خرس واحد ، وان بقية اضراسك في حالة مضجعة ، فيقتنعك بما اوتي من علم ان معالجتها كلها لازمة ولو اقتضى ذلك شهراً من العمل . والافتسي بعد اشهر وليس في فمك سن واحد .

فقال الشيخ خزعل : قد اخطأ الاميركيون اذن . فلو كان هذا الرجل عندنا لعددتاه من النشالين ؟ فضحك الشيخ احمد وقال : ينشل ما في الفم وما في الكيس . فقال الشيخ خزعل : والحمد لله ان اطباءنا صوريون .

قد كان في معية سمو الشيخ طبيب آخر سوري هو الدكتور رامي . ولكن الطيبين على ما علمت قلما يصفان من العقاقير غير المتأدمة . وهما الصبديان كذلك ، فيمزجونها لسيدهم في السمور وحول الغطاء الاخضر المشهور . جاء الخادم بالقهوة . فعلمت ان مجلس حاكم الكويت الرسمي يختلف عن

بجلسه العام بامرین . الاول ان المجلس الرسمي المفروش بالرياش الفاخر لا يحضره غير افراد من حاشيته وامرته . والمجلس العام المفروش بالوسائد والمسائد يحضره من يشاء من الناس ، فيجلس في المكان الذي يليق به ولا يتعداه . اما الفرق الآخر فهو في تقديم القهوة . في المجلس الرسمي لا يصبح الخدم ويردد بعضهم صدق بعض . وفي المجلس العام بل في مجالس آكل صباح اجمالاً اذا ما امر الشيخ بالقهوة يصبح الخدام في الباب : اقهوه . فيهتف الخدام الواقف في النساء : اي والله اقهوه ! فيسمعه الخدام الجالس عند باب المطبخ فيصبح كذلك : اقهوه ! فيؤمن راعي المعامل على الصباحين اجمعين مردداً كلمة السر : اي والله اقهوه . فتجيء القهوة في الحال ، وان كان المطبخ على نصف ساعة من المجلس .

انقلنا في الحديث من الاسنان الى الاخوان [قال الشيخ احمد : التعصب بلية العرب .

وقال الشيخ خزعل : بل بلية العالم . ولو كان لي ان ارجع بعد الموت الى هذه الارض لما احببت ان يكون ذلك الا عندما تصبح ولا اثر فيها للتعصب الديني . الانسان اخو الانسان احب ام كره . (١)

(٢) اسلفت القول ان المحمرة وما يليها اي عربستان هي من اعمال فارس ، وكان الشيخ خزعل يحكمها حكماً مطلقاً وقلما كان يؤدي الى الحكومة الايرانية السابقة حساباً . اما بعد الانقلاب ، او بالحري عندما كان رضا خان مسيطراً على الجيش والامة وقيل ان توج شاهاً ، قامت الحكومة الجديدة بحساب الشيخ خزعل فكانت نتيجة الحساب انه اعتقل واخذ اسيراً الى طهران حيث هو الان .



الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة

القسم الثاني

آل خليفة

شيوخ البحرين

البحرين

جزودها : هي جزيرة مستطيلة في خليج فارس وبضع جزر صغيرة اهمها اثنتان الواحدة شرقاً من المنامة وهي المحرق والثانية غرباً منها وهي البديع . وهذه الجزر قريبة من الخط الواحد والخمسين من العرض الشرقي وبشطرها الخط السادس والعشرين من الطول الشمالي .

مساحتها : اربعمئة وخمسون ميلاً مربعاً .

عدد سكانها : مئتا الف نفس .

اهم بلدانها : المئتمة والمحرق والرفاع والحد والبديع .

مذاهبها : السنة من المذاهب الاربعة ، والشيعه من الجعفرين والاسماعيليين ، ثم الوهاية . وفيها عدد كبير من الهندوس والفرس وبعض اليهود والنصارى .

الفصل الاول

سلسلة من المدهشات

جهلي البحرين — فصور المنامة — الاشرمة والالوان — اسواق المنامة —
تجارها وتجارها — النهضة الادبية — الرسالة الاميركية — المستشفى الاميركي —
التبشير لا يفيد — حبر الحسا وأمن البحرين — « ما السبب في جمالها ؟ » . نطعمها
السك والتمر — « دابة المستر فورد لا تستطيع ان تباري الخبير — ساعة الزجر
هي ساعة التبشير — في مجلس الشيخ عيسى في المحرق — ذنبي في تناول القهوة —
ذنبي في الحديث — في بيت الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة شيخ الادباء والشعراء
في البحرين — حدثنا الشيخ ابراهيم عن جمال الدين الاقناني — ومجلة سركيس
والمقتطف — اداب السلوك عند العرب — المادة والحفلة — كتاب من الشيخ
ابراهيم — بعض اقوال الادباء — نهضة البحرين السياسية .

ما اخطأت الظن مرة ببلاد عربية مثل خطأي بالبحرين . وما دهشت
في قطر من الاقطار التي زرتها دهشتي اول يوم في هذه الجزيرة في خليج
فارس . ولا غرو فالجهل يجسم الدهشات . قال احد الاصدقاء في الحجاز ، وهو
يصف لي الطريق الى نجد : ستسافر من يماني الى البحرين ومنها في مركب
شراعي الى العقير . فظننت البحرين جزيرة صغيرة حقيرة بأوي اليها الصيادون ،
وظننت شيوخها من العرب الذين يسكنون الخيام . بل كنت حتى عند وصولي
اظنها معبراً الى الاحساء . وماذا ينفع التظاهر بالعلم اذا فضحك اول عمل بعد
الكلام بل اول كلمة بعد السلام ؟ اما واني اناقت الادعاء فلا احاول اخفاء
جهلي وهو جهل عام يكاد يشمل كل ادباء العرب خارج شبه الجزيرة . اني
اعترف عني وعنهم اذن ، وها اني بعد ان تعلمت وكنت في ما تعلمت سعيداً
اشاركم في التعمتين .

اول ما يدهش الغريب عند وصوله الى البحرين ، خصوصاً اذا كان
قادمًا من البحر الاحمر ، عمران مدينة المنامة وقصورها المشرقة على البحر . ثم

المراكب الشراعية « الجلايت »^(١) التي تشق من مياه الخليج ازرقاقاً لا صفاء بمد صفائه . ولا حفيف الطف من حفيف هواء الخليج وهو يداعب الشراع ويهمس في اذن الصباح كلمات الامان والترحيب . انه لينطبع في تلك الاونة من اللونين ، لون الشراع ولون الماء ، صورة في الذهن هي كلوحة السينما في تغيرها المستمر وحركتها الدائمة . ذلك لان مياه البحرين فلما تخلو من « الجلايت » السارحة المارحة فيها على الدوام . اما البواخر فهي ترمو على اربعة او خمسة اميال من البر .

واذا ما السائح وطى ارض الجزيرة وجلال في اسواقها تأخذه دهشة اخرى اذ يرى فيها للتجارة حركة لا ينبيء حتى ظاهرها بكل ما هناك . فهو يشاهد في المخازن من الملابس والمأكول والمشروب ومن اسباب الزينة والترف ما يندر الا في المدن الكبيرة مثل بمباي والقاهرة . اما اذا دخل احد بيوتات التجارة فيستوقف نظره لاول وهلة الدفاتر الضخمة والكتاب . هاهنا وربك ادارة ونظام ، ودواوين يجلس عليها الزائرون لا الزبائن ، فيشربون القهوة ويدخنون . هو الشرق في مظهره القديم والحديث . وفي هذه البيوتات التجارية صناديق من حديد ، واكياس من القود ، ذهباً وفضة ، ويريد تراعى اوقات سفره وقدمه ، وحسابات ومراسلات ، وليس فيها شيء من البضاعة ، وقلما يشاهد فيها غير حركة الكتاب وحركة الزائرين . اما السبب في ذلك فهو بعد ان تعلمه بسيط .

ان البحرين مثل الكويت محطة للتجارة بين الشرق وبين الشطر الشرقي من شبه الجزيرة . ويصح ان يقال فيها من هذا القبيل انها سوق من اسواق نجد ، لان قسماً كبيراً مما يدخل اليها من الهند وايران والعراق ومن اوروبا واميركة عن طريق الهند يباع في الاحساء وفي نجد . وانك لترى منه ايضاً في اسواق بريدة وعنيزة وحائل . بل يصل منه حتى الى اليمن وعسير والحجاز لان القوافل من تلك الافطار العربية تنجي . عن طرق نجران وقلعة بيشه والخورمة

(١) جم جلبوت راجع الشرح في صفحة ٣١ من هذا الجزء .

الى الرياض والاحساء . تجي بين اليمن وجوبه ونمود حاملة من البضائع ما يدخل الى نجد عن طريق البحرين والكويت .

ولا تزال في سلسلة المدهشات . فان رابع ما يدهشك ، اذا كنت ممن يهمهم الادب والشعر ، نهضة في البحرين اديبة اجتماعية مباركة . اجل ، ان في هذه الجزيرة من الادياء والشعراء عدداً ليس بقليل ، وذكاء ليس بضئيل . ان فيها نهضة تقارن اخواتها في الكويت وفي العراق ، وتقارنها روحاً وطموحاً على الاقل في سورية ومصر . كيف لا وهذا نادياها الادبي وفيه من المجلات العربية اكثرها واحسنها ، وهذه غرف القراءة وفيها من الكتب الحديثة والقديمة انفسها ، وهذه المدرسة الابتدائية وفيها يُعلم بعض العلوم التي لا تزال تُمد في اليمن مثلاً من بواعث الكفر والضلال . وفيها من المعلمين المصري والعراقي والنجدي . ان البحرين الأبعد الى نجد ! حبذا المعبر وما فيه من مدهشات التهذيب والعمران . واليك بخمسة منها . لست كما قد يعلم القارىء ممن يحسب بالمرسلين ويستحسنون التبشير بالاديان . ولكن في البحرين معهداً اميريكياً ديني الاصل طبي وتهذيبي العمل^(١) وهو مؤلف من كنيسة يخدمها قسيس ، ومدرسة كانت يوم زرت الجزيرة مغلقة ، ومستشفى وصيدلية يديرهما طبيب فاضل وبعض السيدات اللواتي يساعدهن ويشئن عملاً لا قولاً روح التهذيب والارتقاء في زيارتهن اميرات الحجاب والحريم .

ولكن هذه الرسالة الاميركية المؤسسة في البحرين والكويت والبصرة تستطيع ان تضاعف خيرها وتعممه لو اقلعت عن التبشير بالدين المسيحي وحصرت ما لديها من اسباب البر والحجى في الطبابة وفي التعليم المجرد من حب الهداية الروحية . ذلك لان المسلمين وخصوصاً العرب منهم راضون رضى عجيباً بدينهم ولا يرغبون في سواه بديلاً . واكثرهم لذلك يتعدون عن المدارس التي يديرها

(١) اي الرسالة العربية The Arabian Mission وهي تحت ادارة الرسالة الاجنبية للكنيسة البروتستانتية الهولندية في اميركة Board of Foreign Mission of the Dutch Reformed Church of America .

المرسلون . فلو فرضنا ان في مدرسة الكويت او البحرين ، وهي تجعل من دروسها التوراة ، عشرين تلميذاً فان هذا العدد يزداد اضعافاً اذا الغي التعليم الديني او قرئت التوراة في المدرسة كما يقرأ التاريخ . ان المرسلين انفسهم يعلمون ذلك ، وهم في مدة خمسين سنة لم يتمكنوا من هداية خمسة من المسلمين ^(١) فما الفائدة من التبشير اذن ؟ حبذا مدارس اميركية لا مفزعات دينية فيها تهرب المسلمين منها .

عفواً ايها القارىء . ليس ما يدعش في الانتقاد ، ولكن المرسلين في ثباتهم العقيم مدهشون . فلا تزال اذاً في الموضوع . ومما ادهشني في اليوم الاول من اقامتي في البحرين - وليس فيما اقول غير الجدة والاعجاب - تلك الاتن البيضاء التي تصوق حسناً ونشاطاً حمير الحساء . ومعلوم - عند العرب - ان حمير الحساء احسن ما في العالم على الاطلاق . حمير الحساء ملوك الحمير . واتن البحرين اميرات الاتن . اما السبب في حسنها وصحتها وتقدمك ربلاتها ، وفي نشاطها المقرون بالحكمة ، فهو ان اهل البحرين يطعمونها السمك ثم يقهونها بالشعر . وهوذا مخزن السمك . لا تبادر الى التصليح ، ايها الاستاذ ، فالساحة لا تقيد المعنى . انما المخزن بعينه اريد . وكأنه مخزن قمح او شعير ، ترى فيه السمك الصغير الذي يصنعون منه السردين في اوروبة مركوماً كركام الرمل . فهم يحففونه وبيعونه مثل القمح او الشعير بالاكياس .

اما « دبابية » المستر فورد الامير كافي التي تزجج السياح حتى في البادية وفي اقصى زوايا الارض الموحشة ، فهي اليوم من السكالات في البحرين . ولكنها غداً تصبغ من المبتذلات الحليجات شأنها في كل مكان . فيلحق شرها بتلك الاتن الطاهرة العجيبة . الا ان في البحرين صعوبات في السفر لا يصلح

(١) « وكان الشيخ ينهض ويخرج من المجلس عندما أفتح موضوع الدين . فسألت السبب في ذلك فقبل لي انه خرج ليدخن . . . اما شيخ صور (صور بلدة علي شاطيء عمان) فلم يكن يسمح بالمباحثات الدينية ولا بالحديث عن الدين . وقد قال لي : هذه المباحث لا تفيده ، فلا لأعرب غيرون دينهم ولا اتم تغيرون دينكم » .

لها آلة او انسان . جاء في ذات يوم بعض الادباء يدعونني لزيارة الشيخ في المحرق^(١) وكانت ساعة الجزر فلم نستطع الوصول الى الجلبوت الذي كان في البحر الا اذا اخترقنا السيخة حفاة وخضنا المياه حتى الركاب . فركبنا الاتن الى الجلبوت وشكرنا الله ان في هذا المضمار لا تباري « العداية » الحمار .

ليس كل من يبحرون من المنامة والمحرق او اليهما يركبون الاتن ساعة الزجر ، بل ان اكثرهم رجالاً ونساء ، وقد شمروا عن السيقان وعمما فوقها في بعض الاحيان ، يخوضون المياه بين الشاطي ، والجلابيت وهم يمزحون ويضحكون كأنهم يسبحون ويلعبون . لا اخزن ان مشهداً من مشاهد الرقص في باريس او من مشاهد السباحة في مياه بيارتز في الصيف يضاهي في العري والبهاء هذا المشهد البحراني وقد رُفِع ستاره للشمس والسما . بيد ان مسرحه مسرح الفطرة والسذاجة ، فلا سبيل للهمس ، ولا باب لماساء من الفكر والايام . واغرب ما فيه ان النساء المحجبات يشمرن كالرجال . لم اتمالك مرة ان اظهرت دهشتي ، وبيدي آلة التصوير ، اذ رأيت احدي النسوة تنزل من الجلبوت الى المياه وقد شمرت بكرم فضح ، فقال رفيقي : شيء مألوف . خذ صورتها ولا بأس ، قصورت آية النشور ، اما الوجه فمخذور .

تزلنا في المحرق وسرنا الى قصر الحاكم صاحب السمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ، فاذا في الزقاق الى اصل الخائط عدد من العربان عاقدون الحبة ، واذا في الفناء الكبير جمهور آخر لا يقل عن المئة جالسين على مجالس من اللبن والحجر كل يحمل سيفه او عصاه ، وقد خيم عليهم السكوت كأنهم الاصنام . مشيت في الفناء لا ادري أي مجالس الحاكم انا او في معبر آخر اليه . ولما وصلت الى وسط تلك الساحة الرهيبة وقف احد الجالسين في الصدر ، وهو شيخ صغير القامة ، قصير اللحية ، طاعن في السن ، فتقدمت اليه وسلمت عليه ، فاجلسني على مجلس من الحجر الى يمينه . هو الشيخ عيسى بعينه . رحب بي ولاني لاني تزلت في المنامة ولم انزل في المحرق ضيفاً عليه .

(١) اي شيخ آل خليفة وفي البحرين والكويت كما في نجد يطلقون الجمع على الحاكم .

ثم امر بالقهوة فجمعت في ابريق من النحاس كبير جميل ، يحمله رجل اسود
 عمليق ، لايس معطفاً احمر مزر كشفاً بالقصب ، يتبعه ولد في ثوب رسمي كذلك
 يحمل الفنجانيين . وقف الاثنان امام سمو الشيخ وقوف الجندي امام القائد العام
 فسلا واليد على الرأس ، ثم اخذ صاحب الابريق فنجاناً من الولد فصب فيه وقدمه
 لمولاه ، ثم صب ثانية وقدم الفنجان للضيف فتناولته باليد اليسرى دون ان
 ادرك وقتئذٍ خطأي . لست ادري ما حل بي تلك الساعة فكنت في حديثي كما
 كنت في عملي متعثراً . قل هي سلسلة من المدهشات . وقد كنت هذه المرة
 مصدرها لا موضوع تأثيرها .

دهش الشيخ عيسى ولا ريب من فعلتي الاولى . وعند ما شرعت احده
 امام ذلك الجمع الصامت الساكن في موضوع رحلتي نظر الي وفيه شيء اشد
 من الدهش . وما كدت اذكر امراء العرب وحاجتهم الى التعارف والتفاهم
 حتى وثب عن المجلس ، فوقف الحضور كلهم مثله بفتنة ، وتقدم مني يشيران
 ابعه . مشيت وراءه يصحبنا بعض حاشيته وانا بينهم مثل مذنب يساق الى
 السجن . على ان سمو الشيخ ، عند ما صرنا في الشارع ، التفت الي وقال :
 هؤلاء العربان لا يفهمون ، ونحن لا نتكلم في السياسة امامهم . نمشي الى البيت
 فنتحدث هناك .

متينا الى بيته الخاص فصعدنا الى غرفة فيه على السطح لا يدنو منها
 العربان ولا يصل اليها من الرقباء اذن او عين . وكان معنا حفيده الشيخ محمد
 بن عبدالله واثنان اخران من الامرة الشريفة . جلسنا وانا لا ازال الوم نفسي
 على ما بدا مني فقال سموه دون ان يقصر اللطف في لهجته : تكلم الان .
 فجمعت شتات الفكر وافضت في الموضوع وهو منصت بهز برأسه . ثم قال : العرب
 لا يتحدون . فقلت : وهل تلبون دعوة الملك حسين الى اجتماع يعقد في مكة
 من اجل البعث في شؤون العرب والاسلام ؟ فاجاب قائلاً : اذا لبي سلطان
 نجد الدعوة فنحن نلبيها .

وقفنا عند هذا الحد في السياسة ورحنا بعد ان ودعنا سموه لزور ابن عمه

الشيخ ابراهيم بن محمد المشهور الذي حكم الجزيرة عدة سنين وكان له والانكليز مواقع سياسية انتهت بنفيه وبوفاته في المنفى كما ساذكر فيما بعد . اما ابنه الشيخ ابراهيم فهو اشد ميلاً الى الادب والشعر منه الى السياسة . بل هو شيخ الادباء والشعراء في البحرين ، ومن خيرة رجالها . تلقى العلم في الحجاز من كبار العلماء وله المسام بجمل الفنون . هو رجل عصري في آرائه واحكامه ، يطالع المجالات العربية ، ويتبع الحركة الفكرية والادبية في العالم ، ويسعى ، وهو الرئيس الثاني لمجلس المدارس ، في تمهيد السبيل في البحرين الى بعض خيرها .

حدثنا الشيخ ابراهيم في مجلسه عن جمال الدين الافغاني الذي عرج مرة على البحرين قال : لم يكن في تلك الايام من يعرف لجمال الدين مقاماً ولا من يكثر به . حتى انه لم يجد في هذا البلد من يضيفه . هذا منذ ثلاثين سنة . اما اليوم فالفرق كبير بيننا وبينهم في ذلك الزمان . ترانا اليوم نرحب بالعلم ورجاله . وان ادباء البحرين يفتخرون بزيارة الاديب اللبناني الذي قال فيه سر كيس . . .

ثم انتقل محدثي من مجلة سر كيس الى مجلة المقتطف والهلل ، فسرني ثناؤه على اصدقائي البعيدين كما سرني ما اخصني به لانه خلو من المبالغة والمجاملة . وما كدت اقول لنفسي ما احلاه حتى جاءت القهوة وجاءت معها كلمة استفهام طيبها التأنيب . قال الشيخ ابراهيم وانا امد يدي الى الساقى : وما السبب في تناوئك فنجان القهوة في مجلس الشيوخ باليد اليسرى ؟ قد انتقدوا عليك ذلك . فقلت وانا صادق في عذري : ان في يدي اليمنى وجعاً عصبياً يضطرنى في بعض الاحيان الى استعمال اليد اليسرى . فقال فضيلة الشيخ : عذر مقبول وستشره في البلد دقاً عنك ودفعاً في ما بعد للانتقاد . فقلت وعمى ان يعلن الصدر بسرعة اعلان الذنب . فضحك فضيلته ومن في المجلس .

قد يدهش القارىء اهتمام عالم مثل هذه الامور التافهة . ولكنها ليست بتافهة عند العرب ، وهم اتد شعوب الارض شغفاً بالرسميات . فانهم على اختلاف طبقاتهم يواظبون على اداب الجلوس في المجالس ، وعلى المسائدة او الى السباط ،

مواظبة الطبقة العالية من الاوروبيين . قترى البدوي في مضره مثل الامير في
محصره يحافظ على المقامات ويرعى حقوقها ، كما انه يحافظ على العادات والتقاليد
ويحسن التمييز في ادق خصائصها .

اما امتناع الشيخ ابراهيم عن مشاركة ادباء البحرين في الحفلة التي اقاموها
للاديب اللبناني فلا اظنه من هذا الباب . فلو كان المقام السبب في الاجماع لما
ترأس الحفلة الشيخ محمد حفيد الشيخ عيسى ولما حضرها غيره من الامرة
الشريفة . انما الحقيقة هي ان الشبان الذين اقاموا الحفلة ارادوا ان تنحصر بهم
فلم يدعوا لها الشيوخ . وكنا قد اجتمعنا حلقة حول السباط في دار الشيخ
ابراهيم العامرة كان هو فكرها اللامع ، فحدثنا في احوال البحرين وتاريخها حديثا
فيه لذة وفائدة . ثم شرفني بكلمة تفصح عن وطنية جلابها الحكمة وتاجها العلم
انقلها الى القارىء مثالا من ثمره وفضله :

حضرة الاستاذ الكريم .

دعاني لكتابة هذه السطور ، والدواعي حجة ، ما يدعو المشتاق لبث
اشواق ، والرفيق للتعهدت مع رفاق . وبجال القول في الشؤون الانسانية
واسع كل يأخذ فيه بحسب امياله ، ومقتضى حاله . واهم ما يتحدث به
الاخوان وان تنامت بينهم الاوطان ، هو ما يتواصلون به من رفع شأن
امتهم بين الامم وتبنيه اذهارت خاصتهم الى مطالب عصرهم . واذا نظرنا
الى ذلك بعين الاستحسان من وجه عام فلا شك اننا ننظر اليه بعين
الوجوب من وجه خاص على من رزق من الاقتدار على الكتابة حظ
وافر ، وتفرغ لها بعد ان خاض البحار والقفار ، وفاز بصحبته الكبار
والصغار ، وحاز مزية الاختيار . وقدر له قبل ذلك ان يعيش في العالمين
القديم والحديث ، ويرى مظاهر الحياة من الفريقين . فلا ريب انه يكون
لكلامه التأثير التام في بني امته . فعسى ان لا يحرم ابناء الامة العربية

من اخيهم الامين ما يقوي نهضتهم من اختباراتهم الشمينة ونصائحهم المفيدة .
فالرائد لا يكذب اهله ، والفاضل لا يمنع فضله . من المخلص
ابراهيم بن محمد آل خليفة

الرائد لا يكذب اهله . ما اجملها كلمة من شيخ ادباء البحرين . وقد ردد
صداها الشبان ثراً ونظماً و اضافوا اليها كلمات فيها من الحماسة والصراحة ما يجدر
بالشباب . اني لا ازال اذكر من كلام الشيخ محمد رئيس النادي الادبي قوله :
احمل سلامنا الى جميع اخواننا الناطقين بالصاد وبلغهم اننا قد اخذنا على طائفتنا
السعي في تحقيق امنيتنا وهو رفع شأن امتنا عن طريق العلم وانا مستعدون
لمصافحة كل من يمد يده الينا للتعاون والتعاقد والتعارف والمواد .

والشيخ محمد هو ابن الشيخ عبد الله كبير انجال امير البحرين ، كبيرهم
عقلاً ووطنية وعزماً ، فلا يخلو كلامه من اشارة سياسية .

اما الصراحة كل الصراحة فما كفا . ان بين ادباء تلك الجزيرة العربية
الجميلة شاباً ورد اديه بواقعة المجلات العربية الغرب والشرق فاستقى من
الموردين ، فصفت روحه واشتدت لهجته ، وما كان في الاثنتين غير صراحة
رائدها الصدق ودليلها الحصافة . هو عبدالله بن علي آل زايد ، سلك الكهرياء بين
الادباء . وكأني به يكمل كلام الرئيس في خطبته تلك الليلة اذ قال :

— قل للغربيين اني زرت مصر والحجاز واليمن والعراق ونجد والبحرين
فرايت في هاته الامصار شعوباً تقضت عنها غبار الكسل واستعدت للعمل ،
شعوباً تتوق الى مصافحتكم وانتم الاصدقاء والى مصادقتكم وانتم الزملاء .
ولكنها لا ترضى بحال من الاحوال ان تكونوا لها بمثابة الاسياد قل لهم ان
الشعب العربي هو استاذكم الاول ، ومعلمكم القديم ، فلا تقابلوا الاحسان
بالاساءة وتجعلوا ثواب ارشاده اظالة استعباده قوموا لهم بمقام الناصح المحرر ،
لا الجبار المسيطر . دعوا الزمان الذي كينفكم بكيته ، والعوامل التي اعدتكم
تعدته

هذا من عبد الله بن علي ثر فيه صراحة ، فيها حقيقة ، فيها جرأة

واخلاص . وقد عم ذلك كله بقصيدة جاء فيها وهو يصف اهل الشرق :

غنيهم بجيـل والمداوي عليل والاجانب اولياء

نعم غنيهم بجيـل في المشاريع العامة التهديبية والصحية ، والمداوي عليل بما في خروجه من عقاقير الخزعبلات والتقاليد السقيمة . فاذا ما اصبغ الغني في ما ذكرت كريماً ، والمداوي سليماً من سموم الخرافات ، فتيقن يا اخي عبد الله بن علي بان الاجانب يصبحون اصدقاء وزملاء .

في البحرين اذن نهضة سياسية هي قرينة النهضة الادبية . اجل ، ان في البحرين من ينشدون الوحدة العربية ، وفي نادي البحرين من يرفعون النهضتين الى مستوى الفلسفة العالي ، ومستوى الانسانية الاعلى . فقد ادهشني ايضاً تلك اليلة اديب من ادياء الفرس ، والفرس مهد الفلسفة والحربة الروحية ، في ذكره الشاعرين الصنوين عمر الخيام وابي العلاء المعري . قال محمد صالح الخنجي : اني احب المعري والخيام واني شغف باشعارهما . وقد سرني بسوع خاص ما بلغني من ميلك اليها وغرامك بافكارهما . . . ان البشر لم يزالوا كما كانوا في ما سلف من الزمان وكما وصفهم المعري والخيام . . . ان الاديان الخليفة روحها واحد وانما تختلف الشرائع التي تتضمن احكام المرافعات وفصل الخصومات . . . فالاديان بروحها ومغزاها تدعو للاجتماع والاتحاد . . . الشرفيون كلهم عائلة واحدة . . . خلاصهم وسعادتهم في ان يسود النظام بينهم والوفاق والتضامن .

مرحى ، مرحى .

وها قد اطلمت القاري ، بالقرائن والامثال على بعض ما يدهش في البحرين — وهناك مدهشات تاريخية وطبيعية سيجيء ذكرها — واسمعته في اصوات الادب والشعر شيئاً من الشكوى والانين . فينبغي لي ان اطلمه اذن على الاسباب . على ان البحث في احوال البحرين يجيء ناقصاً اذا لم نتقدمه نبذة في تاريخ هذه الجزيرة وفي حالتها الطبيعية والاقتصادية .



ميناء البحرين



نابذة الرسالة الاميركية في البحرين

الفصل الثاني

مهد الحضارة والتراع

اصل الفينيقيين — شهادة التاريخ — مدافن البحرين — اثار فينيقية — قائد من قواد الاسكندر يزور بلدأ فينيقيا في خليج العجم — صور وجبيل هناك — العرب والفينيقيون من اصل واحد — «صفاق اليم واسياد الشراع» — التجارة الجديدة — لؤلؤ البحرين — سكية ما يستخرج من الخليج — ما هي اللؤلؤة — كيف تنشأ في البحار — رأي العلماء ورأي القزويني — القوس والفيص — اصطلاحات هذه الحرفة — كيف يقسم مجموع اللؤلؤ عند القوس — تجار اللؤلؤ — اخطار القوس — الدؤل — السبب في حسن لؤلؤ البحرين — عجائب الطبيعة وعجائب القزويني — الماء العذب تحت الماء المالح — تصدر الارض من مجد الى الاجزاء — أهل البحرين يشربون من مياه العارض واليهامة.

قال بعض المؤرخين ان خليج العجم هو مهد الحضارة بل مهد الجلس البشري وان سكانه الاقدمين اي سكان الجزر فيه هم اول من رفعوا شراعا في البحار ، واقتحموا اخطار الاسفار ، فمارسوا الملاحة واقتنوا علمها ، وكانوا الصلة العامة بين الشرق والغرب . وقال آخرون ان الفينيقيين هم من هذه الديار العربية . فقد جاء في بعض كتابات المصريين القديمة ذكر البُنْط Pount وهو اسم الفينيقيين قبل ان يحتلوا بلاد الشام . « والظاهر انهم من اصل عربي فقد نقلت التقاليد القديمة انهم ظموا من الديار المجاورة لخليج فارس الى سواحل البحر المتوسط»^(١) و جاء في التاريخ القديم تأليف رولنسون الانكليزي الذي يسند كلامه الى اصح التقات مثل هيروودوط واسترابون : ان اقدم الدول الاسيوية تأسست عند فم الخليج العجمي^(٢) ناهيك بالاثريين الذين يقولون ان القرنة اي البلدة الكائنة على ملتقى دجلة والفرات اليوم هي المكان السعيد العالي الذي سقط منه

(١) لغة العرب الجزء الثاني صفحة ٢٧٠

(٢) موجز التاريخ القديم تأليف جورج رولنسون صفحة ٢٨ و ٣٨ Ancient History by George Rawlinson

الايوان الكريمان — هي جنة عدن ، او كانت . ولا تزال شجرة الخبز والشر
قائمة فيها — ومثمرة — حتى اليوم .

ان علماء التاريخ وعلماء الاثار اذن متفقون مع الانبياء . على انه مهما كان
امر الاساطير وبعدها عن الحقائق الطبيعية والتاريخية ، او قربها من تلك الحقائق ،
فمن المعقول ان الفينيقيين ، وهم من الشعوب الشرقية السامية ومن رجال البحار
الاولين ، نشأوا في جوار الخليج او فيه ، وكانت اسفارهم في البداية بين الهند
والشام ومصر ، ثم ظعنوا الى سواحل سورية وخاضوا البحر الابيض ، فوصلوا
الى قادش وبلاد الغال ، واصبحوا في تلك الايام الصلة التجارية الوحيدة بين
الشرق والغرب الاقصى .

ومما قاله رولنسون انهم كانوا يسافرون من ارواد بيلوس براً الى الخليج
العجمي فيبحرون منه الى الهند وسيلان ، ثم يعودون وهم يحملون الذهب من
اوفير^(١) كأنهم بعد ظعنهم غرباً الى سورية كانوا يعودون الى بلاد هي بلادهم
وقد توارثوا علومها مع علم الملاحة بعضهم عن بعض . ولا عجب اذا كان الخليج
وجواره منشأ الفينيقيين ومطلع انوار المدنية الاولى ، فان ابناء هذه الربوع هم
الذين مصرروا ارض الكلدانيين وشيدوا قصور بابل وآشور .

من المؤرخين من يقول ان الصينيين كذلك نشأوا في جوار الخليج وظعنوا
شرقاً الى البلاد التي هي اليوم بلادهم . ولكننا وان عدنا مع علماء التاريخ خمسة
آلاف سنة فلا يلزم ، وموضوعنا البحرين ، ان نعود الى الاساطير قبل ذلك
المهد او بعده . ان في جزيرة البحرين نفسها ما يثبت رأي رولنسون ، بل رأي
هروود وواسترايون ، في اصل الفينيقيين . ان في الجزيرة اثراً تاريخياً قديماً
لم يكشف بعد كل مره .

ركبتا ذات يوم السيارة ومصرنا من المنامة جنوباً فمررتا بارض ظل نخيلها

(١) اوفير هي البلاد الشرقية التي اشتهرت قديماً بكثرة نضارها . وقد اختلف المؤرخون
في موقعها فمنهم من قال انها كانت على الشاطئ الهندي قبالة عمان ومنهم من قال انها
في افريقية الشرقية .

تخليل ومياهها الجارية في القني غزيرة ، ثم بخرائب قديمة عربية ، ثم بنايات وآكام افضت بنا الى ارض تقفر تارة وطوراً تزدهي اخضراراً ، حتى اذا اجتزنا بضعة اميال وصلنا الى قرية علي ، فانكشف امامنا مشهد غريب عجيب خصوصاً وهو في جزيرة صغيرة مجهولة كالبحرين . تلال او اطلال تظنها لاول وهلة اثار مدينة قديمة . ولكنها آكام هرمية اصطناعية قائمة في سهل فسيح بل في قفر بسبب بين المنامة والرفاع يدعى المراقيب .

هي مدافن البحرين وقد نبت فيها العوسج والقيصوم . هي مدينة الاموات في كف الزمان ، وفيها احياء كالمدينة متفرقة متعددة . وفي كل حيّ مئات من القبور . مدينة دارسة لا يعرف لها تاريخ . كأن سكانها خلقوا وماتوا قبل ان يكتشف الانسان للقراءة سماً وللكتابه مسباراً .

صعدنا الى رأس اكمة علوها زهاء خمسين قدماً ثم نزلنا الى جهة منها فيها اثر البناء — باب كبير وعضادة ونصف عضادة وعتبة امت امكفة تحت الاقدام . دخلنا فاذا نحن في بيت فيه غرقتان بنيتا بالحجارة الضخمة الواحدة فوق الاخرى . ويظهر ان الاموات كانوا يدفنون في هذه الغرف واقفين او جالسين . او ان هذه القبور العالية كانت لامراء الجزيرة واعيانها . هي تختلف علواً ولكنها لا تنقص عن الثلاثين ولا تزيد على الخمسين قدماً . ولكن شكل الغرف والمعابر فيها واحد لا يتغير وكلها في جوار قرية علي . اما المقبرة الفسيحة الارعاء ، المقبرة العامة على ما اظن ، فهي تمتد بعيداً في جهتي الشرق والجنوب ، وفيها من القبور ما يزيد على الستة الاف قبر يتراوح علوها بين الخمسة والعشرة اقدام . هي من اكبر مدافن الشرق ولا يبعد ان تكون اقدمها عهداً .

ومع ذلك لم يهتم لها علماء الآثار والتاريخ اهتمامهم لغيرها . وقد يكون السبب في ذلك نخول ذكر الجزيرة عند عامة الناس وبعدها عن جادات السياح المألوفة . بيد ان رجلاً انكليزياً اسمه دوران^(١) جاء الى البحرين سنة ١٨٧٩ م وكان

اول من فتح مدفناً من تلك المدافن على ما اعلم وباشر الحفر والتنقيب ، فوجد هناك مع عظام الانسان قطعاً من عظام الخيل ، وشقفاً من الفخار ، وآيسة من العاج ، وسجفاً وستائر بالية ، واخشاباً نخرها السوس والديدان . الا انه لم يذكر انه هثر على كتابة او صورة محفورة في تلك القبور .

ثم جاء في سنة ١٨٨٩ سائح انكليزي اخر هو تيودور بنت^(١) وامعن بالتحري والتنقيب ، فعثر على اثار صناعية بعث بشيء منها الى المتحف البريطاني ، فدرستها لجنة المتحف وقالت انها فينيقية الاصل . فاثبتت في ذلك رأي المؤرخ رولفسون الذي حرم ذكره ، واثبتت ضمناً ان هذه القبور قديمة جداً لان هجرة الفينيقيين من هذه الجزيرة الى البحر المتوسط هو منذ خمسة الاف سنة كما يرثي المؤرخ رولفسون . ان هناك دليلاً آخر على قدم عهد هذه المدافن وهو ان لا اثر فيها على اهميتها للكتابة او للتصوير الرمزي .

ان في التاريخ القديم برهاناً آخر على فينيقية البحرين . فقد كتب احد القواد المقدونيين عندما جاء الى خليج العجم من قبل الاسكندر مستقصياً طريق الهند انه زار مدينة فينيقية على الساحل الغربي من الخليج ، ثم جزيرة تدعى نيرين ، وهي على ما يظهر دارين العرب ، ولا تزال قريتها اليوم اسكلة بحرية تدعى جبيل . وادهش من ذلك ان على تناطى عمان الشرقي بلدة كبيرة اسمها صور ، سكانها عشرة الاف واكثرهم نوتيون ، عندهم مئة سفينة كبيرة والقان من السفن الصغيرة تسافر الى الهند والبصرة وبورت سعيد . وصور هذه من المدن القديمة ، وقد كانت في الماضي ، مثل صور الشهيرة على البحر المتوسط ، محطة تجارية بين الهند وبلاد بابل .

هاك ادلة التاريخ والاثار والديار التي لا تزال عامرة على ان الفينيقيين ظعنوا من خليج العجم بل من بلاد العرب الشرقية الى البحر المتوسط . واذا كان يريب القارىء شيء من ذلك فلا مجال على ما اظن للريب في احد امرين : اما ان الفينيقيين من اصل عربي ، وهم مثل العرب ساميون ، واما ان العرب

من اهل فينيقي . فاذا صحت رواية رولنسون ثبتت القضية الاولى واذا صحت رواية قائد الاسكندر ثبتت القضية الثانية . اما اذا كان لا رب في الروايتين فنشأ الفينيقيين ومعادهم كلاهما في هذه الجزر وهذا الساحل العربي من الخليج . ولا فرق عندي في كل حال اذا كان العرب الاصل او الفرع . فاذا كانوا الاصل فمرحبا بالفينيقيين ابنائهم ، واذا كانوا الفرع فمرحبا بالمتحدين من الفينيقيين . لست من الذين يتلذذون بتعليل النور ، وتحليل روائح البخور . وان ما اتقنه هو ان بين الشعبين العربي والفينيقي صلة جوهرية قد لا ترى ولكنها لا تنكر . بل هي ترى في سنة الوراثة وادلة الحياة في الحال . اليها اذن اهود بالقارى .

ان اهل البحرين مثل اهل الكويت بل مثل كل العرب الساكنين على سواحل الخليج لا يزالون من عشاق اليم واسباد الشراع . بل هم اليوم الملاحون السائدون في الخليج وفي البحر الاحمر ، هذا اذا استثنينا السفن البخارية . اجل ، ان العرب اليوم مثل الفينيقيين قديما قابضون على زمام الملاحة ، رافعون فوق ساري الجد علم الشجاعة والاقدام . الا انهم اكتشفوا من مصادر الرزق والثروة غير نقل الابضعة والمتاجرة في الامصار البعيدة . فقد اعتاضوا عن التتك والزجاج بالخفيف النفيس ، باثمن ما يستخرج من اعماق البحار .

لا اعرف من تاريخ اللؤلؤ غير شي . من حياته الطبيعية . اما اكتشافه واول من تاجر به من الرجال ، واول من خدع به امرأة ، واول من تحلى به من النساء فتلك امور اجملها . وقد يكون فاني ما قاله المؤرخون في اول من فتح صدفه واستخرج الدرّة منها ، وما قاله الاثريون والروائيون في اول من صاغها واستغوى العواني بها . قد جاء في التاريخ القديم ذكر ذهب اوفير ولم يذكر على حد علمي لمؤلؤ خليج العجم الذي هو مهد الحضارة والشراع ومهد تلك الصدفة التي يكن فيها المال والجمال .

ان اللؤلؤ مصدر الثروة الاكبر في البحرين واشهر ما اشتهرت به الجزيرة فقد

قد ما يخرج منها سنوياً بثلاثين مليون روبية اي مليونين ليرة انكليزية (١) وقد اجمع الاخصائيون ان مغاص البحرين هو اكبر مغاص في العالم مثلاً اجمع الصاعه ان لؤلؤ البحرين يفوق صفاء وحسناً سائر اللآلي . لا بأس اذن ونحن في الموضوع من الامام بسيرة هذه الخلوقة العزيزة الغالية . وان ما اورده الان هو من كتب العلم والخبراء لا من دواوين الشعر والشعراء .

اللؤلؤة بنت المحار ، بيتها الصدفة ، وبيت الصدفة البحر على الدوام لولا يد الانسان . اما المحار فعرب البحر الاحمر يقسمونه الى قسمين ، الصدف وهو الكبير الذي يندر اللؤلؤ فيه والبأبيل اي صغير الصدف منبت اللآلي . فاذا ما استخرجوا الدرّة من البلبيل يرمون بصدفتها ولكنهم يحتفظون بالصدف الكبير فيتجرون به . وقد قيل لي ان قيسمة ما يصدّر من الصدف واللؤلؤ من البحر الاحمر لا تتجاوز المليون روبية لان مغاص اللؤلؤ فيه قليلة صغيرة .

اما قصة الصدفة لها كها بالابحاز . هي في يوم الولادة تلقي بيضها الاصفر على وجه الارض في قعر البحر ، وهو مثل حب الخشخاش يتجمع حبة حبة فيتلون منه القعر . ثم تنشأ البيضة فتغدو كحبة العدس ، فينبث لها عروق خضراء برافة مائلة الى الازرقاق ، فتنمو العروق حتى تصير كالانامل طولاً وهي دقيقة كالشعر ، شديدة كجيل من مسك . وعندما تنمو عروق الصدفة ترسب فتثبت في مكان صلب من القعر . ومنها ما تطفو فتتحرك بحركة البحر وتنفرق بعضها عن بعض ، بل تظل تندرج حتى تلتقي صخرأ او شجرة او مكاناً صلباً من القعر تدق او تادها فيه ، تمكن عروقها منه . وهي لا تأخذ بالنمو الا بعد ان تنتهي من

(١) وقدّر ما يخرج من الكويت بقيمة ثمان ملايين روبية ، ومن القطيف باربعة ملايين ، ومن جيبيل بستمئة الف روبية ، ومن عمان بخمسة عشر مليون ، ومن لنجه وقيس بمليون ونصف فيكون المجموع من الخليج سبعين مليون روبية منها مليون ونصف من جزيرتي لنجه وقيس وهما قرب الساحل المعجمي الجنوبي . قد يكون في هذه الارقام بعض المبالغة ولكنها لا تفرق عن ثلاثة ارباع القيمة المذكورة . وقد اخبرني العارفون بان مغاص اللؤلؤ يمتد من دني في عمان الى رأس المشعاب جنوبي الكويت وحصله في الجانب الغربي من العربي من الخليج .

الدوران ، وثبتت في مكان . ففتتح اذ ذاك فمها اي صدفيتها للغذاء وجله من العطين . اما ما قيل بان المحار يصعد الى سطح البحر وقت الشتاء ليشرّب الماء القراح فاخطأ فيه لا يحتاج الى برهان ، وقد اتضح بما تقدم انه يعيش ملتصقاً بالصخور او بالارض الصلبة .

كأنني بالقارىء يقول : وعدلنا بترجمة اللؤلؤة فحسبنا بقصة المحار . على اني قلت ان اللؤلؤة بنت المحار ، وفي القول من الشعر أكثر ما فيه من العلم . اما الحقيقة العارفة الباردة المؤلمة فهي ان اللؤلؤة بنت مرض يصيب المحار ، او بالحري نتيجة خلل يعترى نظام الافراز فيه والذي يظنه علماء الحيوان هو ان حبة رمل او بيضة او حشرة تدخل مع الغذاء فتتهيج منها اغشية المحار ، فينتج عن ذلك افراز غير طبيعي يتكون منه كتلة كلسية لماعة هي اللؤلؤة (١) . فاذا جاءت الكتلة هذه متوسطة في اللحم كانت نفيسة ، واذا لامست او قاربت الصدف كانت رديئة .

وفي سبيل هذه الكتلة الكلسية يقادي الكثيرون من رجال الغوص بصحتهم وبارواحهم . فأكثروا يوعفون حينما يرفعون الى وجه البحر ، ومنهم من يصابون بداء الرئة . ذلك لان الغوص يلزمه مع الجرأة والخفة نفس طويل . والنفس اذا طال تعبت به الرئتان ، واذا طال تحت الماء جاء فوق الامساك ضغط تفتجر منه في بعض الناس الشرايين .

اما موسم الغوص فهو « من اول برج الثور الى اوائل برج الميزان » (٢)

(١) اما رأي علماء العرب فصاحب كتاب عجائب المغلوقات اجدرهم بالذكر . قال القزويني في الجزء الاول من كتابه صفحتي ١٩٩ و ٢٠٠ هلى هامش كتاب حياة الحيوان للسميري ، ان الرياح وقت الربيع تحمل الى بحر فارس رشاشات من بحر اوقاس وفيه ماء شبيه بالزئبق لزوج مثل القراء فيتولد منه الدر بان تقع تلك الرشاشات في محل الصدف فيلقته الصدف كما يلغم الرحم المني . وربما وقعت فيه قطرة كبيرة فتتخذ ندأ كبيراً ، وربما تقع رشاشات فتتخذ منها اجزاء صغار كما ترى في أكثر الاصداف . هذا رأي القزويني وليس فيه شيء من العلم او من الشعر .

(٢) برج الثور و برج الميزان يشتملان في دورتهما على الاشهر التي تعرف عندنا باسهر الربيع والصيف ، اي من ايار الى ايلول .

كما يقول الشيخ البهائي^(١) الذي يعود الى الافلاك مثل كل اعرابي ليحدد الازمنة . وقد اخبرنا في كتابه انه « اورد صفة الغوص » وان كانت معلومة لانه اطلع على رحلة ابن بطوطة فرآه يصف مفاص الجواهر بخلاف ما يشاهد في هذا الزمان .

السفن التي تستخدم اليوم للغوص هي على نوعين السنيوك والجلبوت^(٢) اما في الماضي فقد كانت على انواع شتى منها البغلة والبقرة وكلها شرعية . واهل الغوص يعبرون عن مجموع السفن بالخشب ويسمون ابتداء الموسم الركبة وانتهائه القفال وهم يدعون اللؤلؤ قماشاً والجواهر دانات .

في البحرين يباشر صغار الغاصاة العمل قبل ابتداء الموسم فيجيشون في فصل الشتاء الى ساحل البحر وغوصون في عمق ذراع او يزيد يلتقطون ما يجذونه من الصدف . وهو لاء يسمى « الحوتى » . فاذا اجروا وغابوا يومين او ثلاثة يسمون « العزاب » لعزوبهم اي بعدهم عن المدينة . وهناك صنف اخر هم « الخانجية » اي الذين يتجهزون لغية اسبوعين في الغوص او ثلاثة اسابيع . ثم يتأهب اهل البحرين للغوص العام اذا مضى النصف الاول من برج الثور ، ويقفلون راجعين اذا دخل برج الميزان ، فيبيعون ما يغمون من البحر وينقاصمون .

لكل من يشتغل في الغوص اسم يعرف به . فيدعي كبير السفينة « ناخوذاه » والذي يغوص « الغيص » والذي يجرب جبال الغيص « السيد » والمساعد لهم « الرظيف » ثم الخادم التلميذ وهو « التياب » . هو لاء والبحرية يخرجون في جلبوت مزود بالزاد والماء الى مكان من امكنة الغوص المعروفة التي يبعد بعدها ثلاثين ميلاً عن البر ، ويتراوح الغمق الذي يغوصون فيه بين ثلاثة ابواع واربعة عشر باعاً . يسرون الى موارد الخطر والثروة وهم ينفون او يرددون بعض الايات انعاماً ساحرة . يسرون في ظل الشراع مطمئين ،

(١) قد قرأت في وصف الغوص ما كتبه الشيخ خليفة بن محمد النبهان وهو ينطبق على ما سمعته من الثقات فلتصت بعضه لاني الموضوع حقه .
(٢) راجع الشرح في صفحة ٣١ من هذا الجزء .

وإذا انتدت الريح فيجاهدونها في سبيل الدر والحياة . — توكلنا على الله . . .
صلِّ على النبي . . .

ها هم في مكان الغوص ، وقد طوي الشراع ورما الجلبوت . هات الحبال
يا سيب . هات الحديد^(١) يا رظيف . هات الدِّين^(٢) يا آيَّاب . وهوذا
الغيص وقد وضع القطام^(٣) في انفه ، والحديد في رجله ، والدِّين في عنقه ،
ثم يسك نهسه وقد سجب وجهه بكفيه ويطيح . توكلنا على الله ! صوت موجة
تثقل فتكون حلقات ، فتكبر ، فتتفكك ، فتتلاشى . راح تحتها الغيص يعني
الجواهر في الحار .

وهو حالما يصل الى القمر يفتح عينيه ويتزع من رجله الحديد او الحجر
غير فعه السيِّب بالزَّيْبِل^(٤) الى السفينة . ومنهم من يلبس قفازاً من جلد ثم
يشرح يمشي على يديه ، ورجلاه مرفوعتان والجدا^(٥) بين ابهامها ، وهو يانقط
الصدف ويضعها في الزنبيل . فاذا ضاق ذرعه او امتلأ زنبيله جذب الجدا اي
حبل الزنبيل فيصيح السيِّب : « نَبْر »^(٦) بين هو يسحب الحبل والغيص
متمسك به . فاذا صار على وجه الماء تزع القطام من انفه وتنفس ، وبأخذ
السيِّب الزنبيل فيفرغه في وسط السفينة ويدفعه اليه فيعود الى الغوص . وهكذا
الى ان ينتهي النهار . وهم يسمون المرة الواحدة من النزول والصعود « تَبَه »
وهي لا تقل عن الدقيقة ولا تزيد على الثلاث دقائق اي مقدار ما يستطيع ان
يستمر الغيص تحت المياه . بعد انتهاء الغوص كل يوم عند الغروب او قبله

(١) وقد يكون حجراً او رصاصاً يتراوح وزنه بين الاثني عشر والخمسة عشر رحلا
يصعله الغيص في احدى رجله ليسرع به الى قعر البحر .

(٢) الدِّين زنبيل من حبال الليف مشكاً مثل الثربال الا انه واسم الحروق .

(٣) القطام مثل المقرض مصنوع من قرن الوعل او من عظم السلحفاة يصعله الغيص

في انفه ليمنع النفس .

(٤) الزَّيْبِل حبل مربوط به الحجر ومتصل بالسفينة .

(٥) الجدا حبل آخر مربوط به الزنبيل . والاثنان يتولاهما السيِّب .

(٦) « نَبْر » كلمة يرددونها عندما يجذب الغيص الحبل برجله اي يطلب من رفاته

بهذه الاشارة ان يرجعوه الى وجه الماء .

يفلقون الصدف ويخرجون ما يجدونه من اللؤلؤ فيها . اما اذا فرغ زادهم او ماؤهم فيأتون الى البر ليتزودوا ويعودون الى العمل حتى انتهاء فصل الصيف .
التاخوذاه هو مدير العمل فيجمع اللؤلؤ كله ويتولى بيعه ، فيأخذ من مجموع قيمته الخمس ويقسم الاربعة اخماس بين رجاله بعد ان يحسم من قسمة كل واحد قسمة زاده ، فيعطي النقيص نصف قسمة الاربعة اخماس ، والرظيف ثلثا الباقي ، والسيب الثلث الاخر . اما التياب فليس له غير اكله وفائدة التمرين على الغوص . هؤلاء هم الغاصة اي الذين يستخرجون اللؤلؤ بانفسهم وعلى حسابهم .

اما الذين يغوصون لحساب غيرهم فهم يستأجرون السفن ومنهم من يستدين المال . والذي يكري السفن ويقرض المال يأخذ خمس قيمة اللؤلؤ الذي يجمعونه ، ثم نصف الخمس اجرة السفينة ، ثم نصف خمس اخر فائدة المال . وهم اي الغاصه ينقسمون الثلاثة اخماس الباقية بحسب القاعدة التي مر ذكرها . اما اولئك الذين يكترون السفن فقط فلا يدفعون غير نصف خمس اللؤلؤ اجرة السفينة . الا ان الغالب في الطريقتين الطريقة الاولى اي التي ينال بها صاحب السفن والمال خمسي قيمة اللؤلؤ المجموع .

وهناك تجار اللؤلؤ واكبرهم في البحرين . فهم يبيعون ما لديهم منه في الجزيرة من تجار اوروبيين ومن البنيان الذين يجيئونها في الموسم لهذه الغاية . او انهم يسافرون به الى بيساي فيبيعونه هناك . ومن هؤلاء التجار من يسعون « بالطواو يش » وهم الذين يخرجون الى محل الغوص وبترون من النواخذة بعض الجواهر ، فيدفعون ثمنها اما نقداً واما تمراً وزاداً . والنواخذة يفضلون الزاد في بعض الاحايين لانه يكفيهم مؤونة الرجوع الى البر للتموين .

اشرت في ما اسلفت الى اخطار الغوص والى صفاء لؤلؤ البحرين وحسنه . فعلي اذنت ، قبل ان انتقل من الموضوع ، ان الحق الاشارة بكلمة ابضاح وجيزة . قلت ان من الغواصين من يصابون بداء الرثتين واكثرهم حينما يخرجون من الغوص يرعفون . وقلما يهمهم ذلك . فهم لا يخافون الا من الدؤل

عدوهم الاكبر . وما هو الدول ؟ عدت الى الدميري والتزويني فلم اعثر في بحر علومها على الدول . ولا جاء ذكره عرضاً حتى في الكلام على اعجب مخلوقات . في كل حال اني ، وان ذكرت ما قاله التزويني في الصدف وتكوين الدر ، اميل الى سواء من الثقات وخصوصاً اذا كانوا من هذا الزمان . لذلك افسح للشيخ خليفة بن محمد النهائي الذي خبر الغوص بنفسه ورأى بام عينه الدول . قال وقاه الله شره :

الدول حيوان هلامي لا يهتدي في سيره لجهة ، وانما تقذفه الامواج على وجه البحر . وهو بقدر الكف فاصغر ، مدور له خيوط طوال نحو ذراع فاطول ، كانه حرير مشبك . فاذا لامس هذا الحيوان جسم ابن آدم احرقه حرقاً مبرحاً . وربما اطاب الموضع الذي لامسه . ولورفع هذا الحيوان من الماء واصابته حرارة الشمس مقدار خمس دقائق لذاب وتحلل ماء ولم يبق له اثر

اهل الغوص يلبسون ثياباً ضيقة ملازمة للجسم انقاء شره . ويوجد كذلك نوع اخر يسمى اللوياتي ، وهو مثل الدول هلامي ، ولكنه احمر اللون وضرره اخف من ذلك فاذا لامس الجسم احرقه بدون تبريح فيرم اللحم فيبقى اثره والمسه نحو ساعتين . اما اذا سخن الجسم الملتدوع على النار فالالم يزول منه . (١)

بقي ان اذكر السبب في نفوق لؤلؤ البحرين وهو من عجائب الطبيعة في هذه الجزيرة . قد اجمع العارفون بان الماء الحلو يحسن اللؤلؤ ، فاستنتج من ذلك ان المطر هو سبب ذلك الحسن ، وان الصدف يصعد الى وجه البحر ليشرب من ماء السماء . غير ان الحقيقة العلمية في التصاق المحار بالصخور قبل نموه تفسد هذا القول . ولو صح ان المطر هو سبب الحسن لكان لؤلؤ جزيرة سيلان ، لكثرة

الامطار فيها ، احسن ما في العالم . وقد فانت هذه الحقيقة القزويني الذي نقل عن البحرانيين كلمة نصفها صحيح ونصفها خطأ^(١) . قال : ان صدف الدر لا يوجد الا في بحر تصب فيه الانهار العذبة . والحقيقة كل الحقيقة هي خلاف ذلك . فلو قال ان احسن صدف الدر اطلع لجاء بالصواب .

الماء الحلو اذن يحسن الدر ولكنه اذا صب في البحر فقد صفاته . اما الانهار فليس منها في البحرين ، وانما هناك ينابيع من المياه العذبة هي من عجائب الطبيعة . ينابيع في وسط البحر تحت المياه المالحة . ومنها ما هي قريبة من السواحل . في البحرين نحو خمسة وعشرين نبعا مشهورا يبعد بعضها عشرين ميلا عن البر ويعلوها البحر من الثلاثة الى السبعة ابواع . مياه عذبة تحت المياه المالحة تفور من الارض على المدوام . وتلك التي تقرب من الساحل تظهر ساعة الجزر للعيان فيستقي اهل الحلة منها . على ان البحارة يفوضون للبعيدة العميقة كأنها اللؤلؤ فيملأون منها القرب بان يجعلوا القربة او الاناء فوق الفوارة الى ان يمتلي . ومن هذه الينابيع التي يشرب منها اكثر اهل البحرين القريبين من السواحل تشرب كذلك الحار ، فتتحسن فيه تلك الكتلة الكلسية البراقة . هي السبب ولا مراة في جمال لؤلؤ الجزيرة ذاك الجمال الممتاز . واغرب من كل ذلك ان تلك المياه العذبة تصل الى سواحل القطيف

(١) لصاحب كتاب عجائب المخلوقات اراء اخرى مضحكة في الموضوع منها ، ان الصدف اذا ابتعت المطر خرجت من قعر الماء الى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها . ولا تخرج في وسط النهار لان شدة حرارة الشمس ووهجها يفسد الدر (كأن الصدف مدركة عملها وطالبة الكمال فيه) فاذا خرجت فتحت فاعا ليقع الشمال على الدر فينقعد من اثر الشمال وحرارة الشمس ويتكون في الصدف كما يتكون الجنين في الرحم . واذا تم الدر في الصدف ينتقل الصدف الى موضع صلب ويثت عروقه فيه . انتهى كلام القزويني .

اما الحقيقة فعكس ذلك كما تقدم . ولا يستغرب هذا الخطأ في كتاب جله عجائب واوهام هالك امودجا آخر منه . قال القزويني : بارض اليمن نهر عند طلوع الشمس يجري من المشرق الى المغرب وعند خروجها يجري من المغرب الى المشرق . وليس هذا باعجب من جبل هرمز بطبرستان (الجزء الاول ، صفحة ٢٧٩) الذي ينزل منه الماء وينصب الى وهدة فاذا صاح الانسان صبيحة يقف ! واذا صاح اخرى يسيل !

والاحساء وثجبي، البحرين من مرتفعات نجد، من وراء الدهناء. فقد تتبع علماء الجغرافية الذين ساحوا في البلاد بحاري مياهها ومصب انهرها الغائرة. من المعلوم مثلاً ان الرياض تعلو عن البحر الف وتمائة قدماً وان جبال العارض هي فوق الرياض وهي ككسبية تمتص جل ما يتبخر من المياه فتجري تحت الارض وتصب في وادي حنيفة. بل ان مياه العارض ووادي حنيفة تجتاز الدهناء والنفود فتصل الى الخليج.

قال المستر هوخارس^(١): لا شك ان قسماً من هذه المياه (اي مياه العارض واليامة) عملاً بتحدد الارض ترشح تحت ما يعترضها من ظهور الجبال فتجري خلال الطبقات الحصوية وتظهر على الساحل فتسقي واحات الاحساء والقطيف، وتتكون منها الينابيع العذبة في مياه البحرين.

(١) D. G. Hogarth, Penetration of Arabia . P. 342
في كتابه « التوفل في البلاد العربية » صفحة ٣٤٢

الفصل الثالث

البحرين

البحرين في قديم الزمان — بلاد عربية لم يبقَ منها غير الاسم — جزيرة صغيرة كبيرة — جوهرة في جيب الخليج — مركز للتجارة والحرب — سكان البحرين وسكان نجد — اربسة وخمسون نفس في كل ميل مربع — مدن البحرين — الثامنة ميناء الجزيرة — الرفاع مدينة الامراء — العنجير حي الصحة والسكنة — جبل الدخان ولا دخان فيه — البديع عقر الدواسر — جو وكان فيها قصور شاذة الى الجو — المحرق عاصمة البحرين — الحد وفيها السادة العلويون — قزادة المياه والابار — طريقة عبد الملك بن مروان في الاستيلاء والاستعمار — علي وعليهم يارب — دوايب الهواء — اليابان تحلو حذو الحار .

ان البلاد الواقعة على الساحل العربي الشرقي كله ، من البصرة الى عمان ، كانت تدعى في قديم الزمان البحرين ، وقد اطلق العرب الاسم عليها لانهم اعلوا ما اظن على شاطيء البحرين ، بحر عمان وبحر فارس ، وجعلوا عاصمتها تجر . ثم خص هذا الاسم بقسم منها بين القطر والتطيف وهو الاحساء لان الطامعين بالسيادة من امراء العرب ننازعوها فنقاسموها ، فاستمرت تجزأ وتضفر حتى كاد الاسم يسي بلا مسمى . ولكن الذين تزحوا الى اقرب الجزر الكبيرة من الساحل الشرقي ، او بالحري هربوا من الجور طالبيين الاستقلال والاطمئنان ، احتفظوا بالاسم فاطلقوه عليها .

كانت قبائل تدعى أوال ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان قال : انها جزيرة يحيط بها البحر في ناحية البحرين . وأوال صنم لبصكر بن وائل واخيه تغلب ، فسميت الجزيرة باسمه لان بني وائل مع عبد قيس كانوا يسكنونها في ذلك الزمان . ساجي ، في ملخص تاريخها في الفصل التالي على ذكر من استولى عليها بعدهم من الامم والشعوب .

اما الان فموضوعي الجزيرة نفسها الحاملة اسم تلك المقاطعة التي تكبرها مئة ضعف . هي جزيرة صغيرة ومع ذلك كبيرة . صغيرة في مساحتها التي لا

تتجاوز الاربعمئة وخمسين ميلاً مربعاً ، كبيرة في غرائب تاريخها الطبيعي والسياسي . وهي على صغرها عامرة بمئتي الف من العرب والاعاجم من الشرق والغرب . بيد انها لا تزال عربية الاصل والحكم ، وعربية اللغة والروح ، لان اكثر سكانها من العرب الاصليين ، عرب نجد ، وفيهم من المذاهب الاسلامية المالكي والشافعي والحنبلي والحنفي والجعفري . اما الجعفريون فهم مثل الهنود يعدون من الاجانب لانهم ايرانيون او ايرانيو التبعة .

ليس بين مسقط والبصرة اجمل من مركز هذه الجزيرة . وليس اصحح منه للتجارة او للحرب . فهي فتوسط الخليج في زاوية حصينة منه ، كأنها بارجة راسية في جون منسع بين قطر والقطيف . او كأنها ياخرة دنت من الساحل الذهبي المحيط بها ترفع علم السلم والتجارة . بل كأنها ، وهي عند مهد اللؤلؤ ، جوهرة كبيرة في جيب الخليج . فلا عجب اذا تسابق اليها الفاتحون في قديم الزمان ، ونازعها من الامم ذوات الصولة والعرفان . وهي لا تزال محط رحال التجار يجيئونها من الهند وفارس ، ومحط رحال الطامعين بالسيادة المطلقة على خليج العجم .

ان البحرين لمثل مدينة كبيرة في ازدهام سكانها . ولولا موارد الثروة من اللؤلؤ فيها ، ولولم يكن مجال التجارة فيها متسعاً ، لاتزح عنها نصف سكانها . اذ قلما تجد في العالم خارج المدن بقعة من الارض معدل سكانها في كل ميل مربع اربعمئة وخمسون نفساً . قابل بين البحرين ونجد مثلاً فتدهشك المقابلة . في مملكة ان سعود اليوم مليونان ونصف مليون من العرب على الاكثر يعيشون في ارض مساحتها اربعمئة الف ميل مربع في الاقل . فيكون معدل سكان الميل الواحد المربع مئة نفس لا غير . ولكن نصف هؤلاء من البدو ، اية الرعاة واصحاب المواشي ، ونصف ارضهم من الرمال والمفاوز التي لا ماء فيها ولا كلاء . فالميل المربع قليل اذن على اعرابي واحد مع عياله وانعامه ، كما ان الميل المربع في البحرين ، على كثرة مياهها وخصب تربتها ، قليل جداً على اربعمئة وخمسين من عباد الله - لولا اللؤلؤ كما قلت ولولا اسواق نجد والحسا .

جاء في التاريخ ان هذه الجزيرة كانت عامرة بالسكان في قديم الزمان . فقد كان فيها من المدن ثلاثون مدينة ومعها ثلاثمائة من القرى . ولكنها ، وهي دائماً مطمخ الفاتحين والمستعمرين ، ابتليت بما ينقدمهم ويرافقهم وينبهم من الفتن والحروب ، فتداعى قسم من عمرائها واضمحلت ، ولم يبق فيها اليوم سوى ثماني مدن وبعض القرى التابعة لها . اما سكانها الذين لا يفوصون ، ولا يركبون لرزقهم البحار ، فهم يزرعون الارص . والذين لا يزرعون يتاجرون .

أكبر مدن البحرين المنامة^(١) وهي على الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة . عدد سكانها اربعون الفا من العرب والايرائيين والهنود والاوروبيين ، وفيهم المسلم والمسيحي واليهودي والفارسي^(٢) والهندوس . هي الميناء العام للبحرين ومركز احد فرعي حكومتها المزدوجة ، اي الفرع الانكليزي ، ومحور التجارة ، فيها بيت البريد والبرق ، والمحجر الصحي ، ومرقاً ومخازن كبيرة للجمرك امر بنائها الشيخ عيسى آل خليفة . وفيها ايضاً « قلعة الديوان » التي بناها احد ملوك العجم ، وكثير من البيوت الفخمة الهندسة والبناء . الا ان ارضها سيخة يفسد منها الهواء فتكثر فيها الحميات . وعلى مسافة نصف ساعة من المنامة غرباً يجنوب اثر تاريني قائم في ساحة تدعى سوق الخميس لان هناك تقام كل اسبوع سوق للبيع والشراء . ذاك الاثر التاريني هو من عهد عمر بن عبد العزيز الاموي ، وهو بقية مسجد قديم ومنارتان متقابلتان طول الواحدة نحو خمسين ذراعاً . وهناك بالقرب منه عين تسمى ابا زيدان وفي جوارها ما هو اهم من الاثار القديمة اي اثر ينابيع من زيت البترول .

اذا مرنا شرقاً بجنوب من هذا المكاتب واجتازنا المراقيب ، حيث مدافن البحرين القديمة التي مر ذكرها ، نصل بعد ساعة الى الرفاع ، مدينة الامراء السابقين من آل خليفة ، وفيها بقية قلعة قديمة تبدو في اساس القلعة الجديدة

(١) كانت تسمى المنامة فعرفها الاحامم الذين استولوا عليها . ومن قائل انه كان فيها قصر لنام احد ملوكها السابقين فسميت به .

(٢) اي الميوسمي من اتباع ازدرشت . وهو يعرف اليوم بالفارسي . Parsi



الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين وابنه •

التي شيدها الشيخ سليمان بن احمد . وحول الرفاع رياض مشهورة اهمها الصُخَيْر
تكثر فيها العيون والآبار والنخيل . اما الصُخَيْر فهي على ربوة الى جانب الرفاع
الغربي اسسها الشيخ حمد الحاكم الحالي ، وهي لطيفة الهواء ، عذبة الماء ، فسيحة
الفناء . الصخير هي حى الشيخ حمد ، وحى الصحة والسكينة .

من الصخير نشرف على جبل الدخان ، ولا دخان فيه اليوم لا لبركان
ولا لانسان . هو جبل مستطيل ، فيه غار كبير ، داخله بيت بقباب منحوتة
كأنه من بناء الانسان ، وفي رأس الجبل برج قديم متهدم . واذا استمر السائح
شرقاً من الرفاع يصل الى سُترة او كما يقول البحارنة « حالة سترة » ثم
يسمون « حالة » كل قرية تحيط بها الماء فتجعلها شبه جزيرة . وهي مقيظ
الشيخ خالد اخي الشيخ عيسى ، وفيها وفي القرى التابعة لها عيون كثيرة ونخيل
وبساتين .

هذه من المدن والقرى في الجهة الشرقية . اما في الغربية فالبدائع قبال
الرفاع وعلى ساعتين من المنامة هي سكن الدوامر وغيرهم من العرب الاشواوس .
ومن قراها قرية جَوْ نزلها في قديم الزمان احد مشايخ العرب المشهورين
بالهمة والاقدام يدعى الشيخ احمد رزق فعمرها وبني فيها المساجد والبرك
الكبيرة لحفظ المياه ، فقال احد المؤرخين فيه : سكن الشيخ رزق بلدة الجو ،
وبنى قصوراً شاهجة الى الجو . ثم ظعن ونزل الزُّبارة في رأس بر قطر . وكان في
نبتة ان يفصل هذه البلدة عن قطر بخليج يحفره بينها وبين البر طوله ثلاثون ميلاً .
ولكن قومه ، وهم من اهل البادية ، لم يرضوا بذلك لاحتياجهم الى القتالي في
بر قطر يجعلونها مرعى لانعامهم .

اما عاصمة البحرين الرسمية العربية اى المدينة التي يسكنها الشيوخ فهي
المحرق الكائنة في جزيرة صغيرة شرقي المنامة على مسافة نصف ساعة منها في
الجلبوت . وهي تفضل المنامة بطيب هوائها لبعدها كما يزعم العرب هناك عن
النخيل . فهم يظنون ان الاوبئة تكن في ظلاله . والاصح انها تكن في
المستنقعات التي بسببها نقص او اهمال في ري النخيل . المحرق مركز النهضة

الإدبية اليوم وفيها المدارس والنادي الأدبي والشبان الغواة بالأدب والعلم . وفي جزيرة المحرق مدينة أخرى اسمها الحد يسكنها السادة العلويون وبعض آل ابن علي المشهورين في تاريخ البحرين . ويتبع كل من هاتين المدينتين خمس قرى يشرب أهلها من ينابيع البحر العذبة .

إن الماء القراح غزير في البحرين لو أنهم يحفرون له الآبار والقني فيجمعونه في عيون يستقي منها أهل المدن والذين يسكنون داخل الجزيرة . أما اليوم فالينابيع كلها هي قرب البحر لذلك يقصدها سكان المدن في الصيف فيقيمون حولها بيوتاً من جريد النخل موقفة يتفنون في بنائها لتقيهم حر الشمس ولا تمنع عنهم الهواء . وقد قيل إن مياه هذه الجزيرة معاردم من آبارها تزيد على ما يلزم أرضها وتحتاج إليه سكانها .

نعم ، قدردم في الماضي كثير من آبارها . والقصة كما يرويها العارفون من أهل البحرين وبعض المؤرخين هي أن عبد الملك بن مروان الأموي لما رأى من أهل الجزيرة بطراً في غنائهم وتمرداً على خلفاء بني أمية ، أمر بردم العيون ليقل زرعهم وأموالهم فيفتقروا ويخضعوا للامراء . هو من أغرب مصادونه التاريخ من أساليب الحماقة في الاستيلاء - والاستعمار . وإن من يقارن بينه وبين سياسة الأمويين في الأندلس ، وما أوجدوه وانقوه من أسباب الزراعة هناك ، يستغرب جداً هذا الأمر ويكاد ينكره . على أني شاهدت في رحلتي ما يثبت أن العرب في احتقادهم وثاراتهم وحروبهم يتكلمون مثل هذا التكلم ياعدائهم وبأنفسهم . قد رأيت عيوناً في نجد كانت سبب الشقاق بين القبائل ، فلما استولت عليها القبيلة القاهرة دمرتها وردمتها لكي لا يشرب منها العدو إذا خرجت بعدئذ من حوزتها . علي وعليهم يارب . فلا تستغرب إذن فعلة الأموي عبد الملك بن مروان الذي أمر بردم عيون البحرين ليفتقر أهلها فيطيعوا أمراءهم .

ومع ذلك فالجزيرة لا تزال غزيرة المياه كثيرة النخيل والبساتين . فيها من أنواع التمر مشة نوع ويزيد حتى أنه كان يضرب بها المثل فيقولون :

كناقل التمر الى اُوال . وقد شاهدت في الجزيرة عدداً من دوالب الهواء
مجلوبة من الولايات المتحدة ، فتضاعفت مياه البساتين التي يكثر فيها انواع الثمار
كالليمون والموز والخوخ والكثيري والعمب والمان .

كافي باهل البحرين ، وقد ادر كوا الضرر الذي سيلحق بتجارة اللؤلؤ من
الاختراع الياباني اسي توليد اللؤلؤ بالطريقة الصناعية ، بادروا الى اميرك
يستنجدونها بما عندها من اسباب الزراعة والري الحديثة . فاذا كانت اليابان
تحدو حدو المحار وتباريها فتخط من قدرها ، فالبحارنة يشمرون هن ساعد الجند
ليضاعفوا في الجزيرة مواردها الزراعية .

الفصل الرابع

البحرين في التاريخ الاسلامي ^(١)

مستعمرة فارسية حاكها وسكانها من العرب — النبي بعث العلاء الحضرمي ليدعوهم للإسلام — عبد قيس ووائل وتميم يسلمون — الردة — رجوع العلاء — خالد بن الوليد — تأديب اهل البحرين — فتح قطر وبلاد فارس — البحرين في حكم الامويين — في حكم العباسيين — صاحب الزنج — القرامطة — ابو طاهر في الكعبة — الامارة العبوتية في البحرين — جنكيزخان وتيمورلنك — فسكو دي غاما والقونسو البوكره — البرتغاليون في البحرين — الأتراك بخرجون البرتغاليين من البلاد العربية — الانكليز يساعدون الأتراك — الفرس في البحرين — مستعمرة فارسية — فساد الحكم الفارسي وتلاشه — آخر عامل من عمال الشاه .

كانت البحرين ، اي البلاد التي على الساحل من البصرة الى عمان ، مستعمرة فارسية قبل الاسلام وفي السنين الاولى من البعثة النبوية . ولكن عمالها كانوا غالباً من امراء العرب ، وكان سكانها من الجوس واليهود والنصارى ومن عرب نجد واكثر هؤلاء من عبد قيس ووائل وتميم . وفي السنة الثامنة للهجرة ارسل النبي محمد احد الصحابة العلاء الحضرمي ^(٢) ليدعو اهل هذه البلاد للإسلام او للجزية . كان المنذر بن ساوي التميمي يحكمها يومئذ من قبل ملك الفرس ، فلم يتردد في التفضيل بين الوثنية ودين التوحيد بل بين حكم قريش وحكم الاطاحم . جاء العلاء الحضرمي ، وقد كان من رجال الصحابة وصاحب كرامات ، يدعو المنذر واهل البحرين للإسلام ، ولكنه لم يتمكن من هدايتهم كلهم . قبل الدعوة المنذر وعربانه حباً بالجنة ورجاء التخلص من ملوك الفرس ، ورفضها الآخرون . قدر لهم العلاء في ضلالتهم بعهود بشرط ان يقاموه غلاتهم من

(١) قد اعتدت في كتابة هذا الفصل والفصل الذي يليه على تاريخ البحرين تأليف الشيخ خليفة بن حمد النبهان المطبوع في مطبعة الاداب بخداد سنة ١٣٣٢ هـ .
(٢) هو عبد الله بن عماد بن بكر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عوف بن الخزرج بن ابياد الحضرمي .

الحب والتمر . فقبلوا بذلك . وعاد الصحابي الحضرمي الى مكة يحمل الى النبي بشرى النصر المبين وكثيراً من الغنائم والاموال .

بيد ان اهل البحرين بعد موت النبي ارتدوا قائلين : لو كان نبياً لما مات . فجاءهم العلاء ثانية ومعهم جيش من المسلمين ، فادب اهل الردة وقتل كثيرين منهم ، ولكنه لم ينتصر كل النصر عليهم . فكتب الى ابي بكر يستمده ، فكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ، وهو يومئذ في اليمامة ، ليتوجه الى البحرين بنجد فيها العلاء . جاء خالد فرعاً ، كما يقول العرب حتى اليوم ، وكان قد فرّ كثير من اهل الردة الى الجزيرة وتحصنوا فيها فامر العلاء رجاله بالزحف عليها .

كان هذا الصحابي كما قلت صاحب كرامات محبوب الدعوة . وهاك منها اثنتين . بينما كان رجاله يجتازون مفازة لا ماء فيها خلصهم من الموت عطشاً بان صلى ركعتين ثم قال : يا حلیم يا حلیم يا علي يا عظیم اسقنا . فجاءت سحابة كأنها جناح طائر فقعقت عليهم وامطرت حتى مسلاًوا الآنية وسقوا الركائب . ثم جاؤوا الساحل فوصلوا الى الخليج فلم يجدوا سفناً فيه ، وكان المرتدون قد احرقوها ، فصلى العلاء ركعتين ثم قال : يا حلیم يا حلیم يا علي يا عظیم اجزنا . واخذ بعنان فرسه وهو يقول : جوزوا باسم الله فمشى ومشى وراءه جيش عدده اربعة الاف ، فلم يتل لهم قدم ولا خف ولا حافر^(١) .

بعد ان ادب العلاء اهل البحرين وردهم الى الصراط المستقيم حمل علي الزُبارة في قطر وقتل فيها الملكة بر عامل كسرى ، ثم عاد الى البحرين فأمر عليها ، اجابة لطلب اهلها . ثم خاض عباب الخليج فوصل الى الشاطئ المعجمي ودخل بلاد فارس فاتحاً . وبعد ذلك دعاه الخليفة عمر الى المدينة وولاه على

(١) في رواية اخرى انهم اجتازوا الى دارين لا الى اوال . وكنات يومئذ دارين جزيرة طامة يؤمها عرب نجد للمسالمة . قال الشاعر :

يمرون بالدهنا خفافاً حياهم ويرجن من دارين بجزر الحقاب
ودارين لا تعد كثيراً عن ير القطيف حتى انه يستطيم الناس ساحة الجزر ان يشوا
من البر اليها . فالرواية الصحيحة اذن وان كانت تنفي كرامة العلاء الحضرمي ، هي انهم اجتازوا الى دارين لا الى اوال .

البصرة بدلاً من عتبة بن غزوان ، وولى على البحرين عثمان بن ابي العاص ثم الربيع بن زياد الحارثي . سافر العلاء صاحب الكرامات والفتوحات الى البصرة ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ ان يصل اليها ، فاستدعاه اليه في الطريق وهو قريب منها . فلبى العلاء الدعوة ولا يزال قبره معروفاً هناك .

دالت البحرين للخلفاء الراشدين ثم لبني امية الى زمان عبد الملك بن مروان ، ذاك الذي امر يردم عيون الجزيرة ليفقر اهلها فيلبنوا للامراء . ولكن عبد الملك لم يكن من المفلحين . فقد سبقه الى استثمار الفقر رجل يدعى ابا فديك الخارجي ، فاستولى على الجزيرة سنة كاملة ، وكانت جنود ابن مروان قادمة اليها فدخلتها منتصرة وقتلت ابا فديك ومئة الاف من رجاله الخوارج ، فعادت اذ ذاك السيادة الى بني امية في الشاطئين العربي والعجمي من الخليج .

ولكنها لم تخلص من الاغتصابات . ففي سنة ١٠٥ هـ خرج على العامل الاموي في البحرين مسعود بن ابي زبيبة العبدي فتغلب عليه ونصب الاشعث بن عبد الله الجارودي مكانه ، فحكم الجارودي الجزيرة تسع عشرة سنة . ثم اعاد الامويون الكرة عليها ، فتم لهم الاستيلاء الذي لم يدم بعد ذلك طويلاً ، لان دولتهم كانت قد بدأت لتقلص وتضمحل ، فصار العباسيون يحلون محلهم في البلدان والامصار ، فاحتل عقبة بن سليم البحرين من قبل ابي جعفر المنصور ، وظل عمال الخلفاء ببغداد يحكمون في الجزيرة والاحساء حتى سنة ٢٤٩ هـ عندما استولى عليها رجل يدعى صاحب الزنج^(١) احد الانبياء الكاذبين . كان صاحب الزنج شاعراً بل شوبعياً في بغداد يحوم مستجدياً على مجلس المنتصر بن المتوكل وحول حاشيته . ثم جاء البحرين وهو يدعي انه من السادة العلويين فدحا القوم لطاعته فتبعه اناس وخالفه آخرون ، فادى الخلاف الى التحزب فالتعصب فالقتال . وسكان اصحاب البحرين اول من آمنوا به ، فرفعوه الى مقام النبوة ، وجمعوا له الخراج ، وقاتلوا من اجله الاعداء . وقد قضى صاحب الزنج فترة في البادية اقتداء بالانبياء يستنزل على نفسه الوحي ،

(١) هو علي بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد قيس .

خأوتي في تلك الايام — وهو الشاهد على ذلك — آيات من آيات النبوة ظاهرة ، فطفق يسب الخلفاء الراشدين ومعهم عائشة والزبير . كانت النبوة تبدأ بالمسيات !

قال ابن الاثير وابن خلدون ان صاحب الزنج كان يرى رأي الخوارج . وقد دُعي بهذا الاسم لانه في بادى امره كانت يدعو الغلمان من الزنج الذين يسكنون في نواحي البصرة فيعدهم بالعتق في الدنيا وبالجنة في الآخرة . بل كان يستغويهم بتي من الجنة سلفاً . قيل انه كان يأمر بالقبض على النساء من ولد الحسن والحسين والعباس وبيعهن في عسكره بيع الاماء والامتعة بدرهمين وثلاثة ، فيشتري الزنجي عدداً من الشريقات بيضة دراهم .

لا عجب اذن في تلييتهم دعوته للجهاد ، فطفق بشن الغارات الواحدة تلو الاخرى وله في اكثرها الغلبة والفنائم . وفي سنة ٢٥٥ هـ ادعى صاحب الزنج النبوة وكتب على رايته الآية : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، وراح وزوجه يسلبون وينهبون باسم الله . ان الغريب في حكم اولئك العباسيين ان مثل هذا الطاغية ثبت اربع عشرة سنة في طغيانه ، فيحكم في هجر اليوم وفي البصرة غداً وتارة في الاحساء وطوراً في البحرين ، فاراً كاراً ، صائلاً طائلاً ، قبل ان يتمكنوا منه فيقتلوه .

قال احد المؤرخين ، وهم يبالغون في الكلام على حروب صاحب الزنج ، انه قتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف شخص . ولم يقتل في اكبر مواقع الحرب العظمى هذا العدد او نصفه من الناس . فتأمل .

كانه كتب لاهل البحرين مثلاً كتب للعباسيين ان لا يدوم السلم والامن طويلاً في ملكهم السعيد . قتل صاحب الزنج سنة ٢٧٠ هـ فتنفت بغداد الصعداء . ثم ظهر في سنة ٢٧٨ هـ ابو سعيد القرمطي . ويا لهول القرامطة .

جاء ابو سعيد حمدان من خورستان الى العراق فنزل في الكوفة فمرض ذات يوم فساءده رجل يدعى كرميثة لحمرة في عينه (اللفظة نبطية ومعناها حمرة العين) فلما شفي من مرضه سمي باسم ذلك الرجل ، فتخفف الاسم بعدئذ

فقيل قرمطة . وكان ابو سعيد قرمطة من الزاهدين المتشفين ومن تلامذة
عبدالله القداح الاهوازي الاسماعيلي الذي اسس في يومه جمعية سرية باطنية من
مقاصدها الظاهرة التوفيق بين العرب والعجم والتأليف بين الاديان كلها .
اما مقاصدها السرية ، السياسية والدينية ، فقد ظهرت بواسطة القرامطة
بافظع مظاهرها .

دعا ابو سعيد وهو في العراق الى امام من اهل البيت قيل انه محمد بن
اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقيل انه محمد بن الحنفية . كانت القرامطة بعدئذ
يدعون تارة لهذا وطوراً لذلك ، وفي كلتا الدعوتين فتنة على العباسيين . بل ان
نهضة القرامطة ، اصلاً وفعلاً ، هي نهضة ايرانية دينية سياسية ضد الخلافة
والعرب . وان ما ارتكبه الخلفاء العباسيون من المظالم وما اعترى ملكهم
من الخلل والضعف والفساد ، خصوصاً في عهد المعتمد والمعتمد والمكثفي
والمقتدر — القاب مملكة ؟ — كان ينفر منهم الناس ويساعد كل من قام عليهم
من الاعداء .

لذلك اجتمع على ابي سعيد خلق كثير وجلهم من البادية لانه خفف عنهم
اثقال العبادة ، فاختصر الصلاة وجعلها فرضين صباحاً ومساءً ، وعفاهم من
صوم رمضان . فأحب البدو ابا سعيد واكروه وعظموه ، وقالوا انه الامام
المنتظر بعينه . فنشأ مذهبه ينتشر انتشاراً عجيباً ، فأشفت دار السلام على
اربابها منه ، فجندت عليه الجنود ، فصدوا بحربانه وحاربها في اماكن عديدة
وهزمها . ثم راح السيف ينشر في البلدان الدينية والقصية ما تأصل في قلوب
القرامطة من عقيدة فيها نفي العقائد كلها . فاشتدت حروبهم على الخلفاء
وانزع زعمائهم الملك من عمال العباسيين في عمان والحسا والقطيف
والبحرين . اما شمالاً فان جيوشهم اجتازت البادية والحما فوصلت الى بعلبك ،
ومنهم من غزى الحجاز واليمن .

وقد نظم الشاعر ابن مقرب العيوني تاريخهم فأشار في قصيدته الى ما كان

من امرهم اولاً ودمارهم آخراً بواسطة جدوده . قال :

سل القرامط من شطى جماجمهم
من بعد ان جل بالبحرين شأنهم
ولم تزل خيلهم تغشي سناياها
وحرقوا عبد قيس في منازلهم
وايطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
وما بنوا مسجداً لله نعرفه
فلقوا وغادروهم بعد العلى خدماً
وأرجفوا الشام بالغارات والحرماً
ارض العراق وتغشي تارة أوما^(١)
وصبروا الغر من ساداتها حمماً
شهر الصيام ونصتوا^(٢) منهم صنماً
بل صكلاً ادركوه قائماً هدماً

وقال المؤرخ الانكليزي غابن : ان القرامطة هم احدى الاسباب الاوّل في سقوط الدولة العباسية . قد استمرت فتنتهم ستين سنة وتزيد وبلغ القتال بينهم وبين جيوش الخلفاء اشدّه في السنوات الوسطى منها اي منذ سنة ٢٨٩ هـ ٩٠٢ م الى ان دخلوا مكة بقيادة زعيمهم ابي طاهر سنة ٣١٧ هـ ٩٣٠ م فكان في ذلك التمتع ختمة المجد وختمة الفظائع والهول .

دخل ابو طاهر سليمان بن حسن القرمطي بجيوشه راصكين خيلهم وأعملوا السيف بالحجاج ، فقتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين الف رجل والوف من النساء . ووقف ابو طاهر عند الكعبة وسيفه بيده وصفر لفرسه فبالت هناك ، ثم صعد على باب الكعبة وشرع يقول ، بينما كان رجاله يرمون رؤوس الشهداء في بئر زمزم :

أنا لله والله أنا يخلق الخلق وانبيهم أنا

بعد ذلك امر بقلع الحجر الاسود من محله فحمله القرامطة الى الحسا ، ولكنهم بعد اثنتين وعشرين سنة اعادوه كما قبل الى مكة . اما ان الحجر الذي اعادوه هو ذلك الحجر بعينه فانه اعلم .

دخلت البحرين في حوزة القرامطة في عهد المكتفي بن المعتضد وظلت في حوزتهم الى ان ضعف امرهم وبدأت سيادتهم تتلاشى . فقام لقتالهم عندئذ

(١) اسم بلدة من بلدان عمان

(٢) اي نصبوا صنماً

ثلاثة من العرب هم الامير عبد الله بن علي العيوفي في الاحساء ، ويحيى بن العياش في القطيف ، وابو البهلول محمد بن يوسف الزنجاج في البحرين . ثم اقتتل هؤلاء على ما غنموا . وقد كان ابو البهلول ضامناً لخراج الجزيرة فعصي فيها فجهز عليه القرامطة جيشاً من عرب عبد قيس ، فبرز لهم بجيش من البحارنة فكسروهم في اول وقعة وطرد عمالهم من الجزيرة . ثم خطب له فيها بالامارة فاستقام امره بضع سنين فظهر عليه اذ ذاك زكريا بن العياش الذي استولى ابوه يحيى على القطيف وكان يطمع بالاستيلاء ايضاً على البحرين .

وما عثم ان استولى ابنه زكريا عليها بعد ان كسر البهلول في وقعة شديدة ، فطمع بضم الاحساء ايضاً الى ملكه ، فقاد جيوشه من القطيف على الرجل الذي حارب القرامطة سبع سنوات وما انفك يحاربهم حتى انتزع الملك والسيادة منهم . هذا الرجل هو الامير عبد الله بن علي آل ابراهيم العيوفي . جاءه العياش يعني ما بيده في الاحساء ، فلاقاه بجيش جرار في الطريق فكسره في الوقعة الاولى وقتله في الثانية ، ثم استولى على القطيف والبحرين . وفي ذلك قال شاعرهم ابن مقرب :

وصار ملك ابن عياش وملك ابي البهلول مع ملكنا عقداً لنا نظماً
تم النصر للامير عبد الله فامس الامارة العيونية التي استمر حكمها في
البحرين نحو مئتين وخمسين سنة . ثم انتزع المعجم الحكم ثانياً من العرب .
وذلك ان احد ملوك فارس الزنجيين^(١) الذين استولوا على المملكة بعد اقراض
الدولة السلجوقية ، وهو ابو بكر بن سعد الزنجي ، حمل على العرب في جزيرة
قيس فهزمهم واحتلها ، ثم اجتاز بجنوده البحر الى جزيرة البحرين ، فاخذها ، واستولى
بمدها على الاحساء والقطيف وغيرها من بلدان الخليج . واستمر حكم الزنجيين
حتى بعد ان ظهر جنكيز خان^(٢) فشابه القرامطة بمدة دولته - ستين سنة -
وباهاها .

(١) لا علاقة لهؤلاء بصاحب الزنج .

(٢) ولد جنكيز خان سنة ١١٦٢ وتوفي سنة ١٢٢٧ م .

وبعد مئة سنة من عهد المغول الاول جادت الليالي ، ليالي الدمار والبلاء ،
يا بنها الثاني تيمورلنك ^(١) فكل اعمال جده جنكيزخان الفظيحة واستولى على
البحرين في ما استولى عليه من البلدان قبل دخوله بغداد . ثم خرجت الجزيرة
بعد موته من حكم المغول ودخلت في حوزة شعب جاء من الغرب هذه المرة
لا من الشرق ، شعب ينشد ولا شك التجارة ولكنه يسعى في طلبها سعي
المعتر لا المدثر .

فينا كان المغول في الشرق حاملين على كل مظهر من مظاهر الحضارة
والعمران ، يفتحون البلدان ويدمرونها ، وينهبون العباد ، ويزرعون الوهبل
والاحزان في كل مكان ، بينا كانت هذه الغيمة السوداء الكثيفة مخيمة على
الشرق الادنى ، تحجب عنه النور ، وتفسد كل ما في الحياة من عوامل النشوء
والبر ، كان قد راى الفكر البشري في اوروبة فشرع يجول في مماء العلم
والبحث والاكتشاف . وكانت الملاحة التي هي يد التجارة اليمنى اول من
انتفع بثمار الفكر والعلم ، فراحت ترفع علم الجهد والاقدام وراء الاوقيانوس في
البلدان الغربية القصية .

جاء زمن ابطال البحار . ومن اولئك الكشافين الرباب البرتغالي
فسكو دي غاما ^(٢) الذي ابحر حول « رأس الرجاء الصالح » ومخر عباب
الاوقيانوس الهندي فوصل الى سواحل تلك البلاد العجيبة ، ضالة الام الغربية ،
وكان اول من اسس لدولته ملكاً في الشرق . وجاء بعده زميله الفونسو
البوكر كيه ^(٣) فرفع علم دولته في مسقط ودخل المضيق ، مضيق هرمز ،
فاستولى عليه وحصنه تحصيناً ، وتقدم في الخليج متفقداً الجزر والاسا كل فيسه
وهو يبغى الوصول الى البصرة ، ليفتح طريقاً لمستعمرة بلاده في الهند . ثم

(١) ولد تيمورلنك سنة ١٣٣٦ وتوفي سنة ١٤٠٥ م

(٢) فسكو دي غاما Vasco de Gama ولد سنة ١٤٥٠ وتوفي سنة ١٥٢٤ م

(٣) الفونسو البوكر كيه Alfonso d'Albuquerque ولد سنة ١٤٥٣ وتوفي سنة ١٥١٥ م

اول سفراته الى الهند كانت في سنة ١٥١٣ وهو الذي حاول ان يأخذ عدن سنة ١٥١٣ م
فلم ينجح ، فتقدم باسطوله الى البحر الاحمر . واحتل فيه جزيرة قران القريبة من الحديدة .

استولى البرتغاليون على جزيرة البحرين وعلى القطيف فحصنوها كما حصنوا هرمز ومسقط . الا انهم لم يستولوا على الاحساء لان العثمانيين كانوا قد سبقوهم اليها ، وبسطوا سيادتهم عليها ، فعدوها يومئذ جزءا من اليمن الذي كانوا قد احتلوا بعض نواحيه .

كان خليج المعجم في قديم الزمان كما هو اليوم مفتاح الطريق للتجارة بين الشرق والغرب . ولا تطمئن دولة غربية في الهند ولا يستقر امرها اذا لم تكن هي القابضة بيدها على هذا المفتاح . اما ان الخليج اسهل واصح الطرق لتجارة الهند فغني عن البيان . هو اقل اخطاراً من البحر الهندي ، واقرب خطاً واسهل ، لانه في مأمن من العواصف والرياح . هو حصن اذا شئت وبابه مضيق هرمز حيث تكاد بلاد ايران تتصل ببلاد العرب . فضلاً عما في هذه الطريق من البلدات العامرة ، فمن سواحل الهند الى جزائر الخليج الى البصرة فبغداد فسورية فمصر فاوروبا - هي طريق الكنوز .

ادرك ذلك اهل البرتغال قبل ان يدركه الانكليز . ولكن ابنا الجزر وان كانوا قد جاءوا الى الهند بعد مئة سنة من مجيئ فسكودي غاما ، فقد تغلبوا على البرتغاليين بعد جهاد طويل مستمر ، تحلله الجمل من الحيف والتعسف ، فاخرجوهم كما اخرجوا الفرنسيين بعد مئة سنة من تلك البلاد .

اما حكم البرتغاليين في البحرين فلم يدم اكثر من اربعين سنة . يستدل على ذلك من كتابة على صخر في جزيرة صغيرة غربي المنامة تدعى جَدا^(١) اخذ للبحارنة حجارة منها لتجديد القلعة التي كان قد شيدها اهل البرتغال . وهذه القلعة التي تدعى قلعة عجاجُ جُددت بعد ان جلا البرتغاليون عن البحرين . قال المؤرخ : سكا حاكم دهلي وهي عاصمة الهند الى العثمانيين ظلم البرتغال للمسلمين وطلب منهم المساعدة فجهز لهم السلطان سليمان القانوني اسطولاً وجاء به

(١) هذه صورة الكتابة التي على حجارة جبل جدا : نقل من هذه الجزيرة مئة الف حجر لتجديد قلعة البحرين على يد السيد فيروز في زمن وزارة جلال الدين شاه في شعبان سنة ٩٦٩ هـ و ١٥٦٨ م
تاريخ البحرين للشيخ خليفة بن النبهان

الى الهند فتحاربوا مع البرتغال حتى اخرجوهم منها . . . ثم جاء الاسطول العثماني الى مسقط والبحرين واخرج من كان فيها من البرتغال كذلك^(١) وقد كانت للانكليز في اخراجهم نهائياً من الهند يد قوية عاملة ، عاملة في سبيل شركة الهند الشرقية لا في سبيل العثمانيين .

اما جلاء البرتغاليين عن البحرين فالمؤلف يزيدنا علماً بذلك . جاء في صفحة ٦٢ ما يلي : حصل اختلاف شديد بين امراء جزيرة البحرين وكان اكثرهم من الشيعة فرفعوا تكواهم الى الشاه عباس الاول الصفوي وطلبوا منه الحماية لقربه منهم موضعاً^(٢) ومذهباً .

فاجاب الشاه عباس طلبتهم وخلصهم من السيادة الغربية الاوروبية - ولكنه بسط عليهم حمايته الشاهانية ، فعادت البحرين الى حوزة من حكمها مراراً في سالف الزمان والاولان ، عادت مستعمرة فارسية كما كانت يوم جاءها الصحابي العلاء الحضرمي بدعواهلها الوثنيين والمجوس للاسلام .

ولكن الحكم الفارسي في البحرين ، وقد تسرب اليه ما كان قد اعتري الملك في بلاد فارس من الخلل والفساد ، تخلفه قنرات من حكم العرب ، حتى ان اخر عامل عربي من عمالمهم وهو الشيخ نصر آل مذكور استنجد حكومة ايران في حملته على آل خليفة في الزيارة فلم تستجده . وكانت الواقعة بينه وبينهم (سنة ١١٩٢ هـ ١٧٨٢ م) السبب في فراره الى ابي شهر وفي دخولهم الى البحرين منتصرين .

(١) بعد ان تغلب السلطان سليم على المماليك سنة ١٥١٧ م فكر في احتلال عدن ليجعلها مركزاً لمحنة على البرتغاليين في الهند فجهاد ابنه سليمان في سنة ١٥٣٨ باسطول كبير يحقق رقعة ابيه فاحتل عدن واقام حامية فيها . ولكن العرب قاموا بعدئذ على الترك فذهبوا الحماية فيها وسلموا البلد الى البرتغاليين ، فعاد الاسطول العثماني ثانية الى عدن فأخرج البرتغاليين منها واعاد الحكم العثماني فيها ، ثم استأنف السير الى الهند ليم حلتها على اهل البرتغال هناك .

(٢) كانت اصفهان في تلك الايام عاصمة ملوك فارس .

الفصل الخامس

آل خليفة

من الافلاج الى الكويت الى الزبارة — تحارة اللؤلؤ — آل خليفة في الزبارة — فتح البحرين — ظهور ابن سعود عبد العزيز الاول — سلطان مسقط — البحرين بين الاثنين — سلطان مسقط يستولي على البحرين — رجوع آل خليفة الى الزبارة ومفاوضتهم لابن سعود — النجدة من نجد — ابن عفيصان ينتصر ويؤمر نفسه — آل خليفة عند ابن سعود — وآل خليفة عند سلطان مسقط — الرجوع الى البحرين واخراج ابن عفيصان منها — العدو في قطر — ابن عفيصان وأرجمه حليقان — الحرب بين اسطول الخليفين واسطول البحرين — أرجمه وابن عفيصان ينجوان على لوحة من خشب — أرجمه وسلطان مسقط حليقان — الهجوم على البحرين — أرجمه ينكر ثانية — أرجمه يعيد الكرة على البحرين — البطل الضرب — ديدني لا يبد عمرو . — الفتنة في بيت آل خليفة — حزب آل عبد الله وحزب آل سلمان — الشيخ محمد آل سلمان — آل عبد الله يستنجدون ابن سعود — الشيخ محمد ينتصر على اعدائه — اسطول البحرين وتدخل الانكليز — « احرقوا اسطولكم ونحن نحميكم » — النزاع بين الشيخ محمد واخيه علي — الفتنة — المدرعات الانكليزية في البحرين — نفي الاخوين — الشيخ عيسى ب. علي .

كانت الزبارة^(١) في الماضي من البلدان العربية العامرة ، تجارها الكرى، اللؤلؤ ، وسكانها من آل ابن علي والجلالمة ، وهم من عرب العتوب اي بني عتبة ، وهؤلاء فصيلة من جميلة ، وجميلة نخد من عنزي^(٢) . وكان آل خليفة ، وهم من اكبر عشائر بني عتبة ، يسكنون بارض الهدار من بلدان الافلاج بنجد . فنزح الشيخ خليفة واهله الى الكويت في اواخر القرن الحادي عشر للهجرة واقاموا هناك عدة سنين . وبعد وفاته هجر ابنه الشيخ محمد الكويت وجاء باهله الى الزبارة فنزلوا على ابناء عمهم الجلالمة وآل ابن علي . كان الشيخ محمد بن خليفة ورعاً ثقيلاً ، حصيماً حكماً . جاء من الكويت

(١) بلدة في قطر على شاطئ البحر قبالة جزيرة البحرين .

(٢) راجع الفصل الثاني من القسم السادس صفحة ١٥٢ من هذا الجزء

مضلوباً على امره وظاهر قصده شراء اللؤلؤ . جاء يبغي التجارة لا السيادة فكان حظه من الاتنين وافرأ . احبه اهل الزيارة لورعه وبره وكرمه واجالة رأيه ، فرغبوا اليه والى قومه ان يقيموا بينهم ثم امروه عليهم .

وعندما توفي الشيخ محمد تاجر اللؤلؤ السياسي الابن خلفه ابنه الشيخ خليفة الذي لم يرث من ابيه غير شيء من البر والتقوى مزجها بشيء من الشر . وقد حج سنة ١١٩٧ هـ وتوفي في مكة ، فناب عنه ثم خلفه في الحكم اخوه الشيخ احمد . وهو يدعى الفاتح - احمد الفاتح الذي احترق وآخر عامل من عمال الفرس في البحرين أي الشيخ نصر آل مذكور الذي سبق ذكره ، فغلبه واستولى على الجزيرة .

الدول اليوم تخلق الاعذار اذا شامت الاستيلاء ، والشيخ احمد لم يشأ غير ما شاءته التقادير . فلما استقر حكم آل خليفة في الزيارة ، عاد اهلها الى الاتجار ، فكانوا يجيئون الى البحرين لشراء اللؤلؤ الذي كانوا يبيعونه في الهند . وكانت البحارنة من اهل الشيعة وهم يومئذ يكرهون اهل السنة ويضربون لهم العدا . فحدث ذات يوم خلاف بين الفريقين الهضى الى قتال قُتل فيه احد خدم آل خليفة ، فثار له اهل الزيارة ، وحملوا على البحارنة فاستغاث هؤلاء بمجاهداتهم الشريفة ، فجهز لهم اسطولاً من السفن مشحونة بالجنود وتولى بنفسه القيادة . ولما دنوا من الزيارة خرج عليهم اهلها بالسفن فحاربهم وكسروهم شر كسرة ، فأقلعوا هاربين الى ابي شهر . اما البحرين فكانت قد خلت من الحامية ، فسار اليها الشيخ احمد بقومه واستولى عليها سنة ١١٩٧ هـ ١٧٨٢ م وهي السنة التي توفي فيها اخوه الشاعر الورع في مكة . كانت تجارة اللؤلؤ كذلك من عوامل الفتح الاحمدي كما كانت سابقاً من دواعي الفلاح في امارة ابيه الشيخ محمد علي الزيارة .

اقام الشيخ احمد عاملاً من قبله على البحرين ، وعاد الى عاصمته في قطر . على انه لم يستمتع وقومه بثمار النصر غير بضع سنين . لان ابنه الشيخ سلمان الذي خلفه كان خواراً ضعيف الرأي والارادة . وكان قد نبغ في تلك الايام رجل

في نجد فراح بكتسح البلدان والامصار ويستولي على القبائل الدانية والقاصية .
هذا الرجل هو الامير عبد العزيز آل سعود امام الوهاية الذي كان قد وصل
بجيوشه الى الاحساء ، يخاف عرب الزبارة ان يستولي عليهم ، فظعنوا يتقدمهم
الشيخ سلمان الى البحرين .

هربوا من الوهاية القاهرة ، من خطر البر ، فوقعوا في خطر ادهي واشد جاءهم
من البحر يقوده ويدفعه السيد سلطان حاكم مسقط . وكأنت السيد سلطان
ادرك اعوجاجا في حكم البحرين الجديد فجاء يقومه ، باسطوله وسيفه . فبادر اليه
الشيخ سلمان ماليا لا معاديا ، لانه لم يرغب باكراه البحارنة على القتال . وكان
قد اطلع ، كما يقول المؤرخ ، على بعض مكاتباتهم الى حاكم مسقط يرغبونه في
الاستيلاء على بلادهم . هذا من الشيخ سلمان انصاف في الحكم وعدل في الرعية .
الارادة للشعب ! ولكن الصلح الذي عقده والسيد سلطان والذي بهوجه قدم
احد اخوانه رهينة الى حاكم مسقط الظافر ، لا يعد في عين عزيزي وربيعه
من شيم الرجال . واتى السيد سلطان ابنه السيد سعيدا على البحرين وعاد بالرهينة
والغنائم الى مسقط .

اما العتوب فعادوا الى الزبارة بذلم وهم لا يزالون موكلين امرهم الى الشيخ
سلمان . ولكنهم نهضوا لاسترجاع البحرين ، بعد ان توفي اخوه الرهينة في
مسقط ، وشرعوا يفاوضون امير نجد بذلك . طلبوا منه المساعدة فاجاب طلبهم
حبا وكرامة . ولم يدركوا ما كان قد ظهر وشاح من مقاصد الرجل القومية
والدينية ، مع انه كان قد استولى يومئذ على الحرمين .

ابشروا يا عتوب ! هذا ابراهيم بن عفيصان احد قواد ابن سعود الياصل
جاء بجيوشه يسترجع ملككم — يسترجعه يا بني عتبة ليضمه الى ملك اهل التوحيد
وابن سعود . وكذلك كان . دخل جيش الزبارة ونجدة نجد الى البحرين فضربوا
السيد سعيدا فهزموه واخرجوه من الجزيرة .

وكان الكلام اذ ذاك لابن عفيصان : البحارنة مشركون ولا يصلح المشركين
الا اهل التوحيد . اما آل خليفة فعقاهم القائد النجدي من الاصلاح ، فاعلأ

أو مفعولاً ، واذن لهم بالرجوع الى الزبارة . فعادوا ثانية مدحورين مغبونين ، وشرعوا يفكرون برفع امرهم الى حضرة الامام في الدرعية عله يرسل من قبله من يؤدب ابن عفيصان ، او طه في الاقل يأذن لهم بالرجوع الى البحرين . وبينما هم يفكرون والشيخ سلمان صدرهم يفكر أكثر من الجميع ، اذ اقبلت عليهم سرية من مريات الفاتح الكبير فاستولت على الزبارة وامرت آل خليفة بالسفر الى نجد . وكان الامير سعود قد خلف وقتئذ اباه عبد العزيز .

سافر في سنة ١٢٢٤ هـ ثلاثة من آل خليفة ليقابلوا امام الوهاية في الدرعية .

فلما وصلوا اليها اكرم الامير سعود وفادتهم ولم يأذن لغير اعيان الزبارة بالرجوع . اما آل خليفة فأتزلم في القصر ضيوفاً عليه ، واسرا بين يديه . ولا اظن انه خطر في بال احد منهم قول الشاعر :

والمستغيث بعمرو يوم كربتہ كالمستغيث من الرمضاء بالنار

لانه لو خطر ذلك في بال احد منهم لما استبشروا بقدم ابن عفيصان ولما استعمروا يعالجون سياسته حتى اوصلتهم الى الاسد في عرينه . ولكن هناك خير آل خليفة من العرب يلجأون الى مثل هذه السياسة وهم يظنون ان الرجل بين عدوين يخادع الاثنين ، فيستخدم اذا كان حكيماً الواحد منهما على الآخر . وقلما يسير الفكر بهم الى ما دون ذلك من نتائج المساعدة . قد كانت سياسة آل خليفة مطردة في مثل هذه الحال . اي انهم كانوا يستعينون بحاكم نجد اذا ضايقهم حاكم مسقط ، وبحاكم مسقط اذا كانوا في خطر من حاكم نجد . . .

فلا يستغرب اذن رجوعهم الى السيد سعيد بن سلطان الرجل الذي اخرجوه من البحرين ، يستنجدونه هذه المرة ليخرجوا ابن عفيصان منها . وكان الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل فضل رسول اخواله آل خليفة الى حاكم مسقط . ولكنه ، على عزمه ودهائه ، لم يظفر من السيد سعيد بغير المال عوناً . اخذ الشيخ عبد الرحمن المال وسافر الى بلاد فارس او بالحرى الى آفرس المقاطعة الجنوبية وفيها مستعمرة عربية من عرب النصور فألف منهم جيشاً — بالمال تقوم

الجروب - وارسل الى اخواله يخبرهم بذلك ويطلب منهم ان يتأهبوا للهجوم -
 وآل خليفة برجالهم من الزيارة واتحدوا مع ابن اختهم عبد الرحمن وبنوده ،
 فتولفوا مع جيش ابن عفيصان وكسروه واخرجوه من الجزيرة . اقلع النجدي
 هارباً الى قطر ونزل هناك على رجل يدعى ارحمة بن جابر الجلاهمة . ولا رحمة
 هذا دور كبير مهم في تاريخ البحرين سأروي شيئاً منه .

بعد ان استولى عبد الرحمن آل فضل على البحرين ونقل آل خليفة اليها تبعهم
 قوم من العرب كثيرون . ولما علم الامام سعود بخروج ابن عفيصان مهزوماً
 حاول استرجاع الجزيرة من الشيخ عبد الرحمن بواسطة احد اخواله الاسراء في
 الدرعية . فأرسل الشيخ عبدالله بن احمد منهم يصحبه بعض رجاله ليستظلموا
 خبر عبد الرحمن ويروا ما اذا كان استولى على البحرين لنفسه او ليعيد اليها
 سيادة آل خليفة . هي السداجة في النوايح وفي من لا يزالون على الفطرة الاولى -
 لا نعلم ما اوصى به الامام سعود رجاله ، ولكن المؤرخ يقول انهم جاءوا الى
 الشيخ عبد الرحمن بانخس من الكلام . - كيف يجرأ العيال ان يستولوا
 على البحرين وآبائهم في قبضة الامام ؟ فقال الشيخ عبد الرحمن : دونكم العيال ،
 فانهم حاضرون . فتقدم اذ ذلك الشيخ خليفة بن الشيخ سلمان وقسال :
 نحن اخذنا البحرين لانفسنا ولا حاجة لنا بآبائنا . وقد يئسنا منهم ومميننا
 باسمائهم (١) .

كفر الولد الشجاع عن ضعف ابيه فاغضب رجال نجد ، فقالوا يهددون
 الشيخ عبد الرحمن : لو كان يمكن للخف والحافر ان يطأ البحرين لثرتاها
 حصة حصة . فأجابهم قائلاً : لو كان يمكن لقبيت الجابري (٢) ان يطل على
 الدرعية لجعلنا عاليها اسفلها .

ولكن الاقدار بعثت على الدرعية بغير « قبيت الجابري » ليهدمها . ففي
 تلك السنة او بعدها بقليل جاء ابراهيم باشا المصري يحارب اهل نجد فشغل

(١) يقول العرب عندما يفقدون احداً من اهلهم سميناً باسمه .

(٢) القبيت ائف السفينة والجابري اسم سفينة المتكلم .

بالامام ابن سعود عن الاجزاء الصغيرة مثل قطر والبحرين في ملكه المترامي
الاطراف ، فاطلق مراح بني خليفة وتركهم وشأنهم ، فعادوا الى الجزيرة يتولون
فيها زمام الاحكام .

لم يصف لم الجوم مع ذلك ، لان قطر قريبة من البحرين ، وفي قطر ارحمة ،
وعند ارحمة ابن عفيصان ابراهيم . وكان ارحمة بن جابر الجلاممة عزيزاً في قومه
جباراً عنيداً . فلم يدن لآل خليفة ، بل كان يباريهم في السيادة ويسمى في
انتزاع الامارة من ايديهم . ثم جاء ابن عفيصان يزيد غلاً ونفوراً فوحدت
النزهتان والتاران ، وكان ينتظر من رجلي قطر مباشرة القتال . ولكن آل
خليفة ، عندما استقر امرهم في البحرين ، جهزوا اسطولاً من السفن الشراعية
واجبروا الى قطر . توكلنا على الله ! نخرقها ان شاء الله ! وكان ارحمة وابن
عفيصان قد علما بذلك فتأهبا للحرب . توكلنا على الله ! هي لنا ان شاء الله ! .
خيم الليل فاوقف الخليفيون سفنهم امام المكان المقيم فيه ارحمة وابن عفيصان
وهو يدعى الخوير . وكان ارحمة ملاحاً ماهراً وقائداً خبيراً . فلم تسره مناورة
اسطول العدو اذ رأى انواره . — تعبئة هذه السفن يا ابراهيم تنبي . بوجود
الشيخ عبدالله بن احمد فيها . فقال ابراهيم مبتهكاً : والشيخ عبدالله من المحبوسين
في الدرعية . هات الدليل على نبوتك يا ارحمة .

— تعبئتها تعبئة قائد خبير ، ولا يمكن ان يكون غير الشيخ عبدالله . ثم
استدعى زورقاً واشعل فيه مراحاً وامر احد رجاله ان يقف به وراء السفن ،
فلما رأى قائد الاسطول ذلك خشي ان يكون النور نور سفن ارحمة ، فامر
سفنه ان تقف وراءه دفعا لهجوم يجعله محصوراً بين العدو والبلد . فلما رأى
ارحمة ذلك تيقن ان الشيخ عبدالله قائد الاسطول واعجب بدهائه وبقدرته
الحربية .

لا تسرفي هذه الحركة يا ابراهيم . هيا بنا الى البحر .
خرجوا بالسفن الى البحر ، وعند انبلاج الفجر تقابل الفريقان فادرك
ارحمة ان من الحزم الا يقاتل القوم لان قوته لم تكن كافية . فاعتماظ ابن

عفيصان عند ما قال له ذلك وظنّها جبانة منه ، فاعزّ الى احد رجاله ان
«يجرب» (١).

لا خير في رجل يجر جريرته واذا تضايق دربه خلاها (٢)
فغضب ارحمة واعتزى قائلاً : لا بالله ما نخليها . ثم امر بنشر الشراع
وبرز للقتال .

اشتبكت السفن بعضها ببعض ، فتلاطمت الاشرعة ، وانّت الاخشاب من
الصدّامات ، ولصقت سفينة ارحمة بسفينة راشد بن عبدالله ، فجاء ابوه يدعمه
بسفينة من الجنب الاخر كما يمنعه ساحة الخطر الاشد من الفرار . وكان في بارحمة
وقد عاين الشيخ عبدالله يقول لابن عفيصان : اتبعني الدليل على نبؤتي ؟ خذه
يا ابراهيم .

حمي الوطيس بين الجمعين ، فدوت البنادق بالرصاص ، وابرقت خلال
الدخان السيوف ، ومالت الدماء من المراكب نفضت الامواج ، وانتعلت
النيران في الحشب والاشرعة ، فتطايرت منها الشهب وتساقطت الشظايا
الملتتهبة . — تبغي الدليل على نبؤتي ؟ خذه يا ابن عفيصان . راحت القتلى تسابق
الرصاص الى قعر البحر ، وفيهم راشد بن الشيخ عبدالله . ثم حجبت النيران
والدخان سفينة ارحمة ، وقهقت فوق عرشها زبد الموج المنخضب بدم الابطال ،
فنبجا سيد الجلامه وحليفه ابن عفيصان على لوحة من خشب . — هل رأيت
حرب العتوب يا ابراهيم ؟ ولكن الهول أصم ابراهيم وعقل منه اللسان .

اما ارحمة فلم يكن ممن تسكتهم الهزيمة وتصمهم الاهوال . لم يوفق سيفه
شركته وابن عفيصان الى مراده ، فسافر بعد تلك الواقعة الى مسقط ليخطب ود
حاكمها سعيد بن سلطان .

— آل خليفة اعداؤك ياسعيد واعداي . كسروك مرة وكسروني . ولست
ياسعيد ممن ينامون على الضيم . لا بالله .

(١) حورب اي هزج وهي من اصطلاح البنانيين وحرب نجد .

(٢) هذا من الشعر الذي يدمى في نجد بالنبطي اي العامي .

وحلف أرحمة بعز العُتوب ، وحلف سعيد برأس ابيه .
ثم ناصب صاحبُ مسقط الحليين العداء وذلك انه قبض ذات يوم على
تجار من البحارنة كانوا يقصدون الهند ، وفيهم الشيخ عبد الرحمن آل فضل
عدوه الاكبر ، فخرجوا على مسقط فاعتقلهم في برج القلعة هناك . وكتب الى
اهل البحرين يطلب منهم الطاعة والخراج . فأجابه الحاكم الشيخ سلمان ، وكانت
منه حيلة من حيل السياسة والحرب : اننا بغنى عن هؤلاء وقد نسيناهم ومجينا
ابنائنا باسمائهم .

اما السيد سعيد فكان قد تأهب للحرب فجاء باسطوله الى البحرين بصحبه
أرحمة الجلاهمة ، فنزلوا في سيرة^(١) على شاطئ الجزيرة ، واقاموا هناك ثلاثة
ايام فلم تظهر طلائع البحارنة . فتهمك سعيد قائلاً : عتوبك غابوا — اي ماتوا —
فغضب ارحمة لانه عتوبي ، وعندما ظهرت اعلامهم خلال النخيل في صباح اليوم
التالي صاح قائلاً : هم عتوبي ظهروا ياسعيد . توكل على الله .

ولم تكن ساعة بعد التحام الجيشين حتى اسفرت الواقعة عن هزيمة اهل مسقط
وفرارهم الى البحر . فلما رجع السيد سعيد الى بلاده هم بقتل تجار البحرين
المعتقلين عنده . ولكن اخته موزة نهته عن ذلك وأنفته قائلة : هم في جوارفنا
وامرى بيدك فأى نخر في فتلهم . دول على البحرين وخذ بثأر اخيك . اي
جهز عليها مرة ثانية . واخوه كان قد قتل في وقعة سيرة .

اثر في سعيد شهامة اخيه موزة تأثيراً حسناً فعاد الى البحرين . ولكنه
سالم اهلها هذه المرة فعقد معاهدة مع اميرهم الشيخ سلمان الذي سلم الجزيرة سابقاً
الى ابي سعيد دون قتال ، ومن شروطها ان يدفع اهل البحرين قسماً من الخراج
الى حاكم مسقط فيطلق سراح المعتقلين عنده .

وبعد وفاة الشيخ سلمان الرجل المسلم تولى الحكم اخوه الشيخ عبد الله ،
وهو الحاكم الثالث من آل خليفة في البحرين . وكان أرحمة لا يزال حياً
يرزق وخصماً لا يموت الا قتالاً . لكن الزمان والكروب أوهت منه العظم

(١) راجع الفصل الثالث من هذا القسم صفحة ٢٠٢

وذهبت بالبصر . اما القلب الذي تمسقى الاخطار في سبيل المجد فلم يحتره وهي
او نصب ، ولم يخمد فيه ذاك النور الذي لا يرى شرقاً في غير الشجاعة والثبات .
قام ارحمة ومعه بعض قومه يعيد الكرة على البحرين ، ارحمة وحده هذه المرة
لا حليف ولا شريك له . فدخل القطيف راكباً سفينة المشهورة « غطروشة »
فجرّد عليه الشيخ عبد الله السفن وقد شحنها بالرجال وخرج يقودها بنفسه .
احاطوا بارحمة البطل الضريير في ميناء القطيف ، فأمر بنشر الشراع وطلب
ميداناً مناسباً للقتال . فاجيب الى طلبه . أفسحوا لغطروشة فخرجت الى عرض
البحر ، ثم انقضوا عليها من كل جانب . وكان ارحمة وهو جالس عند خزانة
السفينة ومعه ابن له صغير الى جنبه وعبد طرار واقف فوق رأسه يسأل عن
السفن الهاجمة عليه وعن قوادها فيخبرونه فيقول : هذا لا يحراً على مقابلتنا —
هذه لا تلحقنا . ثم يصدر الاوامر للنوتية بينما رجاله يبادلون العدو اطلاق
الرصاص . وعندما دنت سفينة الشيخ احمد بن سلمان من « غطروشة » اخبروه
بها فقال : هذا يطابقنا لا محالة ، لان جنبه لم يلامس ناعمات الابدان . اي انه
لم يتزوج .

بعد قتال بالرصاص شديد تلاصقت السفينتان ، فتجالد الفريقان ، واشتد
الضرب بينهما والطعان ، بينما ارحمة الضريير يحارب بلسانه وجنانه ، فيحرض
رجالها ، ويصدر اوامره ، ويسأل تارة ابنه ، وطوراً يستنصر عبده طراراً .

— اين صاروا يا ولدي .

— عند الدقل (١)

— جنثوا . جنثوا . . . والآن اين صاروا ؟

— سعدوا النيم (٢)

سكت ارحمة سكوته الابدني ، اذ قرن كلمته الاخيرة بالعمل ، فاخذ ابنه
ووضعه في حجره ، وعمد الى نار فالتقاهما في ذخيرة البارود التي كانت تحته .

(١) الدقل الصاري .

(٢) النيم سطح مؤخر السفينة .

« يدي لا بيد عمرو » . فدوى دوي^١ فرقت فيه اصوات البنادق كلها ، وضحك
المزيد المخضب بالدماء فوق عرشة العنطروشة .

تسمى هذه الواقعة في تاريخ البحرين « ذبحة أرحمة الجلاهمة » . قل هي
مجده وتخليده . رحم الله كل من مات بطلاً في ساحة الوغى .

كان لأرحمة ابن اخرا سمه شر حاول الاخذ بثأر ابيه فراح الى صاحب
مسقط السيد سعيد يستنجده على آل خليفة . وبما اتهم كانوا قد امتنعوا عن
دفع الخراج جاء سعيد ، اكراما لبشر ابن أرحمة ، يعلمهم حفظ العهود . فخرج
له الشيخ عبدالله بجيشه وكسره في اول وقعة وقتل من رجاله ثلاثة الاف .

عجائب يا بني عتبه عجائب ثلاثة الاف ما فيهم شايب

وقد حارب في هذه الواقعة مع آل خليفة مزيد بن هذال وبعض قومه

العمارات^(١) .

اخذت نشوة النصر مأخذاً من الشيخ عبدالله فحببت اليه الفتح والاستعمار .
وكان قد تجدد بينه وبين امير نجد الخلاف فجهز جيشاً بحرياً وسار به الى دارين
ففتحها ، ثم الى تاروت فاستولى عليها ، ثم الى سيهات في القطيف فحاصرها .
فجاءت جيوش نجد توقفه في فتوحاته ، وقاتت تساعدهم الفتنة في بيته . بل افقدته
تلك الفتنة ما كان قد استولى عليه في القطيف .

ان السبب في مثل هذه الفتن المألوفة في بيوت امراء العرب الحاكمين هو
غالباً تعدد الزوجات التي ينشأ عنه ضغائن بين الاشقاء ، ومنافسات بين الامهات
خصوصاً اذا كن من قبائل مختلفة^(٢) .

(١) لا يزال بنو هذال وشيخهم اليوم فهد بك مؤتمرين على هذا الفخذ من عتري
الذي يسمى العمارات . وهم من عشائر الشمال يقيمون في ارض عند وادي حوران بين
سورية والعراق .

(٢) « ان تعدد زوجات الملك يزيد بعد السباهلة في البلاط . ويوجب بناء القصور
العديدة التي يقتضي لها نفقات طائلة ، ويقتل الشعور في الاسرة ، الشعور الابوي والنوي
والاخوي ، ويفسد الاخلاق ، ويضعف القوى الجسدية ، ويبعث على التخنث والترف ،
ويمكن من النفوذ والسيادة في الاحكام طبقة منعدمة من الناس . »

جورج رولنسون في كتابه « موجز التاريخ القديم » صفحة ٢٧

كان للشيخ عبدالله عشرة اولاد منهم ثلاثة امهم من آل بني علي ، العشرة التي مر ذكرها في الكلام على اهل الزبارة . فخرجوا على ابيهم يطالبون بالامارة وقصدوا الى الحويّلة^(١) يستنجدون اخوانهم فيرسا . فارسل الاب عليهم جيشا بقيادة حفيد اخيه الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان فهاجمهم في الحويّلة وهزمهم في الواقعة الاولى ، فتأبوا وقالوا لايبهم : اتنا من الطامعين ، فعفا عنهم واذت لم بالرجوع الى البحرين .

هذي هي البداية والنهاية في معقة ابنائه . ولكن روح الفتنة التي خرجت منهم حلت بالرجل الذي حمل عليهم باسم ابيهم وظهرت قرونها بعد ثماني سنوات من وقعة الحويّلة . ذلك ان الشيخ محمد ، حفيد الرجل المسالم الشيخ سلمان ، قام على الشيخ عبد الله كأن يتقاضا اجرة تأديب اولاده ، فحاصره في المحرق . وكان ابنا اخيه سلمان الساكنان يومئذ في الرفاع^(٢) يميلان الى عمهما وهو يثق بهما . فاستنصرهما على ابن اخيهما الثائر عليه ، وجرى لكل منهما جيشا كبيرا . فاحتربوا في رقعتين فاندحر في الثانية الشيخ محمد بن خليفة . وبعد ان وكل اخاه الشيخ علي بان يرعى الفتنة مرأ راح يستنجد الاعداء على الاقرباء .

سافر اولاً الى نجد فصدّه اميرها ، فعاد الى قطر وارسل الى آل ابراهيم الدين كانوا يومئذ في جزيرة قيس من اعمال فارس يدعوم لقتال اعدائهم السابقين حكام البحرين . فلبوا الدعوة مسرعين ومعهم الجلاهمة يرأسهم بشر بن أرحمة . وكان الشيخ محمد في قطر والشيخ علي في البحرين يتعاونان في اضرام نار الفتنة وتجهيز الجيوش لها .

أزف يوم القتال ، فخرج الشيخ علي بجيش على الشيخ عبد الله فكسره وتقدم الى الرفاع فاستولى عليها . ثم جاء الشيخ محمد بجيشه فزحف على المنامة ودخلها منتصراً . وكان الشيخ عبد الله في المحرق فعبر اليها ووقع بينه وبين عم.

(١) الحويّلة قرية في الطرف الشمالي من قطر .

(٢) راجع الفصل الثالث من هذا القسم صفحة ٢٠٢

اييه قتال كان عليه وبالآ . فلجأ وبعض رجاله الى القلعة فتحصنوا فيها ، وما كان الحصن حصيناً . فرّ الشيخ عبد الله من القلعة هارباً الى بلاد فارس ، ومنها جاء الى الكويت يستنجد حاكمها فلم ينجده ، فسار منها الى نجد وكان نصيبه هناك الفشل ايضاً ، فسافر بعدئذ الى مسقط فمضى فيها ، ومات بعد بضعة ايام حزينا طريداً .

حكم الشيخ عبد الله بن احمد بن محمد بن خليفة في البحرين اثنتين وعشرين سنة ، قضى جلها في قمع الفتن ، وفي ما عثمت من الحروب . وخلفه محمد الثالث ، الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان ، الذي كان السبب في انقسام آل خليفة الى حزبين حزب آل عبد الله وحزب آل سلمان . وهذا التقاق بما نشأ عنه من الفتن والحروب أدت الى تدخل الانكليز ، فتح الثلثة التي يتعشقها «سفين» السياسة . ساقص قصة الانكليز في حينها ومكائنها .

اما الآن فالحلقة التي نحن فيها من هذا التاريخ تتعلق بالشيخ محمد بن خليفة آل سلمان . وقد علم القارى ، مما تقدم من سيرته انه كان شجاعاً عزوماً مقداماً ، ولكنه لم يعلم بانه كان ذا بدهاة عجيبة تدنو من الرؤيا فتتمكنه من تفسير الاحلام ، والتنبؤ بما تجبئ الايام . اما في السياسة فقد كانت الحرباء مثاله الاعلى . ولا غرو ، فالدولة العثمانية كانت قد بدأت ترمق الكويت والاحساء والبحرين بنظر الام الرووم ، وكانت الدولة الايرانية لا تزال تحلم برجوع ابنتها الضالة فترام حبل سيادتها في الخليج ، وكان الانكليز ، بعد ان ثبت قدمهم في ابي شهر ، يسرون في المضيق بين الدولتين الى مقاصدهم الكريمة . فهل يلام الشيخ محمد اذا قام بينهم كالبهلوان يدهشهم تارة ، وطوراً يضحكهم ، ولا يرضي باطنا احداً منهم . قيل انه كان ينشر في القلعة علمين ، علماً عثمانياً فوق البرج الغربي منها وعلماً ايرانياً فوق البرج الشرقي ، حتى اذا حاولت احدى الدولتين التحكم باموره ادعى النسبة الى الثانية . ولكن الانكليز ادركوا سر هذه السياسة وعلّموا ان في العرب انفسهم من لا يسره نجاحها . اما قصة الانكليز فلم يكن بعد حينها .

تولى الشيخ محمد الحكم سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م فحكم مطمئن البال ست سنوات لم يخرج عليه اثناءها احد من اعدائه . ويظهر ان ابناء سلفه الشيخ عبد الله الذين هربوا بعد سقوط ابيهم الى الدمام في القطيف كانوا يتأهبون لذلك . فقد كان في القطيف يومئذ آل ابن علي وزعيمهم عيسى بن طريف الطامع بملك البحرين . فاتحد وآل عبد الله وجاءوا الى قطر يشهرون الحرب على الشيخ محمد . فبعث اخاه علياً على رأس جيش كبير نازلهم في أم سوية فقتل في الواقعة عيسى بن طريف وقتل الشيخ مبارك بن عبد الله واخوانه هاربين الى الدمام — يلزمنا يا اولاد يوربي حليف آخر . . . — دونك يا مبارك وابن سعود .

وكان امير نجد يومئذ فيصل بن تركي الذي نهض للحرب يسترجع ملك اجداده . فأجاب طلبتهم بأن بعث يدهم بجيش في البحر وسار يقود بنفسه جيشاً برياً . وعند ما اجمر آل عبد الله وانصارهم الى البحرين كان الشيخ محمد قد حشد الجيوش برأ وبهجراً لمقاومتهم . فغلبهم ثانية في وقعة بحرية قتل فيها الشيخ مبارك وابن عدو آل خليفة الاله بشر بن أرحة . ثم حاول آل عبد الله الثالثة ان يأخذوا بثأر ابيهم فلم يفلحوا . فبعد ان حاصرهم الشيخ علي اخو الشيخ محمد في الدمام احد عشر شهراً واضعف شوكتهم لجأوا الى ابن سعود ليكون هذه المرة واسطة الصلح بينهم وبين ابن عمهم ، فقام الامير فيصل بهذه المهمة المبرورة وكانت من المفلحين . فعاد آل عبد الله الى البحرين فعفا الشيخ محمد عنهم واكرمهم غاية الاكرام .

ومع ذلك لم يصف الجو للشيخ محمد . فلم يكد يخدم نار الفتنة في القطيف حتى اشتعلت في قطر التي كانت يومئذ تابعة للبحرين ، فقام اهلها وعلى رأسهم الشيخ قاسم بن نالي يخلعون نير الطاعة ويهددون آل خليفة بابن سعود . فارسل الشيخ محمد اخاه علياً ليؤدب العصاة . فوصل الشيخ علي بجيشه الى الدوحة عاصمة قطر ، ودخلها بعتة ، فاعمل في اهلها السيف ثم دمرها تدميراً . جاء بعد ذلك الشيخ قاسم الى البحرين يلتمس العفو فالفاه الشيخ محمد في

السفن ، فهاجت لذلك قبائل قطر بأسرها وفي مقدمتهم عرب النعيم وجاءوا
بأسطول من السفن يهاجمون البحرين . فلما وصلوا اليها وجدوا جيشاً في البحر
مستعداً للقتال ، فحدثت في مكان اسمه داسية معركة شديدة ، تلاصقت فيها
السفن فشُبكت بكالاليب الحديد ، وتجالد الفريقان قاحر وجه الماء من دم القتلى
وكان الفوز للبحارنة .

وكانت وقعة داسية هذه - ١٢٨٤ هـ ١٨٦٢ م - السبب في تدخل
الانكليز بشؤون البحرين .

لست ممن يشكّون في ان الانكليز ينفون السلم ويسعون في توطيد الامن في
الخليج العجمي . بل هم ينفون السلم ويسعون في توطيده في كل مكان يتخذونه
طريقاً لتجارتهن وسبيلاً لتأييد سياستهم في الهند . وقد بان لك ايها القارىء في
ما سردته من تاريخ البحرين ان الخليج ، وهو اهم هذه الطرق ، كان دائماً مسرحاً
للقتل والحروب التي يسببها حب السيادة والاستعمار . جاء الانكليز بعد اهل
البرتغال وقصدهم الاستيلاء عليه ، والمحافظة فيه على الامن والسلامة . فبسطوا
شيئاً من سيادتهم ونفوذهم على بعض الجزر والاساكن على الساحل العجمي ، منها
ابو شهر التي هي اليوم مركز الحاكم العام .

وراحوا ينشدون الامن والسلامة - والسيادة طبعاً - في الجهة العربية
منه . نريد الخليج طريقاً آمنة للتجارة في ايام السلم ، ونريده في ايام الحرب وهو
مفتاح الهند بيدنا وحدنا . انما هذه هي غاية الانكليز الاولى والاخيرة .
ولا ريب بذلك . اما الوسائل التي اتخذوها لتحقيق هذه الغاية والسياسة
التي انتهجوها لتعزيز سيادتهم في الخليج ، فتلك قصة اخرى لا احرم القارىء
طريقاً منها .

قلت ان الشيخ محمد بن خليفة كان شاذاً في بدايته الى درجة تصبح
البداية فيها ضرباً من الرؤيا . ولكنه لم ير شيئاً وأسفاه مما كتبه الاقدار
في تقرب الانكليز منه . جاء الوكيل السياسي من ابي شهر بخطب وده ويدعوه

للعقد معاهدة تضمن له سلامة بلاده ومساعدة بريطانيا العظمى^(١) فرفض يرفض هاتين النعمتين ؟ كان الشيخ محمد كما اوضحت محوطاً دائماً بالاعداء من القبائل ومن آل بيته ، تزعزع حكمه الفتن والحروب . فرأى المحكمة والمصلحة في عقد المعاهدة ، وان كان من شروطها ان يتنازل حاكم البحرين عن حقوقه في تجهيز الجنود البحرية والسفن الحربية . فقد تعهدت بريطانيا العظمى في مقابلة ذلك ان ترد عن البحرين كل قارة بحرية . هذه خلاصة المعاهدة او الاتفاق .

فلما ثار اهل قطر على حكومة البحرين وجاءوا يهجمون على الجزيرة خشى الشيخ محمد من استيلائهم عليها بينا هو يفاوض الوكيل السياسي في ابي شهر^(٢) وينتظر النجدة منه . فكانت وقعة دامية وكانت فاتحة المحنة الكبرى . ركب الوكيل السيامي مركباً حربياً وجاء يهتج على الشيخ محمد بانه خرق المعاهدة بينه وبين بريطانيا العظمى . ولكن الشيخ محمد وكل اخاه طلياً بالامر وسافر الى قطر قبل ان يصل الوكيل الى البحرين . فعد الوكيل ذلك اعترافاً منه بنكث العهد وفراراً من التبعة والجزاء . فامر باطلاق مدافع البارجة على القلعة التي كانت تزدهي بعلمي تركية وايران فهدمتها . ثم طلب من الشيخ علي ان يتولي الحكم بدل اخيه الذي سقطت امارته بخرقه المعاهدة . قبل الشيخ علي وكان في قبوله الشقاق بينه وبين اخيه . فقد اشار الى ذلك

(١) حدثني احد افاضل البحرين قال ، كان للبحرين اسطول شراعي كبير مسلح بالمدافع والذخيرة استنحل امره . فاستولى حكام الجزيرة على قطر والقطيف فخشي الانكليز حاقبة ذلك لان مصالحهم تقضي بان تبقى بلدان الخليج متنافرة متشاقة لكل منها امير مستقل . فاحطروا اسراء البحرين بان القتال في البحر ممنوع وان لبريطانيا العظمى حقاً بمنعه تعترف لها به الدول الكبرى . فلا يجوز اذن ان يخرج اسطولكم الى عرض البحر واذا خرج فالاسطول الانكليزي يقوم بواجبه . فاحتج الشيوخ الاسراء ان بلادهم جزر مفتوحة تتورها لا حصن لها الا الاسطول . فان لم نندم به الاعداء ملكوا بلادنا ورقابنا . واذا لم نهاجم هوجنا . فاجاب الانكليز : اذا كان الامر كذلك فان حكومة بريطانيا العظمى اذا امتنعت عن الهجوم البحري ، تتعهد برد الاعداء عن بلادكم .

(٢) ابو شهر هي على الشاطئ الفارسي وتبعد نحو مئة وخمسين ميلاً عن البحرين شرقاً بشمال .

ابن اخيه شاعر البحرين اليوم الشيخ ابراهيم في القصيدة التي يرثي بها والده حيث قال :

فنازعك الشقيق وكان قدماً حاسمك والامور لها انزعاج
واغرى الدهر بينكما وهاجت على الافساد بينكما الرعاع
كان الشقيقان متحابين يخلص احدهما للآخر ، ولم يبد في خلال ثلاثين سنة التي فيها حاربا وادارا الشؤون معاً اقل ميل في علي الى منازعة محمد الحكم والسيادة . كانا والحق يقال مثال الوداد والوفاء حتى مجيء الوكيل السيامي من ابي شهر . فكان الاخلاق به ان يكنفي بما فرضه على البحرين من المال ، اي مئة الف روبية ، تعويضاً وقادياً ، ولا يزرع في سياسة البلاد الداخلية تلك البذرة التي تأصلت في البيت المالك ولا تزال تنتج الفتنة والشقاق .

بعد ان تولى الشيخ علي الحكم سافر اخوه الشيخ محمد الى الكويت فتدخل آل صباح يصلحون بين الشقيقين . فكتب الحاكم يومئذ الشيخ عبد الله الى الشيخ علي يسأله ان يرجع الامر الى ما كان عليه ، فقبل الشيخ علي بذلك . فجاء اخوه الشيخ محمد يصحبه حاكم الكويت واخوه الى البحرين ولكنهم علموا قبل ان ينزلوا الى الجزيرة بان الشيخ علي عدل عن رأيه واصر على امره . ولا شك ان اليد التي كانت تؤيده هي اليد التي اقامته حاكماً .

لا يحكم الصياد اشباكه الا اذا عكر بطن الغدير

عاد الشيخ محمد ، الذي لم يقهر مرة في حياته ، الى ما فيه من قوة ودهاء فزل في دارين وشرع يتأهب هنالك للقتال . فشد جيشاً من بني هاجر واعلن الحرب على اخيه . فخرج له الشيخ علي بجيشه فاقتلوا قتالاً شديداً ذبح فيه الشيخ علي ونفرق جيشه . فعاد الشيخ محمد الى الحكم الذي ما دامت الفتنة تشتد فيه والحن تزداد يوماً فيوماً .

كان ابناء الشيخ عبد الله من الذين نصروا الشيخ محمد على اخيه ، وهم مسرورون بما حدثت بين الاخوين المقتصي الحكم من ابيهم . ثم يادروا الى الانتفاع بما اسلفوه من مساعدة فادعوا انهم كانوا السبب في انتصار الشيخ محمد

وقاموا يناهضونه . ثم قبضوا عليه فسجنوه في القلعة التي كان يرفع فوقها العلمين التركي والایراني . وقد قال لهم الشيخ محمد عندما اعتقلوه وكان سيف نبوته صادقا : لن تظل مدة حكمكم أكثر من ثلاثة اشهر .

وصار الامر بعد كما (١) لقوم (٢) له حبلا ولكن لم يطاعوا وكان الامر كذلك ، اذ قبل ان يتم الشهر الثالث جاء الوكيل السيامي من ابي شهر في مركبه الحربي وتولى امور البحرين المضطربة . «فاستشار» الاهالي ، بعد ان اطلق بضعة مدافع على سراي المنامة ، في من يختارون حاكما عليهم فأجمع رأيهم على الشيخ عيسى بن الشيخ علي الذي قتل في الحرب الاخيرة . ثم طرد من البحرين بني هاجر وم اتباع آل عبدالله ، وأخرج الشيخ محمد بن خليفة من القلعة فاصطحبه ومحمداً بن عبدالله في البارجة ، فانزلا في جزيرة كانت منفي احد المحمدين ومحطة لمنفى الثاني اي محمد بن خليفة بن سلمان بن احمد الفاتح . فقد نقل من تلك الجزيرة الى عيالي ، ثم الى عدن ، فأقام فيها عدة سنين اسيراً . بعد ذلك شفع فيه السلطان عبد الحميد الى الحكومة البريطانية فأذنت له بالسفر الى مكة ولكنه لم ينعم فيها ، فقد مات هناك سنة ١٣٠٧ هـ كما مات الشيخ عبدالله في مسقط حزينا طريداً ، فرثاه ابنه الشيخ ابراهيم بتلك القصيدة التي نقلت بعض ابياتها وفيها يقول :

واسلمك الزمان الى خطوب تذلل لبعض اصغرها السباع

الى ان قال :

فان مكارم الاخلاق علق نفيس لا يعار ولا يباع
الا يانفس جدي واستمدي فان الامر جد واضطلاع
وياقطب المعالي انت قصدي وهل يخشى مع القطب الضياع

(٢) اي ابنا الشيخ عبدالله .

(١) اي بعد ابيه وعمه .

الفصل السادس

الشيخ عيسى والانكليز

الطريقة المثلى في التاريخ — الشيخ عيسى في نظر السجّام — في نظر المؤرخ —
سجّام — كرمه — وقامه — اختلاصه للانكليز — محافظته على القديم — مقاصد
الانكليز الخفية — ثبات الشيخ عيسى على اليهود — مدحت باشا والي بغداد
يعرض عليه مساعدة الدولة — اعتراف الانكليز باستقلال البحرين — مساهمي
الانكليز في تقيوض الاستقلال — الحوادث عدوة اليهود — ثلاث حوادث خطيرة —
وكالة سياسية بريطانية في البحرين — حرق الاسطول — عزل الشيخ عيسى .

عند ما أُقتل الشيخ علي آل سلمان آل خليفة ، كما ذكر في الفصل السابق ،
سافر ابنه الشاب الشيخ عيسى مع اخوته وبني عمه الى قطر فنزلوا على قبيلة
النعيم فيها . وعند ما استفتى الوكيل السياسي الانكليزي اهل البحرين بمدثني
في حاكمها اجمع رأيهم على الشيخ عيسى ^(١) فكتب اليه الوكيل يخبره بذلك
ويسأله ان يعود . فعاد بن كان معه من عشيرته وقبيلة النعيم ونزلوا في المحرق .
ثم نُصب حاكماً على البحرين في آخر شعبان سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٢٠ م وهو في
الواحد والعشرين من سنه ^(٢) فعاد الحكم الى آل سلمان وكانت فيه خاتمة الفتن
والحروب الاهلية .

قد انتهجت في كتابة هذه النبذة ما اظنها الطريقة المثلى في التاريخ .
فغربلت الحوادث ، واخترت منها الاعم والاهم ، وعلقت عليها في بعض المواضع
بالايجاز الذي يوجب المقام ، وافضت بعض المواقع تسمية للصورة الذهنية ، صورة

(١) هو عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن احمد الفاتح بن محمد ، تاجر اللؤلؤ ، ابن
خليفة الذي نزع من الافلاج بنجد ونزل في الكويت . وآل خليفة من بني حنينة وهي فصيلة
من جتيلة وجيلة فخذ من عنزي ، وعنزي تمت الى بني اسد فريضة فعدنان .
(٢) ولد الشيخ عيسى في محرم سنة ١٢٦٥ هـ وامه ابنة عيسى بن طريف آل ابن علي
الذي خرج على الشيخ محمد صم الشيخ عيسى لما كان حاكماً .

الزمان والمكان والاحوال ، واجتنبت اولاً واخراً الاطراء والاطناب ، فوصفت الرجال بما تمليه اعمالهم على المؤرخ .

ولو اني تمسيت على اسلوب التاريخ الذي بين يدي لكان ينبغي لي في الكلام على الشيخ عيسى بن علي ان اقول انه « استلم زمام الملك بيد الحزم والتدبير ، فدانت له القبائل والعربان ، ونشر رايات العدل والامان ، وقمع بسيفه البغاة والعدوان ، وشاد بعلمه وحلمه وثقواه ركن الدين ، واطل باخصان فضله الارامل والمساكين ، فالتقى السعد عصا تسياره بقصره ، وخصه بين الانام بنصره . » الخ .

ولكن التاريخ هو غير السجع . يجب ان يكون للتاريخ عينان ، وعقل ووجدان . ولا بأس اذا كان له شيء من البدهاة والتصور . اما القلب فلا حاجة له فيه ، ولا يجوز . ان التاريخ الصادق هو شاهد لا قلب له . وهو الان يشهد ويقول ان للبارجة الانكليزية التي كانت في رتقر البحرين يوم استفتي البحارنة ، يداً قوية في ذلك السعد الذي « التي عصا تسياره » في قصر الشيخ عيسى . ويقول ايضاً ان ملكه الذي استمر خمس وخمسين سنة كان اكثر عدلاً وصلاحاً من ملك من تقدمه من اجداده . ولذلك اسباب منها ما يتعلق بشخصه الكريم ، ومنها ما يتعلق بالانكليز ، ومنها ما هو ناشئ عن روح الزمان في المدنية والعمران .

كان الشيخ عيسى كريماً جواداً ، فقد انعم على القبائل التي كانت معه في قطر بمبالغ جسيمة من الاموال يوم نقلت الامارة . واعطى في جلسة واحدة اربعين رأساً من الخيل الاصائل ، ووصل بني عمه بالطرف النفيسة والجواهر والبساتين . هي السجية الاولى التي كان يترسل اليها ويعتمد على ما فيها من قوة البرهان والافتناع . حتى انه لم يكن ليرى غير الكرم في بعض الاحابن سبيلاً الى توطيد الحكم وتعزيزه . وقلما استبقى من واردات البلاد شيئاً لنفسه . بل كان ينفقها كلها ، منذ كانت تعد بالالوف الى ان صارت تعد بالملايين ، على وفود العرب ، وافراد عشيرته ، ثم في الاصلاحات العامة .

اعتمد الشيخ عيسى على الكرم وقلا اعتمد على غيرها من مزايا النفس .
أريد بذلك انه لم يكن ليشق كثيراً بنفسه او يعتمد عليها . بل كان في جل
اموره وكلا . فاذا جرب انساناً ولو تجربة طفيفة اعتمد عليه ووثق به على الدوام ،
فيصم اذنه عن كل ما فيه ذكر مساوئه او الاشارة اليها . وقد نشأ من هذا
الضعف خلل في الاحكام وفي جباية الخراج .

اما العدل فقد كان غالباً معزراً في عهده . والحق يقال ان الشيخ عيسى
نفسه لم يظلم انساناً ، عرضاً او عمداً ، في مدة حكم استمر خمس وخمسين سنة .
فقد كان دائماً يتحرى العدل والانصاف . ولكن ذلك لا ينفي ما كان يحدث
من المظالم في دوائر احكام البحرين ، وان أُسدل عليها ستار من التعمويه ، لان
الرجل كما قلت كان وكلا فلا ينتبه الا بعد حين الى اعمال معتمديه .

ولم يكن الشيخ عيسى يميل الى الجديد والتجدد ، بل كان منذ حداثة
محافظة كل المحافظة على القديم ، فلا يغير شيئاً مما درج عليه ، ولا يرغب بشيء
فيه بعض الخروج عن المألوف في التقاليد والعادات . وظل كذلك حتى اصابه
في آخر ايامه سهم من روح الزمان وحاققت به سن الرقي والعمران ، فقام يساعد
في انشاء المدارس ويأمر ببناء المحاجر والمرافق العامة في بلاده . وقد وضع اول
حجر في اول مدرسة بيده ، وخصصها براتب شهري بعد ان افتتح جريدة
الاكتتاب بمبلغ وافر من المال .

ومن مجاياه الممتازة فضلاً عن الكرم وحب العدل انه كان صادقاً في ولاءه
وفياً . فقد احسن الظن بالسياسة الانكليزية لاعتقاده ان انكلترة لا تريد الا
نشر تجارتها وتعزيزها . ولكنه جهل كما يجهل الكثيرون حتى من الانكليز انفسهم
ما كان مطويماً من مقاصد تلك السياسة^(١) ، فأمن مناوأتها . اجل ان اخلاص
الشيخ عيسى للانكليز خمس وخمسين سنة — للانكليز الذين ساعدوا في اقامته

(١) حدثني احد الذين كانوا موغلفين في الوكالة السياسية الانكليزية بالبحرين قال
كان يجهلنا ويخرج من عندنا كثير من الرسائل والبلاغات السرية . ان في دار الوكالة منها
ما يملأ بضعة صناديق ويدمى فحوها كثيرين حتى من رجال الحكومة بلندن .

حاكماً ، ثم اذآوه وامتهنوا حرمة ملكه مراراً ، ثم اسقطوه عن العرش الذي رفعوه اليه — ان اخلاصه لهم ، وحسن ظنه بهم ، لمن الفضائل التي قلما نجدتها في غير العرب من الشعوب الشرقية . وما كان ذلك الا لانهم ساعدوه في بداية امره ، ولانه طاهدتم على اشياء منها الاعتراف بالاتفاق السابق بينهم وبين عمه الشيخ محمد ، ذلك الاتفاق الذي قضى على اسطول البحرين وجعل البلاد متكئة على بريطانيا العظمى في الدفاع عن نفسها .

مع ذلك لم يمضت الشيخ عيسى بعهد ، ولا عقد اتفاقاً مريباً مع دولة اخرى من الدول . كتب اليه مدحت باشا عندما كان والي بغداد يعرض عليه مساعدة الدولة بعقد اتفاق ودي بينه وبينها ، فدفع الكتاب الى اصدقائه الانكليز وكتب الى مدحت يقول : حسي بريطانيا العظمى صديقة وحليفة . وقد فاوضته كذلك الحكومة الالمانية بواسطة معتمدها التجاري في البحرين فكان جوابه : لا اقدم على بريطانيا العظمى احداً ، ولا اعاون عليها عدواً . كمشيراً ما اعترض بعض رجاله على هذه الثقة المطلقة ، وفيها التغاضي عن المساوي ، فكان الشيخ يقول : ان بريطانيا العظمى اثبتت الامم الاوروبية في المعاهدات ، فقد اعترفت باستقلال بلادها وحرية حكومتها ولا اريد اكثر من ذلك .

فهل قام الانكليز بما توجب عليهم الصداقة بل العهود بينهم وبين شيوخ البحرين ؟ قد اعترفت انكلترة باستقلالهم ، فهل احترمت هذا الاستقلال ؟ سأأخذ من تاريخ البحرين في عهد الشيخ عيسى بن علي ثلاث حوادث فيها الجواب على هذا السؤال ، وسأرويها بما يميزه التحقيق من الايجاز .

اما اول هذه الحوادث فهو ضرب الزبارة سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م التي كانت اول ما حكم آل خليفة في قطر عندما جاؤوها من الكويت . وبعدها انتقلوا منها الى البحرين غدت عشاً للفتن والثورات . ذلك لان فيها الجلاهمة وآل ابن علي وبنو هاجر^(١) النازعين دائماً الى الفتن طمعاً بالسيادة والحكم .

(١) هم الذين كانوا في البحرين عندما تولى الشيخ عيسى الامارة فطردهم الوكيل الانكليزي منها لانهم كانوا موالين لآل عبد الله اعداء آل سلمان .

فقاموا سنة ١٣١١ هـ بنفخون في نار الفتنة فاضرمت في الزبارة ونواحيها ، فكثرت جموع الثائرين وقد تأهبوا للهجوم على الخليفين في البحرين - فرأت الحكومة وجوب اخماد الفتنة ولم تر الى ذلك سبيلاً وواسطة غير الاسطول الذي كان لا يزال عندها قسم منه - فتشاور الشيوخ واقروا ذلك ، ثم بعثوا يعرضون الامر على الوكيل السياسي لبريطانية العظمى في ابي شهر وبستأذونه - فحذرهم الوكيل من نقض الاتفاق - فطلبوا منه الدفاع عن البلاد ، ذلك الدفاع الذي يوجبه الاتفاق - فتعلل الوكيل اولاً ، ثم اشترط في مقابلة الدفاع شروطاً جديدة منها ان يكون لبريطانية العظمى وكالة في البحرين ، ويكون للوكالة الحق بالمشاركة على قضايا الرعايا البريطانيين - فمآذا يفعل شيوخ آل خليفة في مثل هذا الموقف الحرج ؟ ويلهم من الثائرين الزاحفين على بلادهم ، وويلهم من البوارج الانكليزية الراسية في الخليج اذا هم دافعوا عن البلاد - قبلوا بالشروط الجديدة ، فاجرت اذ ذاك البوارج الى الزيارة وفرقت بقنابلها الاقوام الثائرين .

والحادثة الثانية حدثت بعد عشر سنين سنة ١٩٠٣ وهي بنفسها طفيفة ، ولكنها خطيرة في نتائجها - خادم الماني احاب ابن اخ الشيخ عيسى فضربه ، فشكاه الخادم الى رئيسه ، فرفع الرئيس الدعوى الى الوكيل السياسي الانكليزي^(١) والى حكومة المانية - وبعد بضعة ايام اتفقت الحكومة المحلية والرئيس الالماني فاعتذرت عما فرط من ابن اخ الحاكم ، ودفعت الى الخادم ثلاثة الاف روبية - على ان هذه التسوية لم ترض ، على ما يظهر ، الوكيل السياسي في ابي شهر وكان يومئذ السير برمي كوكس ، فجاء بمراكبه الحربية فرست سيفه مياه البحرين

(١) ليس لاكثر من قنصل في الخليج العجمي لان وظيفة القنصل محض تجارية - ومصالحها في الخليج تقتضي ان يكون لها هناك ممثلون سياسيون - وهؤلاء في المنصب اثنان الموظف السياسي Political Officer والوكيل السياسي Political Agent وفي الخليج وكييل سياسي اول سريره في ابي شهر يرجم اليه الوكلاء والموظفون السياسيون في الكويت والبحرين ولنجة وفبرها من الاساكل والجزر - اما مرجم الوكيل السياسي في ابي شهر فهو حكومة الهند - وبما ان في البحرين كثيرين من الهند فقد اطلقوا على الوكيل السياسي فيها لقباً هندياً فهو يدعى هناك بلتوس .

وانزلت بعض جنودها الى البر - ثم عرض الوكيل لأمحة بما تطلبه الحكومة البريطانية جزاء ضرب الالماني ، فنفذت مادة مادة . حرق ما تبقى من سفن البحرين الحربية ، وحكم على ابن اخ الشيخ عيسى بالنفي خمس سنين قضاها في الهند ، وأحيل الى الوكالة البريطانية بالبحرين النظر والفصل في دعاوي الاجانب كلها .

اما الحادث الثالث في سياسة الاستيلاء التدريجي فقد حدث في شهر ايار من السنة الماضية . ولا بد قبل ان ارويه من تمهيد . قد علم القارىء بما تقدم في هذا الجزء شيئاً عن اهل نجد وشيئاً في ما تقدمه عن اهل الشيعة وخصوصاً الايرانيين منهم . فهما كان من اسباب الوثام تجارة واجتماعاً بين الشعبين اذا جمعتهما مدينة واحدة ، فالخلاف الديني ، وقل الغلو في الدين ، فضلاً عن الخلاف الجنسي والسياسي ، كلها متأصلة في القلوب ، متأهبة في ساعة الشر للوثوب . وفي البحرين من التجار والعمال النجدي والايواني ، وقد علم القارىء ان الاثنين بموجب الاتفاق الاخير بين حكومة البحرين وحكومة بريطانيا العظمى به يعدان من الاجانب ، فيجب ان تسمع دعاويهما في دار البليوس اي الوكيل السياسي الانكليزي بالمنامة .

وهذا البليوس ، ابتغاء حزب له من الايرانيين ، سعى في عزل رئيس بلدية المنامة ونصب مكانه احد تجارهم محمد شريف خان بهدور الذي اشتهر بكرهه للعرب . وقد كان لهذا الرئيس صنيعه البليوس تفوذ في الاحكام يدنو من نفوذ الحكومة الوطنية ويتجاوزه في بعض الاحاين . هذا هو التمهد .

اما الحادث فهو انه في اوائل ايار سنة ١٩٢٣ مسرقت ساعة من بيت تاجر نجدى ، فاتهم بالسرقة رجل فارسي فقام بعض اهل بلاده بدافعوت عنه ، فأدى ذلك الى خلاف بينهم وبين اهل نجد ، فتحزب الفريقان واشتملت في القلوب الاحقاد الكامنة ، فافضى النزاع الى القتال ثم الى السلاح . وكان خان بهدور محمد شريف رئيس البلدية يغري العجم في هذه

الفتنة على قتل العرب^(١)

اما الحكومة فبما ان المتقاتلين كلهم من الاجانب اكدت بحفظ الامن ما استطاعت . ولا اظن مما شاهدته في البحرين يوم كنت هناك انها كانت تستطيع كثيراً .

أبرق البايوس نخب الفتنة الى الوكيل السيامي في ابي شهر فجاء مسرعاً تصعبه بارجتان . وكان اول ما طلبه من الحكومة ان يعتزل الشيخ عيسى الحكم . فأبى الشيخ ، فأصر الوكيل ، وجمع فريقاً من الناس فأطن فيهم عزل الشيخ عيسى وتولية ابنه الشيخ حمد مكانه . وهذه البوارج في الثغر نلت اليها نظر الوطنيين المشاغبين .

ثم تبع العزل والنصب سلسلة من الاجراءات خطأ فيها التطور السيامي والاتكال الوطني خطوات كبيرة . فقد ألغيت المحاكم الوطنية ، وعينت من واردات الجمرك وغيرها ، التي تحولت الى بنك انكليزي في المنامة ، رواتب شهرية للشيخ حمد ومن دونه من افراد الامرة الحاكمة . وقد تأسس ديوان يدعى مركز الحكومة ليقوم مقام المحاكم الوطنية يحضره الشيخ حمد والبايوس فينظران معاً في شؤون البلاد الداخلية .

هذه هي قصة البحرين والانكليز في عهد الشيخ عيسى بن علي . من حكومة مستقلة ذات اسطول حربي ، الى حكومة ولا اسطول ، الى حكومة يراقبها وكيل سياسي انكليزي ، الى حكومة تشارك في ادارة شؤونها الداخلية والاجنبية حكومة بريطانية العظمى بواسطة بليوسها ووكيلها في الخليج ، الى — والليالي بالحادثات جالي ! .

(١) « فلما كان رمضان حدث خصام بين فارسي ونجدي فكانت النتيجة ان رئيس البلدية والبوليس ' تعصباً لجنسيتهم ' حضوا العجم على اطلاق الرصاص . فنحول الخصام البسيط الى فتنة دموية « من مرضة قدمها وكلاء الامة البحرانية لرئيس الخليج في ابي شهر في ١٧ ربيع اول سنة ١٢٤٢ .

الفصل السابع

النهضة الوطنية

شكل الحكومة الماضية — انقلاب ايار — احتجاج سلطان نجد — عزول رئيس البلدية — حكومة مزدوجة — نكبة النهضة الوطنية — من المسؤول ؟ — حقيقتان جوهريتان في تاريخ البحرين — عبيرة لاسراء العرب — عبيرة للانكليز والاوروبيين — حكومة انكلترة لا تعلم بكل ما يجري على يد وكلائها — الوكيل المضر بالموكل والموكل من اجله — اولئك الذين لا يفهمون العرب ولا يحبونهم — حكومة الخليج وسلسلة الاحداث فيها — اوامر الحكومة في لندن وتنفيلها — مطالب اهل البحرين الوطنية — القوة لا تحترم غير القوة — الوكيل ينذر البجاعة — ما جرى على العرب غير انفسهم .

لم يكن للوكيل السيامي في البحرين قبل انقلاب ايار سنة ١٩٢٣ غير حق النظر في قضايا الاجانب . ولكنه كان يتدخل بشؤون البلاد على قدر ما تسمح به الاحوال وتمكنه منه السياسة التي تستمد قوتها من مصالح التبعات الاجنبية ومشاكلها ، ومن البوارج الراسية في الخليج . وكان هذا التدخل بنعم ويحسب ملمساً بالنسبة الى البليوس ، اي الوكيل ، وصفاته الشخصية . اذ ليس بين بريطانيا العظمى وحكومة البحرين معاهدة مسجلة ، بل هناك اتفاقات كما اتضح مما اسلفت تضمن للانكليز ما حازوه تدريجياً من نفوذ في البلاد ، وتضمن للبلاد حريتها واستقلالها .

سألت عن شكل الحكومة عند ما كنت هناك فعلت انها ثلاثة اشكال ، وطنية واجنبية ومختلطة . وكان سمو الشيخ عيسى يومئذ يدير الاولى ، والبليوس يدير الثانية ، ورئيس البلدية العجمي صاحب الكلمة النافذة في الثالثة . وقد انشأت هذه الحكومة المثانة الزوايا اربعة انواع من المحاكم الاهلية ، اية الشرعية وهي التي ننظر وحدها في دعاوي الوطنيين ، والاجنبية ، اي دار الوكالة الانكليزية ، وهي ننظر وحدها في دعاوي الاجانب كلهم . والمختلطة اي التي كان رئيس البلدية يومئذ عضواً من اعضائها للنظر في الدعاوي بين الوطنيين

والاجانب . ثم محكمة الفوص ولها قانون خاص يتساوى به الاجانب والوطنيون .
 . . ولكن انقلاب ايار ذهب بالشكل والشعار . فعزل الشيخ عيسى كما قلت ،
 والغيت المحاكم الوطنية ، ثم عزل خان بهدور شريف رئيس البلدية اجابة
 لطلب ابن سعود . اذ عند ما وصلت اخبار الفتنة الى القصر بالرياض ، وعلم
 السلطان عبد العزيز بما كان لهذا الرجل في اثارها واغراء قومه بعرب نجد ،
 طلب من الانكليز عزله فعزلوه حالاً . ثم ادتمت المحاكم على انواعها بالمجلس الذي
 يشترك في رئاسته الشيخ حمد بن الشيخ عيسى والبليوس ، فأتمت الحكومة
 المثلثة حكومة مزدوجة ، وامسى الحاكم الوطني شريكاً للحاكم الانكليزي .

ها قد وصلت الى بعض السبب او كله في ما سمعته من الشكوى والانين
 هناك واشرت اليه في الفصل الاول من هذا القسم من الكتاب . قلت ان في
 البحرين نهضة وطنية ، ولكنها سياسياً مقيدة . كانت قبل ايار فائضة فأتمت
 بعده منكوبة . وكان السبب في القنوط نفس السبب في النكبة ، لا يختلف الا
 في درجتي الشدة والاستمرار . ومن المسؤول ؟ اذا سألت البحارنة يجيبون :
 الانكليز واذا سألت الانكليز يجيبون : العرب البحارنة .

هناك حقيقتان في تاريخ البحرين وسياستها الخارجية لا اظن احد من
 الفريقين ينكرهما . الحقيقة الاولى التي الفت اليها اولاً نظر البحارنة هي ان
 البحرين ، عندما كان لها اسطول حربي قبل عهد الشيخ عيسى بن علي ، كانت
 وجيرانها في احتراب دائم . وقد علمت مما شاهدته وتحققته في البلاد العربية
 كلها ان بلية العرب الكبرى — كانت ولا تزال — هي النزوع في كل قبيلة ،
 بل في كل عشيرة ، الى الاعتزال والاستقلال . لا يعرف العرب من مبدأ
 التضامن غير ما توجهه القبيلة ، او يدعو اليه في بعض الاقطار المذهب الديني .
 لا يخضع العرب بعضهم لبعض الا كرهاً ، ثم ينزعون الى السيادة المستقلة اذا
 وجدوا الى ذلك سبيلاً . الجهل ايها الادباء هو عدو التضامن ، والجهل المسلح
 ايها الامراء هو عدو الرقي وال عمران . فالسلاح بيد العرب اليوم ، اللهم اذا
 كانوا لا يخرجون على روح البداوة فيهم اولاً فيجمعون شملهم تحت عام واحد

او علمين في الاكثر ، هو مضر بهم ، مضر جداً - لا يزال اكثر الامراء جاهلين ، او انهم من المحافظين على القديم البالي ، المقاومين لمبدأ النشوء والتجدد . فما الفائدة من القوة بايديهم ؟ اوجه هذا السؤال الى الشبيبة الراقية . ما الفائدة من اسطول يمكننا من الاستيلاء على قطر والقطيف والاحساء اذا كنا لا نوسع في الملك غير القوة الغاشمة ، الجاهلة ما في روح الزمان من اسباب الرقي وال عمران ؟ يلزم البلاد العربية في هذا الزمان عشرون سنة في الاقل من السلم الدائم المستمر ، فتؤسس المدارس اثناءها - تفتح على الدوام - وتفتح لابنائها الاذكياء ابواب العمل في الصناعة والزراعة وفي علوم الادارة والاقتصاد . هذي هي الحقيقة الاولى التي لا يجيها احد من ادباء وعقلاء البحرين .

اما الحقيقة الثانية التي الفت اليها نظر الانكليز فهي ان السياسة العربية التي تمسوا عليها في الماضي لا تصلح اليوم لاهم ولا للعرب . هي تضر بمصالح بريطانيا العظمى ليس في البلاد العربية فقط بل في الشرق اجمع ، وتضر بالاسم الانكليزي وكل ما يرمز اليه من ادب وعلم وكرم اخلاق وثقافة . السياسة الانكليزية في البلاد العربية تخبطت في مضيق جانب منه مظلم ، وجانب براق فيه وتمل من الماء خدع المحبين ، يخفيه سراب خدع الاعداء . مثل ذلك في البحرين وعدوها الشيوخ بالدفاع عن البلاد اذا هم دمروا اسطولهم الحربي . على ان كل دفعة من ذلك الدفاع افقد البحرين كما بينت شيئاً من حريتها واستقلالها . اجل ، قد كانت الدفاع درجات الى الاستيلاء . فمن يشق بعد ذلك بعود الانكليز وعمودهم ؟ اما اذا كانوا يبغون رفع العلم البريطاني فوق دار الحكم في الجزيرة فليس اسهل من ذلك . ان دولة من الدول الصغيرة التي لا تزيد قوة اسطولها على ربع قوة الاسطول البريطاني لتستطيع ذلك في يوم واحد . ولعمري ان مثل هذا الاحتمال خير من تلك السياسة التي هي كالبركان او الزلزال ، لا يظهر شيء من قصدها الحقيقي الا مرة كل خمس او عشر سنوات .

حدثني احد ادباء البحرين فقال : اذا كان هناك فرق بين الاستعمار

الانكليزي واستعمار الدول الاخرى فهو ان هذا كالجزار الذي يقتل شاته دفعة واحدة وذلك كمن يعذب الشاة وخزاً بالابر حتى الموت . فاي الميتين اولى ؟ ولو لم اكن شاهدت ما شاهدت ، وصمعت ثم تحققت ما سمعت ، لكنت اقول ان محدثي انما هو شرقي يتكلم . وكتبتها وباللاسف الحقيقة بعينها لا مبالغة فيها . اما ان سياسة انكلترا في البحرين هي غير سياستها في الاقطار العربية الاخرى فما لا شك فيه . قد اوضحت مبدأها المرن في معالجة شؤونها الخارجية بسبب اختلاف المكان والزمان ، وشرحت ذلك المبدأ في سياستها العربية في كلامي على لحج والنواحي التسع المحمية . وبما ان وزارة المستعمرات تدير هذه السياسة بواسطة وزارة الهند بلندن ، ثم بواسطة حكومة الهند بيمباي او بسمله ، فلا اظن انها عالمة كل العلم بما يحدثه من المشاكل وكلاؤها السياسيون في البلاد العربية ولا سيما في خليج فارس . فضلاً عن ان الوكيل يموه في بعض الاحاين دفاعاً عن عمله وحفظاً لمركزه . قد توخيت الصراحة التامة في ما اكتبه بهذا الشأن غيرة على الاسم الانكليزي وحباً بتحسين وتعزيز العلاقات الودية بين انكلترا والبلاد العربية . وبما ينبغي لي ان اذكره ان كثيراً ما يسود صحيفتها احد ابنائها المقربين الذين لا يكونون في الشرق مؤثرين لولا نفوذ بعض اصداقائهم واقاربهم في الحكومة بلندن .

حدثني احد الموظفين في حكومة العراق عن ثورة ١٩٢٠ ، وعندما علم اني مسافر الى البحرين قال : ستجتمع هناك بواحد ممن وصفت . وكان قد افاض بالحديث في طبقة من الموظفين الذين يتخذون السر آراند ولسون مثلاً في الحكم ، فيحذون حذوه في سياسته ، وليس لهم شيء من حسناته ، هم من الضباط الذين لا يصلحون لغير الخدمة العسكرية ، فلا يفهمون العرب ، ولا يحبونهم ، ولا يعطفون اقل العطف على قضيتهم .

جئت البحرين وما تمكنت من الاجتماع بالوكيل الانكليزي^(١) فيها . ولكني

(١) بما ان الحكومة البريطانية عينت وكلاً في البحرين بدله ، بعد الحوادث التي مر ذكرها ، فالغرض من تعريفه باسمه في الطبعة الاولى قد انقضى ولا لزوم للتكرار .

-سما سمعته - وقد حدثني به الكبير والصغير والوطني والاجنبي - تحققت ما قاله زميله في حكومة العراق . فقد كان يقاوم كل فكرة اصلاح في الجزيرة غير التي يكون له فيها الكلمة الاولى والاخيرة ، ولا يرى حقاً في غير القوة ، ولا عدلاً في غير سياسة العسف والاستبداد . فهل هي ياترى سياسة دوتن سترت بلندن او سياسة ابي شهر ؟ وما هي اذا كانت من الاتين سيئات الموكل وسيئات الاصيل ؟ ان البليوس موظف له رئيس في ابي شهر ، وللوكيل في ابي شهر رئيس في سيمانه ^(١) ولولي الامر في سيمانه رئيس في دائرة حكومة الهند بلندن ، ولرئيس تلك الدائرة مستشاران او وزيران في الوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات ، ولهاتين الوزارتين سياسة ثابتة قديمة التقليد غامضة المقاصد في الشرق وفي البلاد العربية تسمى دائماً ثابها . اصف الى ذلك ان كثيراً ما تصدر الاوامر من احدهما مبنية على هذه الخطة لا على الجديد المهم من الاحوال في البلاد التي تختص بها ، فتجىء الاوامر وما فيها غير النزر من العدل والحكمة ، بل ما فيها شيء احياناً من الحكمة والعدل . فتصل الى رجل متصاف متعسف ، قصير النظر والاناة ، فيفدها بالحرف ويشير على امته غضب الاهالي وكرام بغضائهم . فلو كان الوكيل حقيقاً حكيماً ، مدركاً عوامل النشو في البلاد التي هو فيها ، عطوفاً ولو بعض العطف على مساعي الوطنيين في سبيلها ، لكان بطلع حكومته على حقيقة الحال ويسألها التبصر بها والاسترشاد بشيء من حقائقها في تكييف الخطة السياسية وتلطيقيها . ولو كان الوكيل رجلاً كبيراً ، مثله الاعلى العدل في كل الاحوال ، او لو كانت في الاقل دمت الاخلاق ، لبن الجانب ، محباً للعرب ، لكان يتمكن من خدمة بلاده بما فيه كذلك مصالح البلاد التي وكل بها . ليس هذا بالامر المستحيل ، وليس مثله بالرجل النادر في الحكومة او في الامة الانكليزية .

اعود الى الحادث الذي اوجب هذا البيان . طلب اهالي البحرين في الثلاث السنين الاخيرة ثلاثة مطالب من الحكومة كلها ولا شك عادلة . فوقفت السياسة

(١) المرث الرئيسي للحكومة الانكليزية في الهند .

الانكليزية تصدهم وثقاوم مسعاهم . طلبوا تشكيل جمعية تشريعية فاجاب الشيخ عيسى بالايجاب وابي البلبوس . طلبوا تنظيم بوليساً وطنياً فرضي الشيخ عيسى . ورفض البلبوس وأصر على الرفض . قدموا لائحة اصلاح استحسها الشيخ عيسى وعزم على تنفيذها فقامت عليه وعلى الوطنيين قيامة الوكيل وبذل ما لديه من قوة وتفوذ في جوطها .

سمعت شكاي الوطنيون في البحرين ، وسمعتها في ما اتصل بي من اخبارها بعدئذ في الفريكة ، فافسحت لها مجالاً في هذا الكتاب تستحقه ،^(١) وكتبت الى احد الافاضل هناك كتاباً اقتطف منه ما يلي :

« ان في الامر ما يضعف الامل بالانكليز . ولكن التاريخ لا يثبتنا بمجاذب من الحوادث كانت فيه احدى الامم القوية الاستعمارية متغلبة وحدها على امة اخرى صغيرة . بل ترى غالباً ان المغلوب يساعد على نفسه الغالب المنتصر . ماذا يحملة على ذلك ؟ الجهل ياسيدي والضعف والجنون والخنوع والمصلحة الخاصة والطاعة العمياء — اما الطاعة العمياء فقد نفيد في سبيل وطنية عامة كبيرة كما لو كان العرب كلهم يطيعون ابن سعود مثلاً او الملك حسيناً او الامام يحيى بن حميد الدين ويمثلون اوامره . عندئذ يعز العرب وعندئذ يصلح الاوروبيون سياستهم في الشرق ، وعندئذ ، اذا طغى في البحرين او في قطر آخر طاعغ اجنبي او وطني تذكرونه بكلمة ذاك العربي الى الخليفة الثاني وثقوموث امره بجحد السيف .

« اما الآن فعليكم ان ثقتبسوا العلوم وتصروا . واني اعتقد ان العلم بالاقتراد هو امرع فعلاً واثبت . لذلك استحسن وجود الشركات الاجنبية المجردة من كل صبغة سياسية في البلاد . فانها تعلمنا الاقتصاد والنظام والادارة من حيث لا ندرى او نشاء . والعرب في حاجة شديدة اليها كلها »
« ما جنى على العرب يا صديقي العزيز غير انقسامهم . كنا وكنا وكنا —

(١) جاء في الطبعة الاولى بعض التفاصيل التي اصبحت ولاقية لها سياسة او تاريخية . بعد تغيير « البلبوس » وتقرير المعير الذي رضي به الاهالي مكرهين .

حديث مبتذل . يوم اقلت المدارس في البلاد فعم الجهل وتوارثه الابناء كنا
الجانين على انفسنا ، المقيدون بالجهل ارواحنا ، وبالخرافات عقولنا . واليوم نرى
العلم والمال بيد الاوروبيين . ويوم كان الاثنان بيد العرب اخذهما الاوروبيون
عنهم . فهلا اقتدينا بهم في الماضي فتأخذ عنهم اليوم ثم تأخذ عنهم ؟ ونربي في
الوقت نفسه روح القومية الشاملة فينا . لو كنت في سورية وعرفت سبب بليتها
لقلت : اما نحن فعرب من صميم العرب وديننا الاسلام . فلا سبيل اذنت الى
المنفرقة جنساً ومذهباً . ولو كان لكم عشر سنوات من التعليم المدني العام لفقم
غيركم في الربوع الساحلية . وهذا ما ابغبه لكم . التعليم في المدارس . التعليم
بالاقتداء . الا ان العربي الكسلان اذا رأى ما هو مدفون في ارضه من
الخيرات لتغير نفسيته وعقليته وكذلك اعصابه فلا تياس يا صديقي ، ولا تظن
ان الله يحص جيلاً واحداً من خلقه بالكمالات كلها .

« واذا تثت ان احداثك كطبيعي لا كألهي اقول : ان الناموس الطبيعي
الذي يعمل في عالمي الحيوان والنبات يعمل كذلك في الانسان وفي الاجتماع
البشري . ومن النادر ان يرى الانسان نشوءاً تاماً ، بداية ونهاية ، في نوع
واحد من النبات او جيل واحد من الناس . اما نحن الذين تقاسمنا ما تقاسمه في
هذا الزمان فقسمتنا قسمة من يجيء في آخر دور النشوء او في اهم اطواره .
فترى بين البصيرة نتيجة ما مضى وما هو كائن فتألم لانها دنية منا وقصية ،
دنية لاننا نراها ، وقصية لان اليد لا تصل اليها . لنحمد الله اننا نراها في
الاقل فنقل قسمتنا قانعين وعاملين في نفس الوقت في السبيل الذي هو روح
الناموس والتطور .

« تلذ لي محادثتك وانت من المفكرين . فكل مفكر يتألم ، ولكن ليس كل
من يتألم واحد . منهم من يقتلهم الالم ، ومنهم من يزيدهم قوة على العمل .
الامة المتألمة اليائسة تموت - تساعد المتغلب عليها . والامة المتألمة الطويلة
الامل الناهضة التابثة في نهوضها ، انها لتساعد ابناءها على المتغلبين . »



جلالة الملك فيصل بن الحسين بن علي

القسم الثامن

الملك فيصل والعراق

العراق

حدوده : شمالاً ، جبال ارمينية والاناضول . شرقاً ، بلاد ايران .
جنوباً ، خليج فارس . جنوباً بغرب ، البادية وحدود نجد .
غرباً ، البادية وحدود الشام .

الوية : ١ الموصل ، ٢ السليمانية ، ٣ كركوك ، ٤ شبه لواء اربل ،
٥ ديالى ، ٦ بغداد ، ٧ الكوت ، ٨ الدليم ، ٩ الحلة ،
١٠ كربلاء ، ١١ العمارة ، ١٢ المنتفق ، ١٣ البصرة .

عدد سكانه : نحو مليونين وتسعمئة الف نفس ، منهم مليون ونصف مليون
من الشيعة ، ومليون ومئة وخمسون الفا من السنة . وثمانية
مئتا الف من اليهود ، ومائتا الف من النصارى ، واثنتان
مئتا الف من الاديان الاخرى .

مساحة : نحو مئتي الف ميل مربع

سكوبه : العرب والفرس والاكرد والأتراك والارمن والاشوريون .

اهم قبائله : المنتفق وبنو لام والبو محمد وربيعة وتميم والدليم وعنزى
وشمر والافرع وعفك وما يتفرع عنها كلها من الانحاذ
والبطون العديدة .

مذاهبه : الشيعة : جعفريون وبعض الزيديين والاسماعيليين .

السنة : حنفيون وشوافع وحنابلة .

المسيحية : يعاقبة وناطرة وكلدان وسريان وكاثوليك وروم
ارتوذكس وبروتستانت . ثم اليهود والصابئة واليزيدية
والفرس والهندوس والبهائيون .

الفصل الاول

من العروبة الى التغرب

الاسلوب الغربي في المراسلة - الارقام والاسماء - اقتصاد قبيح - شرقي محتذلق - لهجة من البصرة وشتائم من لندن - مسيحي يتفوق ويتسكك - شهم انكليزي - الفرق بين العرب والهنود - شرب الوسكي - بطانات البصرة - محطة سكة الحديد - قطار مشرق - عربة اوردية تخنثارية - القاطرة تكسر رجلها - النجدة من اور الكلدانيين - الاعرابي وصال المسافرين الى بغداد - القطار ينتظرهم خمس ساعات - ضابط انكليزي يحمل على الرئيس ولسون - في محطة ضداد - وابن انت يا ضداد؟ - رجل يتسادي ، بابو ، باوا - الرحطانات الاوردية - عربة المونى - ركبت في جنازتي - سيارات النقل - جسر « سود » - من نزل الى آخر - ابن امين الكسائي؟ - الامينان ينتقيان - كاتب سر جلالة الملك المعظم يزين روحه في كوخ مشجع - الحرية والاخاء والتنازل عن المساواة عند كاتب السر الاول - في القصر - الملك فيصل .

اجرت من عدن اقصد الى العراق . فلما وصلت الى بيباي التي لا بد من التعرّيج عليها اذا كان السفر في احدى بواخر الهند ، لقيت في قنصلية اميركة كتاباً من الديوان الملكي في بغداد كتب على الآلة الكاتبة العربية هذا نصه :

بغداد - ١٠ / ٦ / ١٩٢٢

حضرة الفاضل امين افندي ريجاني المحترم

اما بعد التحية والاكرام . فقد تناول صاحب الجلالة الملك فيصل كتابكم الصادر من الحج في ٧ شعبان واسرني بالكتابة اليكم معرباً عن مروره بقدمكم العراق ومتمنياً لكم سلامة الحل والترحال في طريقكم اليه وتوفيقكم في ما تزعم به هذه الرحلة لاجله .
وقد ارسلت الكلمة الى بيباي لاجل تصديق جواز سفركم الى العراق .

واما توجيهكم الى الرياض فقد أرسل السؤال به الى عظمة السلطان عبد العزيز ومتى جاء جوابه بعثنا اليكم به والسلام . رسم جيد هوذا غير ما الفته في اليمن والحجاز . كتاب غربي الاسلوب حتى في تاريخه ، خلو من الديباجة والتعميق . وفيه الدليل على النفرة من تلك الطريقة القديمة التي تبدأ غالباً بالبسملة وتنتهي بان شاء الله ، ويُخبأ الغرض من المكتابة فيها بين مدحجات التبجيل والتمجيد او يضمن قصاصة عنوانها « حاوي خير » . فتكون هي الكتاب يقيناً ، ويكون الكتاب الرسمي ثمرة من الترهات .

قد احسن الديوان الملكي لدولة العراق المتغربة . ولكن الاحسان في الاقتباس درجات تتجاوز الخروج من المؤلف العربي الى المؤلف الغربي . على اني وان كنت افضل الخط على هذه الاحرف العربية السمجة ، وأرى في الكلمة المخطوطة حساً لا تظهره بل تقتله احرف الآلة الكاتبة ، فقد استبشرت بهذا الكتاب لما يرمز اليه ، وان كان في اول سطر منه ما هو في نظري من قبيح الاقتباسات الاوربية . فان الاستعاضة عن اسماء الاشهر بالارقام في التاريخ لمن المبالغات الحديثة بالاقتصاد عند الغربيين . وما كل مظاهر الاقتصاد آية في الحكمة والجمال . اما اذا قيل ان المسئلة ذوقية فجوابي هو ان ذوق الشرقيين فيها ارفع من ذوق الغربيين . وفي كل حال ان الالفاظ اجمل من الارقام نظراً وسمماً ومعنى . اذا كتبت زائها الخط ، واذا لفظت زائها النطق . مثلاً : ايار وحزيران وتموز — ٥ و ٦ و ٧ او شعبان ورمضان وشوال — ٨ و ٩ و ١٠ . فأية الطريقتين اجمل ، بل اي الذوقين اصح ؟

المسئلة طفيفة ولكنها حربية بالاعتبار في ما تومي اليه من عقلية مقابلة . قد استبشرت مع ذلك بكتاب الديوان الملكي لما قرأت خلال سطره من المقاصد الحميدة في دولة العراق الجديدة . ورأس هذه المقاصد انما هو فك قيود التقاليد القديمة العقيمة وان كان في تاريخ الرسائل وانشائها . بيد انه يتبادر الى الذهن فكر في سؤال : هل يعد مجرد التقليد الخارجي من مظاهر الارتقاء ؟

سافرت من ببياي الى البصرة في باخرة انكليزية من بواخر الخليج . وكان حظي فيها اني شاهدت مثالا آخر من الرقي العراقي قبل ان اصل الى العراق . اجاب احد المسافرين سؤالي دون ان يدرك ذلك ، ودون ان يحدثني . هو رجل ابيض الادم ، اشقر الشعر ، ازرق العين ، دخل ورفيقاً له يتقدمان ذقراً من ناخدم يحملون امتعتهما . وكان احد اولئك الخدامين اخطأ في ما فعل فانهال عليه المسافر الاشقر بالتثائم والمسيبات بلغة انكليزية فيها لكمة قبيحة . اللهجة من البصرة والتثائم من حانات لندن .

عرفت بعدئذ ان رفيق المسافر ارمني وهو يعرف الانكليزية ايضاً ولا يحدث حتى رفيقه بسواها . . وما شككت بانهما عرفا اني عربي لاني كنت معلناً ذلك على رأسي بالكوفية والعقال . مرة اليوم الاول والثاني والثالث فانفق ان التقينا على ظهر الباخرة صباحاً فسلمت باللغة العربية فرد سلامي باللغة الانكليزية . فقلت : انه ولا شك ارمني . ثم عرفت انه ورفيقه من تجار التمر في البصرة ، فلم يتنازلا لمحادثة غير بعض الانكليزية في الباخرة . الا انه سألتني ذات يوم عن الشهر الاسلامي الذي كنا يومئذ فيه ، فأجبت بكلمة ، فشكرني باخرى كانت الخاتمة .

بعد ثلاثة اشهر كنت وبعض الاصحاب نشاهد سباق الخيل خارج البصرة فرأيت هناك رفيق السفر الاشقر الابد وهو يحمل ناظوره كالانكليز مطلقاً في عنقه ، فبسم لي ابتسام التزلف ثم دنا من احد رفاقي وسلم عليه باللغة العربية — التي لا لكمة فيها . فاستطلعت بعدئذ خبره اليقين فقال صدقي : هو من البصرة ، من مسيحي البصرة ، ممسار تمر . فقلت : يظهر ان عندكم في العراق طبقة من الناس شبيهة بطبقة المتفرنجين في سورية . المتحذلقين المتفوقين بين قومهم ، المتسكسين امام الاجانب . فقال : نعم ، وهم يتشبهون بالانكليز كما ترى بحمل الناظور ولبس القفازات في الصيف .

اعود الى سؤالي : هل بعد مجرد التقليد الخارجي مظهرأ من مظاهر الارتقاء ؟ ان في رفيق السفر هذا جواباً واحداً لا اظن القارى . يرتاب بصحته . ولكن

هناك رفيتي سفر آخر وجواباً ثانياً . هناك طبيب انكليزي كان على عادة قومه
الاماجد في السفر يعتزل الناس ، فيجلس في الزاوية او في كرسيه على ظهر
الباخرة يدخن الغليون ويطلع كتاباً . وهو قلما يكثر بلبسه . يسدانه وان
كان «بظلمونه» غير مكوي و«ساكوه» اشبه بالكيس منه بثوب مخيط ، فاذا
وقف ومشى مشت المهابة في ظله وانصحت عن كريم محته . دنا هذا الرجل يوماً
مني فاعتذر وسلم وجلس الى جنبي قائلاً : انت عربي . فقلت : نعم . فقال :
وعلى ما اظن من العلماء . فقلت : سائح طالب علم . فقال : هذا تواضع منك .
قد سمعت من حدث عنك في بياي . ثم قدم بطائته فبادلته الاكرام .

— اني مما اعرفه عن العرب وهو قليل احترم الامة العربية كل الاحترام .
اقت زمتاً في الهند ، في خدمة الهنود — وليس في الطب سياسة كما تعلم — فما
لقيت جزءاً مما لقيته في بضعة اشهر في بلاد العرب على هذه السواحل — كرم
الاخلاق ، الاخلاص ، الضيافة ، انك لا تجدها في الهنود . اما الشجاعة
والرجولية فهما في المسلمين منهم فقط . لا اظننا تقامي في الهند ما تقاسيه لو كان
في الهنود شيء من وفاء العربي واخلاصه اذا آخاك . قد تكون طالعت تاريخ
الانكليز في تلك البلاد فتعرف كم من مرة طعننا الهنود في الظهر — خانونا
وغدروا بنا — بعد ان صاهدونا على الولا .

قال هذا ودعا الخادم فطلب كأساً من الوسكي والسودا وسألني متردداً
عما اذا كنت اشاركه . فأجبت بالايجاب فقال : اعرف من المسلمين من يشرب
الخمر . فقلت : اني مسيحي والي آسف ان من المسلمين المصريين من يظنون
التشبه بالانكليز منحصرأ بشرب الوسكي . حبذا المسلم المواظب من هذا
القبيل على دينه . فقال الحكيم : صدقت . فحن الانكليز نبالغ في الشرب
— نشرب كثيراً . خذني مثلاً . اني اشرب الوسكي قبل الاكل ، واثناء الاكل ،
وبعد الاكل ، واشرب بين الوجبات كما ترى . . . نعم ، الانكليزي في الهند ، او
بالحري خارج انكلترا ، يشرب أكثر مما يشرب في بلاده . والسبب في ذلك
البعيد على ما اظن عن الوطن والاهل ، ثم ساعات الفراغ بين ساعات العمل وليس

ما يجلأها من الاجتماعات او الملاهي . ثم — وهو الخطأ الاكبر — ما نظنه منها
للجواس في ما يصحب كأس الوسكي . وبودي لو اقتدى الانكليز بالمسلمين .
قللت مميزاً : المسلمين الذين لا يقتدون بكم في شرب الوسكي . وكانت الضحكة
مسك الختام .

عندما وصلنا الى البصرة سعد الى الباخرة موظفو الجرك والصحة والشرطة
واكثرهم من الهنود . وكنت قد ارسلت تلفرافاً من بيبي الى صديق لي في
الديوان الملكي ببغداد عله يأمر في البصرة من يلاقيني ليهديني في الاقل الى محطة
سكة الحديد . فوجدت نفسي ، ولا احد يسأل عني ، أغرب في هذا البلد
العربي القديم مني في « كارتشي » الهندية . وانا العربي الذي قضى الايام والليالي
يطالع الحريري والجاحظ ، ويطحن كريات دماغه في طواحين الكسائي وسيويه ،
— ولا اقول الرحالة الشهير القادم من اليمن — اراني قد نزلت من الباخرة بين
قوم لا افهم لغتهم . فيكلمني الحوذي بعربية يضطر ان يترجمها الى شي . من
الانكليزية يفهم . هو ايضا هندي . ساق جواده الاعرج يجر عربة مكسرة وفيها
بقية آمال مبعثرة تدعى الريحاني .

رحنا في قفر سبب خارج البصرة ، فاجتزنا معسكراً مهجوراً ، ثم آخر
فيه بعض الجنود الهندية ، ووصلنا بعد ساعة الى محطة السكة بل الى بقعة ينتهي
عندها الخط . ولا محطة غير كوخ لبيع التذاكر وجدناه مقفلاً . ووجدنا خارج
الكوخ ولداً عربياً ، والحمد لله ، نلطف فراح ملياً طلبنا يبحث عن الموظف .
فعاد بعد ساعة يتبعه رجل — هندي — هو مدير السكة ولكنه يحسن
الانكليزية . فسألته سؤالاً تعمدت فيه التعريف عله يحسبني في الاقل بان
يخصني بشقة في العربية وحدي . وكان الرجل فيها كريماً ، فكان لي ما شئت .
اعطاني تذكرة واحلني في القطار محلاً فسيحاً فيه ماء وحمام . وكنت قد
كثبت برقية الى الصديق امين الكسائي في الديوان الملكي بالعاصمة وهممت
بالرجوع الى بيت البرق لارسلها فاخذها مني قائلاً : مارسلها من هنا
رأساً . ثم امرين يعنني بامتعتي وودعني قائلاً : اذكرك في لذي نوري باشا .

الوداع صاحب .

الوداع صاحب . انت وان كنت صكراً لمن اغلاط الانكليز في العراق .
والمسيحي المتفرنج وان كان عالماً لمن اغلاط التاريخ في العراق . والمتغرب
اليوم في القشور فقط ، مسيحياً كان او مسلماً او امريكياً ، لمن اغلاط
الاجتماع في العراق ، بل في الشرق كله . جذبا مدنية جديدة تمتع الشعوب على
السواء ببارها اليانعة . والحق يقال ان ما ترمي اليه المدينة الحقة ، غربية كانت
او شرقية ، هو تعميم وتعزيز قياس واحد في آداب المعاملة واداب السياسة
بين الامم . فلا يستشرق الغربي ولا تستشرق الصناعة الغربية اذا ما لفتحها
شمس الشرق ، ولا يتغرب الشرقي في سطحيات الحياة اذا ما بسم له خادم
السيد الاوربي .

صغرت القاطرة وجرت ، فحرت وراءها قطاراً مستشرقاً جي . به وبعماله
من الهند — قطاراً عسكرياً من بقايا الحرب . لا اظن امة من الامم الاوربية
او الاميركية تستخدمه لغير الشحن ، فتصلحه مع ذلك وتجده . والقاطرات في
اشد حاجة الى التصليح من العربات . بل قد تكون اجتازت زمن الخدمة فامست
لا تصلح للعمل ولا يصلح فيها للبيع غير الحديد .

خرجنا من ضواحي البصرة مساء في قطار البريد « السريع » الذي يصل
الى بغداد ساعة الغروب من اليوم التالي ، اللهم اذا سلمت القاطرة من عاديات
الطريق . قد سلمت والحمد لله ليلاً . فنهضنا صباحاً فاذا نحن في أور الكلدانيين
في الوقت المعين بلائحة السفر . وهذا خادم عربية الاكل جاءنا بفتحجان من الشاي
قدمه من النافذة اذ لا ماشي في هذه العربات تصل الواحدة بالآخرى .

سرنا من أور الى الدراجة فوقنا فيها وقفة نفذت بالعظم صدمتها .
وقفنا فجأة وثبتنا تجاه العاديات ثبات الابطال . نظرت الى لائحة السفر فاذا
فيها : الفطور في سماوة . ولكن خادم المائدة جاء بعد ساعة يدعونا للاكل
فخرجنا من منازلنا وسرنا نلبي دعوته ونستطلع خبر القاطرة . فعلمنا انها ،
عرسك الله ، كسرت رجلها ، وانهم قد ارسلوا الى أور يستحضرون قاطرة اخرى .

ولت ساعات الصباح واشتد الهجير ، فصعد الزئبق في الميزان الانكليزي الى درجة المئة والست درجات ، فعمدنا الى المراوح في العربات فاذا هي مثل كل شيء في ذلك القفر نائمة ولا حياة فيها . ثم جاء الخادم يدعونا ثانية للاكل — الغذاء . فوددنا لو ان ساعات الانتظار كلها ساعات اكل وشرب وحديث ، فتنسينا مصيبة القاطرة ومصيبتنا في فيافي العراق وقيظه .

جاء ونحن سيف الدراجة اعرايي يركب حماراً يتبعه حريمه وعياله ماشين . جاءوا يبغون السفر الى بغداد في قطار البريد السريع ، وكان وصولهم الى المحطة بعد الميعاد بخمس ساعات فقط ، فقال الاعرايي يحاطب الحرمة ام عياله ، ما قلت لك ياسعيدى ان القطار ينتظرنا . وقد انتظر غيره من اليدوه سنا القطار المستشرق اللطيف . ثم جاءت القاطرة الصالحة من أور بعد الظهر فخرجت بنا من الدراجة وراحت تشيل بذنبها ، بارك الله فيها ، فاوصلتنا الى السماوة ساعة الشاي . ثم الى الديوانية التي كان قد أعد لنا الغذاء فيها فقدم عشاءً بارداً .

جلست الى المائدة واثنين من الانكليز منها ضابط علمت من الشرائط الصفراء والحمراء والخضراء التي على صدره انه من ابطال الحرب ، وعلم ، والله اعلم من علم ، اني قادم من اميركه . فسدد تواء الى الرئيس ولسون امهم غضبه . — قد نزع من يدينا السلاح الذي لا يصلح لضبط امور العراق سواء ، سلاح القوة ، العزم ، الشدة .

فقال رفيقه : لولا تدخل اميركه لكاننا اليوم نحكم العراق كما يجب . فكل الضابط قائلاً : وتغير العراق . . . وما الانتداب ؟ وما تقرير مصير الشعوب ؟ الفاظ هي ليس الا . قد حكم القوي الضعيف مئات من السنين قبل ان اخترع لنا رئيسكم ولسن هذه الكلمة — الانتداب . وحكمه حيناً بالعدل وحيناً بالعسف والشدة ، بما تسمونه ظلماً . وكان الظلم احياناً انفع له من العدل . وهل تظن ان هذه الكلمات الجديدة — الانتداب — تقرير مصير الشعوب — تصلح الشؤون وتحرر الامم ؟ ترانا مقيدين في هذه البلاد بارادة عصابة لاسيادة لها ، نعم ، عصابة

الامم ، وباراء رجل نظري يحلم الاحلام هو رئيسكم المستر ولسون ، فلا نستطيع عملاً مفيداً لا لانفسنا ولا لاهل البلاد .

اعجبني من الرجل يقينه وصراحته ، فالجراحة الادبية مستحبة دائماً . وما هو بمسكري فقط بل من غواة الادب ايضاً . رأى معي كتاباً للمؤلف الشهير المستر وأنس فاستعاره ولم يُعده الي . لعل التبعة في ذلك على القطار لاننا بعد ان دخلنا كل الى منزله لم يَرَ بعضنا بعضاً . وعندما وصلنا الى بغداد الساعة الثانية بعد نصف الليل — اي بعد الميعاد بثلاث ساعات — كان هو ممن خرجوا من القطار وانا ممن ناموا فيه . والسبب في ذلك ان ذاك الضابط ، وان كان غربياً ، كان له في البلد بيت ياوي اليه اية ساعة كانت اما انا فلم انتظر احداً من اصدقائي ان يوافيني الى المحطة بعد نصف الليل ولم أجز لنفسي طرق ابوابهم او ابواب الفنادق في تلك الساعة . فتمت ، فلم يشأ علي ما اظن ان يزعمني ، فغم بلطفه الكتاب .

تمت ساعة فايقظني صوت ينادي : بابو ، بابو ! ففتحت النافذة فاذا باحد الحمالين يبغني خدمتي ، فطرده وعدت الى النوم . ثم بعد دقائق سمعت طارقاً يطرق زجاج النافذة ، فنهضت فاذا بحمال آخر ينادي بالهندية بابو ، بابو ! فعمدت الى العصا وكنته بها . أتبعني لغات الهند الى العاصمة عاصمة العباسيين وقطب دائرة الشعراء المحدثين ؟ رح يا ملعون الوالدين ! وبعد هذا السب والضرب تمث ثالثاً ونهضت باكراً ، فنظرت من النافذة يمينا ، ثم من النافذة يساراً ، فلم اجد لبغداد اثرأ من الآثار ، ولا رأيت على الرصيف احداً من الناس . فساورني شيء من الغم ، كثير من الغم . فقلت في نفسي : الماء البارد للغم خير دواء وعندك الماء يا رجل . فاستحممت ولبست ثيابي هادي . البال منشبتاً بالآمال . عل وجهاً من وجوه الاحباب يشرق على المحطة مع شروق الشمس .

جاءت الشمس وحدها ، ولم اجد عند المحطة حتى من ينقل امتعتي الى البلد . فبعثت الولد الذي ضربته بالعصا يستحضر عربة وبنت انتظر ، واقفاً وحدي في ذاك القفر المفجع ، افتش في الآفاق الاربعة عن بغداد . وبعد نصف ساعة ظهر

في جهة النخيل عربية لماعة ، يقودها جوادان مطهمان ، يزين رأسيهما الريش الاسود الكبير . فذكرني الريش بنخيل عربات الاموات في جنازات النصارى . فقلت في نفسي : وانت في جنازة يارجل - في جنازة آمالك ، وغرورك - في جنازة ما كنت تحمله وتصوره ببغداد .

ركبت في جنازتي ، فساق الخوذي خيله شرقاً الى النخيل فبدأ لنا عند ما دخلنا على جانبيه شيء من حركة المقاهي في ظلال تخالفتها اشعة الشمس . ثم سمعت صوتاً يذبح ، وفرقة ترجرجت الارض منها - هي عربات النقل - سيارات الجيش الهائلة - يسوقها جنود الانكليز . والغريب ان غبارها وروائحها تفعتني تلك الساعة فأخرجتني من الجنازة - هي طلائع الحياة في بغداد اليوم . اما ببغداد الامس ففي كتاب الف ليلة وليلة تجدها .

وصلنا الى الجسر ، جسر «مود»^(١) وهو مثل الارجوحة معلق بشاطئي دجلة ، يدهانها ارجوحة من المراكب نثني تحت ارجل المارين ، وتئن تحت دواليب العربات ، وتصفق تحت سنابك الخيل ، وتصرخ صرخات مزعجة تحت اثقال سيارات الجنود . وكان النهر في صباح يوم من ايلول صغير الموجة لطيفاً ، يسير سيراً بطيئاً هادئاً ، ومجداف البلاّم^(٢) يحرك اللجين فيه فيستحيل ذهباً في اشعة الشمس . وهناك في الجهة الشرقية تبدو ببغداد بقاياها الزرقاء وماذمتها البيضاء ، وقصورها على الشاطي . تعيد الى من كان شغفاً بمجد الزمان الغابر شيئاً من الهيبة والانشراح . بيد ان تلك الهيبة قصيرة الاجل ، فهي لا ترافقه الا في النهر او الشط بلغة اهل العراق .

عبرت الجسر فاذا انا في شارع مهشم حزين ، صكأنه بجاناته ومقاهيه قد خاض عياب الحرب العظمى ، ووصلت الى نزل «مود» فوجدت العمال يشتغلون

(١) Gen. C. F. Maude, K. C. B. C. M. G. D. S. O. هو قائد الجيوش

البريطانية الجنرال ث ف مود الذي فتح بغداد في ٢٤ جمادى الاولى عام ١٣٢٥ -

٩ اذار سنة ١٩١٧ فسمي الجسر باسمه .

(٢) النومي صاحب البلم . والبلم - اللفظة هندية - زورق للعبور والنزعة .

في الترميم ، فقصدت الى نزل آخر ، فاذا الخدم ينسلون الصحن وكان صاحب النزل لا يزال نائماً . فخطبني احد الخدم يقول : ولا غرفة واحدة فارغة ولا سرير . ثم دلني على فندق في الجوار المبارك فبادرت اليه ، فاذا هو كالامل الضائع في صدر الجائع ، فانزلت مع ذلك امتعتي ودفعت الى الخوذي ما تبقى من ثروتي ، ودخلت الغرف واحدة بعد الاخرى ابغى احسنها فاذا هي مثال المساواة الاعلى — كلها صغيرة مظلمة باردة عفنة . فقلت : لا حول ولا ، قد يكشف القطور البلا .

فطرت ثم سألت الخادم عن الهاتف فقال انه لا يزال نائماً . فقلت : التلفون اريد . فقال : تجده في « المدجستيك » فسددت خطوات اليأس الى النزل ذي الاسم الجليل ، فلقيت صاحبه في الباب يستنشق هواء الصباح ، فقلت : عندكم تلفون ؟ فقال : نعم .

— وهل تظن ان احداً في قصر الملك يجاوبني الآن اذا تكلمت ؟

— ومع من تريد ان تتكلم ؟ مع امين الكسباني ؟

بهيت حقا ثم قلت : اسألك انت ام نبي ؟ فقال : انا من قل كيف^(١)

وامين الكسباني عندي . ثم نادى الخادم وامره ان يدلني على غرفته .

كان الباب مفتوحاً اذ لا نوافذ للغرفة غير واحدة لفتح مثل الباب على الرواق . وكان الامين في توب النوم واقفاً امام المراة يزين روجه ، وكانت ذقته قد ابيضت بالصابون فلما رأني ابيض منه الوجه كذلك ، ووقعت الموسى من يده . ثم رشقني بالتتائم السوداء .

— متى وصلت ؟ وكيف تصل قبل الوقت المعين ؟ هذه قياحة منك . تشغل

اصحابك بك فيستعدون للقائك ثم تباغتهم هذه المباغنة . وانت الاديب المشهور بالذوق والادب .

— ألا تسمع بكلمة ؟

(١) تل كيف بلد في الموصل واهله موصوفون بالمدق والنشاط .

— سأمحك الله . ماذا اقول لمن ناموا باكراً البارح لينهضوا باكراً اليوم لملاقاتك ؟ القطار وصل قبل الوقت المفروب ؟ يقولون لي : ولماذا لم ينتظرونا في المحطة . واذا قلت : انه رجل مثل القطار شاذ الطبع والسلوك ، فهم لا يفهمون ولا يمدرون .

— ألا تسمح بكلمة ؟

— سأمحك الله . قد خاب ظني بذوقك وادبك .

فقلت وانا لا ازال واقفاً في الباب ، صابراً على ذي السباب : وانت الذي قضيت حياتك في انكلترة ، وكنت على العمل في الليل اداًب منك عليه في النهار ، ايزعجك الرواح الى المحطة نصف الليل او بعده ؟ وهب انك علمت ان القطار لا يصل قبل الصبح افما كان يجب عليك ان تحيي الليل ، اكراماً لصاحبك على الاقل ، لاعباً بـ «البريدج» ثم تخرج ساعة الفجر الى المحطة تستنشق الهواء ؟ الحق يقال بالامين ان سنة في بغداد اورثتك الكسل والنحول .

بعد هذه المشاتمة تصافحنا وسلمنا سلام الاحباب . وجلست اطالع آخر اعداد جريدة الـ «تيمس» الانكليزية التي كانت على الارض .

— نحن علمنا ان القطار تأخر ولكنه من عادته ان يتأخر اثني عشرة ساعة .

— مالنا والقطار . عسى ان يكون حالك احسن من حاله . يظهر انك الفت الظلمة في انكلترة فأحببت الإقامة في هذا النزل وفي مثل هذه الغرفة .
— هذه بغداد ، فنادقها شبيهة بعضها ببعض ، ولا فرق بينها في غير الاسماء والاجور .

— أحقاً ما نقول ؟ الا يوجد في هذا النزل غرفة ترمقها الشمس ولو بلحظة ؟

اجاب الامين متبرماً : هذا احسن نزل في بغداد وقد نجد لك غرفة فيه .
فقلت مصراً على المشاكسة : مثل هذه الغرفة ؟

— افلا نتنازل الى مساواننا ؟

— اذكر ان المساواة اقنومين آخرين هما الحرية والاخاء . وبما اني قد آخيت النجوم واقتربت ثانية بالحرية في بلاد العرب فساأنازل عن المساواة وانام على السطح .

فسبني بالانكليزية ثم بالعربية ثم قال : جرحت عشوني — الا تخشى البرد ؟

— اخشى العفونة اكثر من البرد . اين قصر الملك ؟

— لا قصر لجلالته .

— واين هو نازل ؟

— خارج السور — خارج المدينة .

— او لا يؤذن لي ان انصب خيمتي خارج المدينة ؟ صدقني يا اخي اني امراض

في مثل هذه الظلمات . قد صرت بدويًا فلا يطيب لي غير الفلاة . أليس عندكم

بدو خارج المدينة انزل عندهم — معهم — عليهم ؟ . . . اذن تزورهم .

فقال الامين متهمًا : ولكنك لتنازل فتزور جلالة الملك اولاً . أليس

كذلك ؟

— طبعًا ، طبعًا . لا تؤاخذني .

فضحك وفرح بغلبي . فأخبرته اذ ذاك بما جرى لي منذ وصولي الى البصرة

حتى وصولي الى محطة بغداد ، فرثي لحالي وغفر لي نزقًا انساني الواجب . وكنت

قد علمت وانا في مباي بالعملية الجراحية التي اجرى لجلالة الملك واخبرت

في الطريق الى العاصمة انها نجحت وان جلالته قد تماثل الى الشفاء .

— أفلا ينبغي ان اكتب الى حالته كتابًا اهنته بصحته واعلمه

بوصولي ؟

سكفيك مؤونة الكتابة .

وكان قد آتم صدقي تزبين روحه ، ولم شعث طبعه ، فعادت اليه

السكينة ، وتجلي فيه الحلم والوقار ، فصار اسلس من الماء ، كما يقال ، وألين من

اعطاف النسيم . ام الهاتف في النزل وعاد يقول : ستقابل جلالته اليوم . فسررت

جدًا بذلك .

وبعد ساعة ركبنا سيارة اميركية سارت بنا هابئة تثير النقع في شارع بغداد الجديد ، الطويل المستقيم الوحيد ، الذي يمتد من اول المدينة جنوباً الى اخرها شمالاً ، وخرجنا من البوابة عند نظارة الدفاع ، فمررنا بشكنة الى اليمين وواصلنا السير في طريق الاعظمية حتى وصلنا الى بستان على احدى حواتيه بيت صغير انبأت المواعين في فناءه بانه بيت فلاح يكثر عنده الحليب واللبن . بل هو بيت مدير الزراعة الخاص لجلالة الملك . ثم تزنا عند بيت آخر صغير داخل البستان ، شبيه بيوت الـ « استوس » التي كانت تبني في ايام الحرب بساعة وتنقل من مكان الى مكان ، فاذا هو مفروش بالفروش الاوروبي ببساطة افصحت عن ذوق لطيف ، وفيه خزانة كتب معلق فوقها صورة الملك فيصل مع الكاتب الافرنسي الشهير اناطول فرانس ، ومنضدتان وراء الواحدة منها شاب عصري ، وضاح الحيا ، طالي الجبين ، حسن البزة ، يادر الى استقبالنا ، وكان في ترحيبه مثله في لبسه انيقاً دقيقاً - رسمياً . هو رسم بك حيدر السكرتير الاول لجلالة الملك ، وصاحب الكتاب الذي صدرت به هذا الفصل .

شربت القهوة في ديوانه ، وتلمست في محدثي بالرغم عن حجاب الرسميات نفساً هادئة كيسة ، وعقلية راقية ، وتمتعت بعدئلر اثناء اقامتي في بغداد بشيء منها وراء الحجاب ، سأشاركك ايها القارىء به . اما الان فهو الذي عجل ، شكرآ له ، بتحقيق ما جئت من اجله . عمد الى الهاتف على منضدته ثم قال : سيدنا يقابلكم الآن .

سرنا في ظلال النخيل الى بيت لا يهد في القاهرة او في بيروت نفماً ممتازاً . ولكنه مبني على شاطئ دجلة في بستان من النخيل ، في جوار الامام الاعظم ، وقبل المكان الذي ازدهرت يوماً فيه المدينة المدورة ، مدينة المنصور . دع عنك ذكر المنصور والامام الاعظم . البيت قصر حتى ولو كان مجرداً عن المحاسن الطبيعية والتاريخية والدينية كلها . هو قصر لان ملك العراق الاول مقيم فيه .

حيانا جنديان في الباب ، ثم استقبلنا احد الضباط قدطانا لغرفة فيها طاولة عليها سجل الزائرين ، ثم جاء احد الامناء يدعوننا الى الطابق الاعلى

فدخلنا وراءه ردهة للجلوس ، وبعد هنيهة فُتِح باب افصى في الى غرفة النوم - وكان الاسبوع الثالث من العملية الجراحية وكنت الاول الذي حاز شرف الاستقبال بعدها .

الامير فيصل بن حسين بن علي بن نُمي ، ابن بنت الرسول ، قائد جيش الشمال العربي في الحرب العظمى ، ممثل العرب في مؤتمر فرساي ، حامل لواء الوحدة العربية في اوروبة ، حاكم الشام ، ملك سورية ، ملك العراق ! قد تبعت وانا في نيويورك هذه المراحل الباهرة في ذلك التاريخ ، تاريخه القصير المجيد ، وانا معجب به كل الاعجاب ، مكبراً منه الاعمال والاقوال والمقاصد العالية ، متأسفاً اني لم اجتمع به في باريس او في لندن او في الشام ، محتفظاً بكل شاردة من شوارد الشوق والأمل . ثم وفق الله فارتحلت شرقاً الى البلاد العربية فكانت عاصمة العباسيين ، خصوصاً لان فيها بطل احلامي ، نوراً من الانوار المقصودة ، ومحجة من المحججات المنشودة .

لم اشعر وانا داخل الى غرفة النوم ، على ما تقدمها من الرسميات الملكية الغربية ، بانني داخل على ملك من ملوك العرب ، هو اكبرهم في اوروبة شأنًا واصغرهم في البلاد العربية سنًا . ذلك لان الخيال متي رافق قيصلاً في الخمس السنوات الاخيرة فادناي منه فاحسست تلك الساعة ان وراء الستار صديقاً لي واخاً في الجهاد الوطني . وما كان الحس ولا التصور خوؤنا .

دخلت فاذا بجلالة الملك جالس على الديوان مكشوف الرأس ملتفقا بعباءته . فوقف وتقدم يلاقيني وسلم عليّ سلام الاخوان . وكان وجهه الذي شبهه احد كتاب الافرنج بوجه المسيح اشبه به يومئذٍ على ما اظن منه في الماضي . لان المرض اكسبه لوناً تخفف فيه حدة الحياة وتكاد تضحل ، فيمتزج امتزاجاً لطيفاً بالنور الناعم الجالس هادئاً في عينيه ، ثم جوفه قليلاً تحت العظم الاعلى فصار يظهر ما فوقه اي الجبين اكثر اتساعاً ورفعة ، وما دونه مستطيلاً مسناً . اما في صوته وابتسامه واشاراته فقد كان اشبه بجلالة الملك ابيه .

شكرته على جميل تعطفه في استقبالي يوم وصولي وهو لا يزال في حال

النقه . فقال انه بشار كني في الشوق الى المشاهدة . ثم هنأته بصحته وبميد جلوسه - العيد الاول لملك العراق الاول - فابتسم ابتسامة فيها بعض الغم وانتقل بالحديث الى رحلتي .

- انها رحلة عجيبة يا امين وسيكون فيها ولا شك فوائد كثيرة للعرب . كنا مرافقين لك معجبين بكل ما وصلنا من اخبارك وبما طالعتناه في الجرائد . ثم سألتني بعض سوالات عن البلدان التي زرتها وعن امرائها وحكامها . وكان لا يزال الضعف يمنعه عن الافاضة بالحديث .

- احب ان تخبرني كل شيء وسنجتمع في ما بعد اجتماعات عديدة . فاستأذنت بالانصراف فوقف وهو يقول : سنجتمع في ما بعد - ثم اعتذر لي وكان ذلك من جميل التواضع فيه ، عن تقصير في القيام بواجب الاكرام والضيافة .

ولكنه بعد ان خرجت دعا الكسباني فحدثه بكلمة ، فعاد الصديق الي يقول : امش - الى النزل يا امر جلالته . وقد امر ايضا بسيارة اثناء اقامتك في بغداد .

الفصل الثاني

لا حكومة ولا انتداب

بركان الثورة — الملك في يد الاطباء — سقوط وزارة النقيب — عيد الجلوس
غير المأنوس — اتحاد الاحزاب — مطالبها — ملحق من النهضة الوطنية
العراقية — استعاد الف سنة واستعاد سنة واحدة — وقد الاحزاب في قصر
الملك — الشيخ مهدي البصير بخطيب في الجمع — رئيس الامناء يعقب على
كلامه — وصول المندوب السامي مهنتاً سعيد الجلوس — الشعب يهيج : ليستط
الانتداب ! ليستط الانكليز ! — مطالب زعماء النجف — مريضة المشاعر —
حول رئيس الامناء — الفرق بين السرارنلد ولسون والسر برسي كوكس —
اقفال الاحزاب الوطنية — ففي الزعماء الوطنيين — الامة ساكنة ساكنة —
وحجج الاسلام لا يحتاجون — تأسيس حزب وطني معتدل — سياسة الملك
فيصل — لا حكومة ولا انتداب .

يوم وصلت الى العراق كان بركان السياسة قد انفجر من كل جانب ،
فترامت من النجف الحم ، واستمرت في بغداد النيران ، وتصاعد بين الرافدين
الهيبة والسخط . في ذلك الحين قام الزعماء يطالبون رفض الانتداب ، وانتخاب
المجلس النيابي ، واعلان الاستقلال التام ، وتأيد العرش . وسمع بين الاصوات
صوت الشاعر الحكيم يقول :

« انا شاعر بيني الوفاق موحد بين الشعوب سببها الارشاد
ما الفرس والاعراب الا كفتنا عدل وما الاتراك والاكراد
لم تكفنا هذي المطامع فرقة حتى نفرق بيننا الاحقاد »

وكانت الحركة قد اشتدت قبل عيد الجلوس بايام قلائل ، فأثرت بصحة
الملك وزادت بآلامه التي كانت الزائدة المعوية سببها ، فأشار الاطباء بعملية
جراحية فاجلها جلالتة الى بعد العيد . اما الوطنيون ، المتطرفون منهم والمعتدلون ،
فلم يؤجلوا مما سعوا اليه شيئاً . ويظهر ان صوت الشاعر اثر فيهم يومئذ تأثيراً

حسناً فعملهم على توحيد المطالب والآمال .

وقد كان لحملاتهم ثلاثة أهداف ، أي الوزارة والحكومة والملك نفسه ، فاستخدموا لها ثلاثة أنواع من السلاح سلاح الكلام . صوبوا مدفعيتهم على الوزارة التي كان يرأسها السيد عبد الرحمن النقيب فاستقالت ، وطاروا بطياراتهم الخطافية فوق دار الانتداب فأزعجت المنسوب السامي فبات حائراً لا يسدري ما يفعل ، ولا سيما ان الجيوش يومئذ لم تكن تكفي لانحداد فتنة صغيرة .

أما جلالة الملك فجاءته الوفود يوم العيد ، اول عيد لتاج العراق ، عيد الجلوس - غير - المأنوس - يهنئونه ويطالبونه والحكومة المشاركة بالوعود التي مر العام الاول عليها دون ان ينجز شي منها . وكان في البلاد حزاب سياسية ، الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية ، فاتحدا بعد ان تشاقا واجتمعا اجتماعاً خصوصياً في اليوم السابق لعيد الجلوس قررا فيه بالاتفاق رفع احتجاج الى « اعتبار صاحب الجلالة المعظم » ونقطة الدائرة فيه ان الامة كانت تنتظر بعد التتويج حكومة دستورية نيابية ، فمرت السنة الاولى ، والحكومة لا تعرف أ دستورية هي ام نيابية ام ملكية مطلقة . - ان الامة يا صاحب الجلالة تكابد انواع الاضرار الناتجة عن سوء الادارة « المتغلب عليها نفوذ البريطانيين المنافي لروح الاستقلال لانهم اتخذوا سياسة التفريق وغيرها من الاعمال غير المشروعة رائداً لهم » . وهذه الوزارة ووزارتهم اسقطناها لانها كانت العامل الاعظم في مناهضة آمال الامة . وبما ان المجلس النيابي لم يتألف حتى الآن ، وبما ان خطر الانتداب يهدد استقلال البلاد وحرية العراقيين ، فقد اجتمعت هيئة المركز العام للحزب الوطني العراقي والمركز العام لحزب النهضة العراقية وقررتا عرض الحالة على جلالتم منرحمين صدور الارادة الملكية في ما يلي :

اولاً - الكف عن الاعمال المار ذكرها لاسيما التدخل البريطاني في الامور الادارية .

ثانياً — تأليف وزارة من ذوي الجدارة المخلصين لكي تطمئن الأمة باصلاح الحال .

ثالثاً — ان لا تعقد اية معاهدة ولا تجرى اية مفاوضة بشأنها قبل تأليف المجلس النيابي .

ولم يكتف المركز العام للحزب النهضة العراقية بهذا الاحتجاج وهذه المطالب فأصدر مذكرة خصوصية من قلب البرلمان ، فيها لفتات الى الماضي وآثات ، شكا الحزب سياسة الحكومة التي لم يرد الشعب في خلال سنة منها فرقاً بينها وبين سياسة الحكومة الاحتلالية ، ورفع احتجاجه الى العالم المتمدن ، والى كل من يؤثله صوت الشعب المبهضوم الحقوق ، المنبعث من طبقات ائسدة ملائى بالآلام والاماني . — اننا نحتج على سياسة حكومة بريطانيا الاستعماريين ، وعلى الانتداب وانصاره المعقوتين في البلاد ، في هذه البلاد العراقية التي كانت تستعيد سيفه مثل هذا اليوم من العام الماضي ذكرى المنصور والرشيد والمأمون ، « مؤملة ان يكون بلسماً للجروح البليغة التي احدثها الاستعباد السنة الماضية سيفه جسمها التحيف »^(١)

وهذه الامة ذات الجسم التحيف والقلب المنعم بالآلام والامال تعيد عيدها السعيد بتتويج جلالة مليكها وارثائه عرش العراق الذي « شيد فوق جماجم الشهداء » وتبعث بالوفود ليرفعوا الى جلالته اصدق عبارات التبريك وبالخطباء ليسمعوه انينها وتشكواها .

جاء صباح اليوم الثالث والعشرين من شهر آب وفد الحزبين المذكورين ومعهم جمهور من الانصار احتشدوا في فناء القصر ، فطلب الزعماء من الملك ان يأمر بمن يمثل جلالته لسماع الخطب هناك . فأمر جلالته رئيس الامناء لينوب عنه . فخطب في الجمع خطيب الحزب الوطني العراقي ، الشاعر الضريير التبليغ مهدي البصير ، فهبج في رئيس الامناء الشجور فانتصب

(١) والتريب العجيب ان امة استعبدت الف سنة ظلت حبة صلبة الحواس لتشكو استعباد سنة واحدة في هذا الزمان ، ولم يسمع لها في الالف سنة صوت ولا صدى .

خطيباً - وحق له الكلام اذا كان الملك انا به عنه وحق له ايضاً ان يبرهن على حماسة - وقيل حمافة - فيه أنسته انه موظف في البلاط ، وأن المندوب السامي لبريطانية العظمى قادم في تلك الساعة ليبنى جلاله الملك بعيد الجلوس ، وان عليه هو واجب الاستقبال والترحيب - وقد اتفق انه بين كان حضرة الاستاذ رئيس الامناء يخطب ضد الانتداب اقبل المندوب السامي السر برمي كوكس ورجال الوكالة البريطانية لاداء التبريك فاستقبلهم الجمع صارخاً : ليسقط الانتداب ! ليسقط الانكليز !

وكان قد وصل لسعادة المندوب في اليوم السابق بريقة من زعماء النجف يؤكدون له فيها انهم لا ينكرون « صداقة حكومة بريطانيا العظمى ، صداقة خالية من المحاباة » ويعلمونه يرغائب الامة العراقية « التي لا يمكنها التنازل عنها معها كلفها الامر » وهي المواد الآتية : اولاً - رفض الانتداب بتاتاً واعلان حكومة بريطانيا العظمى بالغائه رسمياً . ثانياً - مراجعة حكومة جلاله ملك العراق لوزارة الخارجية لا لوزير المستعمرات . ثالثاً - رفع تدخل ممثلي اية سلطة اجنبية لان في الامة نفسها الجدارة لادارة شؤونها .

هذا من علماء الشيعة وجلالة الملك يومئذ معهم . الا ان بعض العسائر لبوا الدعوة التي قيل ان دار الانتداب مصدرها ، فاجتمعوا يبتجعون على العلماء ويعلمون ولأهم للانكليز . ثم قدموا عريضة بذلك الى المندوب السامي ، فكانت ييده حجة على جلاله الملك . وقد اشار فخامته بان سيعلن العريضة اذا كان الملك يرفض المعاهدة . فلم يكن لينتظر والحال هذه مثل تلك المفاجأة القبيحة في القصر . اما اذا قيل ان من حقوق الشعب - واليوم يومه - ان يفاحي السياسيين في اي وقت واي مكان كان فيجب ان يكونوا متأهبين له دائماً ، فمن النادر ان يحدث في بلاط ملكي - في غير وقت الحرب او الثورة - مثل هذا التظاهر الرسمي - رسمي هو بوجود مندوب الملك واشترآكه به - ضد دولة من الدول العظمى . بل هي اهانة اقتبلها السر برمي كوكس هاديء البادرة ساكناً . واطنه سر بها . فقد كان متردداً كما قلت في اتخاذ خطة الشدة لقمع

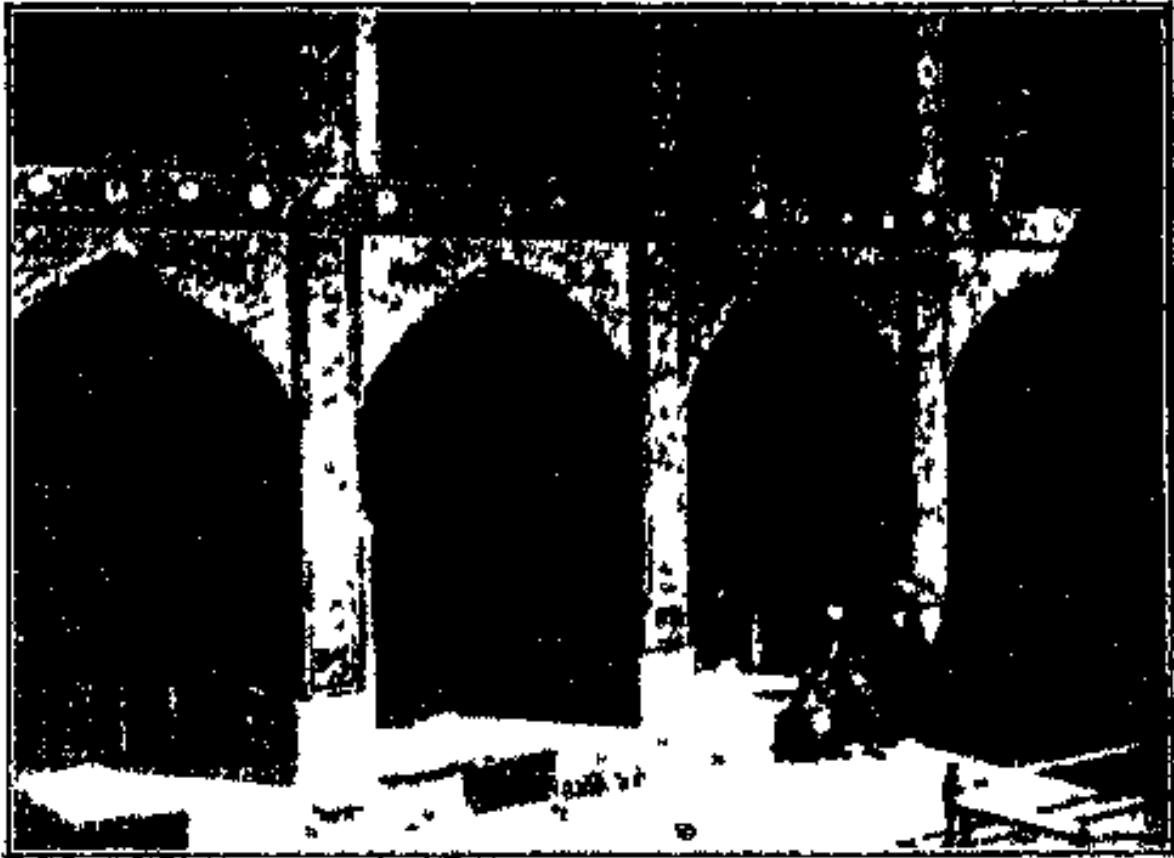
ما كان ينذر بشورة اخرى سبغ العراق مثل ثورة سنة ١٩٢٠ ، فازالت حادثة البلاط التردد ، وشجذت فيه عزمًا كان موضوع ريب الناس .

ولكنه انكليزي واكثر الانكليز في مثل هذا الموقف واحد . فلم يدع السر يرمي . الحادث المؤلم يحول دون واجبه تلك الساعة ، بل دخل على الملك وهنأه بعيده الاول . ثم اجتمع بعدئذ به فدار بينهما حديث كانت له نتيجتان ، الاولى في البلاط الملكي وهي عزل رئيس الامناء ، والثانية في دار الاعتماد وهي الخطة التي اخذت النيران التي كانت لتساعد من يركان السياسة المتفجر .

لا ريب ان الاقدار ساعدت السر يرمي كوكس في عمل لم يكن من طبعه ومبادئه . لانه رأيا وخلقًا وسياسة تقيض سلفه السر آرنلد ولسون الذي سبب او عجزت ثورة ١٩٢٠ فالسر آرنلد حاد المزاج ، مريح الغضب ، شديد البأس ، عالي الهمة ، قصير النظر ، يضرب ولا يحسب للعواقب حسابًا . والسر يرمي لين العريكة ، هادي ، البادرة ، طويل الاناة ، يعالج الامور بالحكمة التي قلما تلجأ الى القوة . على انه ادرك ما في الحاد من الخطر على منصبه اذا كان لا يقف موقف كل انكليزي بل كل انسان اهين رسميًا واهينت حكومته وامته . قد يقال ان الملك في عزله رئيس الامناء اعتذر ضمناً وصراحة عما بدا . ولكن ذلك لا يكفي . بل قد يزيد الوطنيين شغبًا وهياجًا . فاقدم على العمل الذي اقتبله العراق ساكنًا ساكنًا .

قلت ان الاقدار ساعدته في سياسة الشدة ، لان جلالة الملك بعد عيد الجلوس سلم نفسه الى الاطباء ، وكانت الوزارة قد استقالت فاصبحت الحكومة كلها بيده - خلاله الجو - فصدر امره باقفال الحزبين ، الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية ، وبتوقيف جرائدهما ، ثم نفي الى هنجام^(١) الزعماء وفيهم الحاج جعفر ابو الشمس وحمدي المندي الباججي والشيخ مهدي البصير ، واخطر بمحمدي الكاظمين السيد حسن الصدر والشيخ مهدي الخالعي بتسفير نجليهما ، وهما ، من زعماء النهضة ، الى ايران ففعلوا دون تردد او احتجاج .

(١) جزيرة في الخليج الفارسي تجاه بندر عباس .



زاوية في كلية النجف



النجف ومشهد الامام علي

وكان جلاله الملك رهين الاطباء وموضوع الاشاعات المتعددة ، ومنها اشاعة موته التي نضجت لها العاصمة واتخذها انصار المنفيين ومن تبقى من الاحزاب الوطنية حجة على سكوتهم واخلا دم الى السكينة . غير انه يستغرب سكوت ^{الصحف} من « حجاج الاسلام » المجتهدين وهم : السيد ابو الحسن الاصفهاني والسيد حسن الصدر^(١) والشيخ مهدي الخالصي ، وقد كانوا كلهم من زعماء النهضة واعلامها . على ان بعض العشائر الموالين للعلماء ، من لم يعلموا بسكوتهم ، ظلوا يطالبون بسقوط الاسداب ، فسودت الحكومة الانكليزية صحيفتها في ارسالها الطيارات ترمي اكوخهم بالقذائف النارية . وقد كانت في غنى عن ذلك لان من يتادون مع المجتهدين يسكتون اذا هم مكتوا .

اما اذا نظرنا في الامر نظرة اجمالية فقد افلح المندوب السامي وان كان قد اخمد سبب عمله ولو الى حين نادر الوطنية التي رأى نفسه بعدئذ في حاجة اليها ليقاوم بها الاتراك ودسائسهم في الموصل وفي بلاد الاكراد . ولكنه في ذلك الحين لم يكن ليبغي غير امرين ، عقد المعاهدة الانكليزية العراقية وتأسيس مجلس

(١) قد زرت السيد حسن صدر الدين في بيته بالكاظمية فالتفت به رجلاً عظيماً الخلق والخلق ، ذا عينين رفيع وضاح ، ولحية كثرة بيضاء ، وكلمة نبوية ، له عينان هما جمرتان فوق خدين هما وردتان . عريض الكتف ، طويل القامة ، مقتول الساعد . وهو يتم بعة سوداء كبيرة ويلبس قميصاً مكشوف الصدر رحب الاردان فيظهر ساعده عند الاشارة في الحديث . ما رأيت في رحلتي العربية نلها من اعاد الي ذكر الالبياء كما يصورهم التاريخ ويمثلهم الشعراء والفنانون مثل هذا الرجل الشعبي السامي الكبير . وما احمل ما يبش فيه من النسابة والتشرف . ظننتني ، وانا داخل الى بيته ، امر بيت احد خدامه اليه . وعندما رأته جالساً على حصير في غرفة ليس فيها غير الحصير وضعة مساند ، وقد كنت علمت ان لغتواه أكثر من مليوني سبيع مطيع ، وان ملايين من الروبيات تحببه من المؤمنين في الهند ويران ليصرفها في سبيل البر والاحسان ، وانه مع ذلك يبش زاهداً متقشفاً ولا يبذل مما يحبه روية واحدة في غير سبيلها ، اكبرت الرجل ايما اكبار وودت لو ان في رؤسائنا الدينيين الذين يرفلون بالارجوان ، ولا يتدر في اعمالهم غير الاحسان ، بضعة رجال مثله .

حاشية اخرى قد اعترض العالم الشيعي ابو الحارث المحترم علي ما جاء في هذه الحاشية من « الملايين » فقال ان مقلدي الصدر « في كافة مواطن الشيعة لا يلتفون الالوف فضلاً عن المليونين . وان جميع ما ورد من الروبيات من اول عمره الى يومه هذا لا يبلغ المليونين فضلاً عن الملايين . »

اني من المعجبين بالسيد الصدر وان قلت « ملايته » .

نيابي يميزها . وكان متيقنا ان الامر الاول لا يتم الا في ثبات الولاة والمؤازرة بين دار الانتداب وبيت النقيب . فسعى اولاً في تأسيس حزب سياسي معتدل دعي بالحزب العراقي الحر يرأسه السيد محمود بن السيد عبد الرحمن النقيب ليكون عوناً للحكومة في انتخاب المجلس . ثم سعى في اعادة الوزارة المستعفية لانجاز المعاهدة . وكان جلالة الملك يؤثر غير النقيب رئيساً ، والمندوب السامي للاسباب التي بسطتها لا ينبغي سواه . وسترى بعدئذ كيف ان خذل صديق الانكليز الاكبر في العراق بعد توقيع المعاهدة المشهورة .

على ان هناك فترة مشؤومة مظلمة ، قبل التوقيع وبعد رجوعه الى الرئاسة ، كانت السيادة الانكليزية فيها مشلولة حقيقة ومعنى . فلم يكن في البلاد لا حكومة وطنية تذكر ولا انتداب . ذلك لان الملك فيصلاً عمداً بعد شفائه الى سيامة ازيجت دار الانتداب ، فقبل محوفاً برئاسة النقيب ، وظل متمسكاً باهداب احزاب تلاشت ، ووطنية لجأت الى التقية واستشعرت السكون .

الفصل الثالث

مآدب القمم

حديث الملك - وعد المستر تشرشل - المعاهدة - الاشتداب - فضل الحكومة الانكليزية في تويج فيصل - الشيخ خزعل - السيد طالع النقيب - الملك بين جيلين - الملك محاط بالاعداء - الفريسي والأتراك والمجم وابن سعود - « ليدافع عن البلاد من بني احتلالها » - الكتابة والقم - مادة ملكية - حديث الحواريين الانكليزيان - سحكات الملك - احد الاربعه الذين يكفرونهم في العراق - مادة في الهويدر - الختانون - الطيور والازهار وانواع الثمار والملك الكتيب - مائة الملك الخامسة - سؤال في التطور والاقبال - رأي السكرتير البلشفي - إنشقة والسامة والطروش - مصادر القمم ومآدب .

سمعت الانكليز في العراق يقولون : هذا فيصل الذي اقتناه ملكاً بقلب علينا في السنة الاولى . ولكن للمسئلة وحبة اخرى ، ولحالته قصة غير قصة الانكليز قصها عليّ في المقابلة التاية .

كان لابساً صباح ذلك اليوم توباً مديناً وصدارة^(١) من لونه . وكان لا يزال في وجهه اثر من العياء والضعف . بيد انه في حديثه كان شديد اللهجة صريحها . صوت ناعم فيه قوة اليقين ، وعين شهلاء يضطرم احياناً نورها الهادي . ولا يروع . - يطلبون . في عقد المعاهدة وفيها نص صريح على الاشتداب . وفي بعض موادها غموض ، فتحتمل التناسير العديدة ، فيفسرها القوي في المستقبل لتوافق مصلحته وسياسته . وهذا لا يجوز . هذا غير ما عاهدوني عليه في لندن . قد صارحتهم هناك كما اصارحك الآن . قلت للمستر تشرشل اني لا اقبل ان اكون ملكاً على العراق الا بشرطين اوليين ، وهما استقلال البلاد والغاء الاشتداب .

(١) الصدارة قعة يلبسها جلالة ومتواظفو البلاط وهي شبيهة بالشبكة وقد جردت من حرفها ، تختلف لونها لتلائم الثوب تحتها ولا تختلف شكلاً .

فقبل المستر تشرشل بذلك ، ووعدي وعداً أيده بكلمة الشرف . وهو ان الحكومة الانكليزية تعترف باستقلال العراق وتساعد العراقيين بتأسيس حكومة وطنية ذات سيادة تامة وتلغي الانتداب . كل ذلك في مقابلة معاهدة نعقدتها والحكومة البريطانية تضمن لها الحق ان يكون المستشارون والاختصاصيون في حكومة العراق من الانكليز فقط وتضمن لها ايضاً بعض الحقوق في اقتصاديات البلاد وهم اليوم يقولون اني انقلبت عليهم . وليس في ما اقول وافعل غير الثبات على العهد والولاء . هذا وعد المستر تشرشل . كلمة شرف بالغاء الانتداب . والآن يا اخي امين قجيثي حكومته بماهدة تبتدي . بذكر الانتداب وعصبة الامم ثم تكرر هذه الالفاظ في اكثر موادها . لا والله . لا اوقعها ولا اؤذنت بتوقيعها . ولا تتألف وزارة جديدة^(١) قبل ان يجيئوني بخطة صريحة وكلمة صريحة بانهم سيبرون بالوعد .

هب ان هناك سوء تفاهم او ان المستر تشرشل وعد وعداً حالت بعد ذلك السياسة الانكليزية دون تنفيذها ، فوقف الملك فيصل مع ذلك لا يقدر به واكثر العراقيين يرفضون الانتداب ويمقتونه . فهل يلام ياترى اذا فضل ان يكون ملك العراق على ان يكون فعلاً مأمور الانتداب وفوق يده يد المنسوب السامي ؟ ولكن هناك امراً آخر لا يتقاضى عنه من أحب العدل والانصاف . ان فضل الحكومة الانكليزية في تنصيب الملك فيصل يوازي في الاقل فضل العراقيين الذين يابعوه . فقد كان في البلاد يوم وصوله الى العراق وقبيله عدد من طلاب الملك منهم الشيخ خزعل خات حاكم عربستان فانسحب يابعاز من الانكليز . ومنهم ذاك الداهية العراقي بهلوان الامة السيد طالب النقيب الذي كان يطوف البلاد يومئذ في صفته وزير الداخلية ساعياً في سبيل المجد الوهاج ، طالباً العرش والتاج ، فتعقبه الانكليز والقوا القبض عليه بحيلة لا تليق بهم واجلوه عن البلاد . وكان نقيب بغداد السيد عبد الرحمن عونهم الاكبر على ابن نقيب الموصل السيد طالب . لذلك

(١) كانت حكومة الانتداب تحاول يومئذ اعادة تأليف وزارة النقيب .

قيل ان النقيب كان النصير الاعظم لفیصل . وهناك الامير عبد الله الذي كان يؤثره العراقيون على اخيه . اما طريقة الانتخاب فيكفي ان اقول ان الموظفين السياسيين في الالوية كانوا يدبرونها .

ليس الملك فيصل ممن يتكروون الجميل . ولكنه بين جميلين ، هما احرق من نارين ، جميل من سعى في سبيله وجميل من بايعه . وفي الاثنین مبدأ أن لا يخطأ من بروم الحقيقة الوطنية في تفضيل مبدأ من بايع منها على مبدأ من سعى . على انه من الخطل ان يعادي الملك الانكليز او ان تعادي الامة العراقية الحكومة البريطانية . قال جلالتة بصراحة لا صراحة بعدها : - تراني اليوم محاطاً بالاعداء ولا صديق لي غير الانكليز . فمن اين لي بحليف لو شئت المحالفة . في الغرب في سورية الافرنسيون وهم اعداءي . وفي الشمال الاتراك وهم يكرهونني . وفي الشرق الاكراد وقد تفلتوا من يدي . والعجم وهم يدسون الدسائس بواسطة الشيعة على حكومتني . وفي الجنوب ابن سعود وهو دائماً يهددنا بالاخوان . من لي اذن غير الانكليز ؟ وهل يعقل اني انقلب عليهم ؟ بل هم المنقلبون يا اخي امين ، هم يعدون الوعود ولا يبرون بها .

عاد جلالتة الى وعد المستر تشرشل فذكرني بجمالة اييه يوم كان يضرب لي الامثال ويرمز بالرهوز ليبرهن على انه من النادر ان يجد المرء من يفوق الانكليز في المراوغة والتلون ونقض العهود . - يطلبون مني التصديق على معاهدة لا تمكنني من تأسيس حكومة ثابتة قوية . والحقيقة انه لو عقدنا هذه المعاهدة يستحيل علينا القيام بها ترانا الان نعجز دون تأسيس جيش وطني لان العراقيين لا يلبون النداء ، لا لان الوطنية فيهم ضعيفة . لا . لا . وليكنهم يقولون : اذا كان الانكليز ينوون احتلال البلاد تحت طي الانتداب فليدافعوا هم عنها . أو لا ترى الحق يا اخي في هذا القول ؟

كان يتكلم جلالتة بصوت هادي . وكان النور في عينيه ساكناً . مع ذلك كنت اري في انامله دليل الاضطراب اذ كان يخرج انخاتم من بنصره فيلعب به كأنه مسبحة ثم يعيده اليه . وعندما كان يتكلم عن محيط به من الاعداء رفع

الصدارة عن رأسه ووضعها على الديوان . فانار جبينه العالي وجهه قراءى فيه شيء من الحسن جليل ، لا سيما ولونه الخنطي كان لا يزال مائلاً الى الاصفرار . ان في الملك فيصل حسناً جذاباً ، وان في حديثه لهجة بليغة مقنعة . ولكن الغم الذي يكن في قلبه يظهر مراراً في طرفي فمه وفي ابتسامه .

اني اعتقد ان في الملك فيصل مزية روحية تحب اليه المثل الاعلى في الحياة . على انه وان كان ملكاً يرى نفسه في هذا المضمير مثل كل من تعشق الكمالات ، وسعى اليها جاداً ، فراها كقوس الفرح بعيدة دائماً عنه . وهذا في نظري احد اسباب الغم ، رفيق جلالته الدائم ، وان توارى احياناً عن الابصار . هو الغم الروحي الذي يتضاعف في علو المناصب واهميتها فيكون في الملوك ، وان ندر ، اشد منه في غير الناس .

قد تسرفت بمقابلة الملك فيصل ومجالسته ومعادته في احوال شتى ، رسمياً وغير رسمي ، في البلاط وخارج البلاط ، على المائدة الملكية والى السباط البيتي ، فلم اراه مرة وحده ناعم البال مطمئناً . بل كان الغم مثل الظل في اذار يظهر في مجلته ويحتني اذا ما تكلم واذا ما سكت .

دُعيت الى مأدبة اعدّها في القصر وكان جالساً اليها في صفين متقابلين عشرون من كبار موظفي الحكومة العراقية والوجهاء وعشرون من رجال حكومة الانتداب وبعض حريمهم . وكان جلالته جالساً في الوسط والى يمينه قرينة المندوب السامي اللاديه كوكس والى شماله القائد العام للجيش الانكليزي في العراق . وكان قبال الملك اخوه الامير زيد والى يمين الامير المندوب السامي والى شماله آية النساء في العراق وشمعة سياسته الخاتون جرتود بل . وكان بيني وبين المندوب السامي سيدة انكليزية ، وقبالي سيدة اخرى ، فعلمت من الواحدة انها حزينة جداً لانها تحب الموسيقى ولا تستطيع ان تفتني « بيانو » في بغداد ، واخبرتني الاخرى بان زوجها ، وهو احد المستشارين ، لا تهمة الازياء ولا قراءة الروايات . وكان القائد العام يحدث جارته بما صدر حديثاً من الروايات في لندن . ثم سمعت السر برسمي كوكس ،

وهو من غواة الصيد وله المام بعلم الحيوان ، يسأل ما اسم ال Badger في اللغة العربية . فساح السؤال حول المائدة شرقاً وغرباً ، جنوباً وشمالاً ، وعاد الى فخامة المندوب خائب الامل .

اما جلالة الملك فكان اثناء المأدبة ، منذ قدم الحساء الى ابنته جاء الخدم بالقهوة ، صورة من صور اليأس المحزنة ، وقد احاط نفسه بسيدة لا تحسن العربية وقائد قاتم الجبين لا يحسن لا العربية ولا الافرنسية .

قد رأيت غير مرة يتشاءب وما سمعته والمندوب السامي يتحدثان ولو عن الطقس . وقلما هم ذلك الانكليز . فلا اظنهم ما عدا المس بل احسوا بواجب في مثل هذا المقام تفرضه عليهم في الاقل آداب المائدة فلا يتحدثون بامور خصوصية لا تهم جلالة الملك . ولا تهم المدعوين من الوطنيين . فقد رأيت حتى جعفر باتسا ، وهو يحسن الانكليزية ، يجتهد في محادثة جارتة التي ابنت ان تخرج من موضوع الرواية الانكليزية الاخيرة . وماذا هم العراقيين بل الشرقيين ياترى من راية انكليزية تبحث في احوال اجتماعية محلية وقتية في قرية من قرى انكلترا ؟

اما جاري الآخر مجيد بك الشاوي ، وهو احد الاربعة الذين يكفرونهم في العراق^(١) والرجل الوحيد الذي تجاسر ان يلبي الدعوة الملكية في ثوب عادي ، فلم يكن ليهتم بجديث الخواتين والمستشارين . بل كان يحسو الشمبانيا الكأس تلو الكأس ، ويضحك لنكات جاره سكرتير مجلس النظار السيد حسين افنان . وقد كان لمجيد بك فضل على جلالة الملك تلك الليلة لانه في سلوكه فتح باباً للمحبون . كان واقفاً عند الوداع الى جنبي فقال له الملك وهو يشير الى شرابه الخمر . شفتك والله شفتك . فأجاب الشاوي وهو يشير الي - لم ادرك وجه الشبه في ذاك الحين - هذا صديقي لانه صديق المعري . ونحن يامولانا لا نعرف غير المعري والخيام . فضحك الملك فيصلى وكانت ضحكته الاولى في

(١) الثلاثة الآخرون هم : جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي وكاظم الدجيلي . وسيجيء الكلام عليهم ولهم .

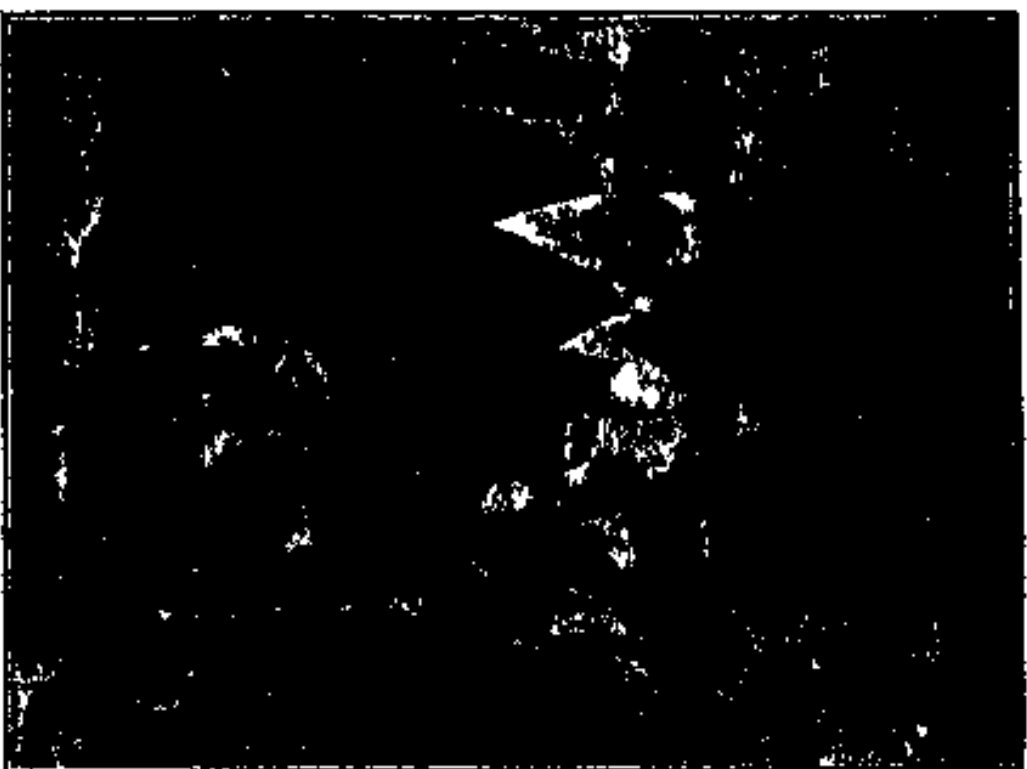
تلك الليلة الحافلة بكبار العراقيين والانكليز المشعشة بنياشين الوزراء وحلي الخواتين .

اني اذكر مأدبة اخرى خارج القصر وخارج المدينة ، مأدبة ويوماً في البساتين وفي معزل عن الرسميات الغربية . هناك في شرقي بغداد على نهر ديبالي ناحية بعقوبة وهي جنة العراق الشمالي ، وبالقرب من بعقوبة بلدة على شاطئ النهر تدعى الهويندر ، فيها ملاك كريم هو نخري بك آل جميل دعا جلالة الملك وحاشيته لقضاء يوم في ضيافته . ودعا ايضاً بعض الانكليز ، منهم المس بل والمستر كورنواليس مستشار الداخلية ، وصديقهم السيد محمود ابن النقيب .

نُصب السرادق بين اشجار الليمون والرمان ، وفُرش الطريق اليه بالسجاد ، ومدت المائدة تحت النخيل المزين بالذهب والياقوت من التمر ، وكان الهواء منعماً بطيب الرياحين والازهار ، والطيور تترد على الافنان وفي محبتات الادغال ، والكروم مثقلة بانحر العنب المتعدد الانواع والالوان ، والمس بل تروح وتجيء حاملة غصناً من الرمان او عنقوداً كبيراً من العنب فتقدمه جاثية لجلالة الملك .

وجلالة الملك — لله من غم يني الحصر في القصور ، فوافق صاحبه الى البساتين في اجمل بقعة من ارض الله . لله من غم يجلس فوق العرش ويلصق بصاحب العرش حيثما حل وجال . لله من غم لا يحترم حتى الانكليز ، وقد يكون له في الانكليز ما يرويه ويغذيه . اخن ان المس بل كانت تدرك ذلك فتجادل بما لها من فصاحة ولطافة ان تحفف وطأته ، وتبدد في الاقل ظلاله من بساتين آل جميل في ذلك اليوم الجميل . ولكنها وأسفاه لم تفلح . وقد تكون في ما امرفت زادت الظلال قنماً .

جلس الملك في الحيمة بعد ان جال في البستان يلعب بسبخته ويدخن السيكارة تلو السيكارة . وكان التعب بادياً في وجهه والحديث لا يجي ، الا تكلفاً واجتهاداً . هي السياسة وهموم العرش . اضف اليها همماً جديداً جاء من الشمال . فقد كانت لانتصار مصطفى كمال وقع في العراق لم يسر الملك ولا



في بستان نخري بك آك جميل بالمويدر

جلالة الملك فيصل جالس . الوتوف من ابيون ابي التجمال و مؤلف الكتاب .
الامير زيد . المير مري . المير كوزو الويس مستشار الاداعية . نخري بك آك
جميل . السيد محمود بن السيد جبه الرحمن النقيب . متصرف بقويا



جلالة الملك فيصل في قيامته العربية

امام باب مشهد الحسين

في الحكومة . وكان بعض الموظفين في الموصل يفاوضون بطل التترك في الاملااضول .
وهؤلاء الانكليز لا يدعون جلالتهم ساعة وحده ، يلزمونه كالظل في كل مكان .
حبذا الحكمة في سلوكهم وفي سلوك الوطنيين الذين يظنون ان المآدب لا تتم
دون ان يدعى اليها احد من دار الانتداب .

ان الملك فيصلاً لأقرب ملوك العالم اليوم الى الديمقراطية ، الامر الذي
لا يروق على ما اظن الانكليز الشغوفين بابهة الملك . وقد يضر بجلالته سلوكه لم
يعوده الموظف الانكليزي فيسيء فبسه او يتعمد الاساءة . لا احد يهكر ان
يوماً في البساتين لجدير بان يكون عدو الرسميات ، فلا بأس اذا جلس الملك على
الديوان ، وهو في توب قائد الجيش العراقي ، ورفع خوذته . ولكن الموظف في
الحكومة الذي يجلس بمجاله على كرسي ويمد لاجليه كما لو كان في بيته ، ولا ينزع
قبعته عن رأسه ، يسيء الادب ويمتهن حرمة التاج . لا اظن ان موظفاً انكليزياً
هما علا منصبه يجلس كذلك في حضرة جلالة ملك بريطانيا العظمى . والملك
فيصل رقيق الشعور ، شديد الحس ، لا يستطيع ان يقول الكلمة التي تؤلم او
تسيء . ولا يتبسط في الحديث ويحيد اذا كان في حضرته من لا يرتاح اليه .
خصوصاً اذا كانت مجالسه كلها مثل التي حضرت خالية من الدكاء الحر او من
الحرية المتسردة - البدوية .

اجل ان الملك فيصلاً لني حاجة في بلاطه وفي مجالسه غير الرسمية الى من
يحسن النكتة ، الى ظريف خفيف الروح ، الى بديم رسمي . قد عرفت اكثر من
في القصر وما عرفت فيهم من يستطيع ان يقوم بهذه الوظيفة المهمة .
كنا ذات ليلة جالسين الى مائدته الخصوصية ولم يكن غيري وناجي بك
السويدي وحسين افان من خارج البلاط فسألني جلالتهم سؤالاً ادهشني لأول
وهلة ، ولكنني علمت انه كثيراً ما يتباحث وكاتبتي سره الميلسوفين بمثل هذه
المواضيع . قال جلالتهم : ما رأيك يا امين في التطور وفي الثورة ؟ أعتقد ان
عوامل العمران والتمدن الحقيقية هي اصعب في التطور او في الانقلاب ؟ فقلت :
باني ممن يعتقدون بالنشؤ والارتقاء في الطبيعة وفي الاحتجاج ، وان التطور معراج

الانقلاب الحقيقي المنفذ الثابت ، وان الطفرة محال ، وان الثورات دائماً ردة فعل
يعود بالناس الى ما كانوا فيه ، وغيرها في هذا الباب .

فعارضني كاتب سر جلالتة رستم حيدر ، وهو شيعي سوري من بعلبك ،
فشرح يتكلم بالثورات والاتقلابات في السياسة وفي الدين كأنه دكتور او
كأنه لوتيروس . النسوة بطيء . التطور ضرب من البلادة . والامة التي تنتظر
وثوكل عليه تفقد مثل الامة الانكليزية كثيراً من مزايا النفس الجميلة التي تظهر
في الفنون وفي الاجتماعيات .

حانت مني اذ ذاك التفاتة الى الفيلسوف الآخر في الديوان الملكي ، الي ذاك
الانكليزي في خلقه وعقله ، العربي في قلبه وشعوره ، الى امين الكسباني فرائهم
يرفع بحاجبيه ويهز برأسه ، ثم سمعته يقول مخاطباً الملك : رستم ياسيدنا بلشيني
بي آرائه .

فقال حسين افنان : والحمد لله انه كذلك في آرائه فقط . فضحك جلالتة
ضحكة كانت الاولى والاخيرة تلك الليلة . ثم سألتني سؤالاً آخر ظننته مضحكاً
ولكنه لم يضحك احداً .

— ما رأيك يا امين في العمامة والبرنيطة . واي شكل تظنه يصلح لنا في

العراق ؟

فقلت : ان العرب في تهامة وفي اليمن يلبسون الشبقة اي البرنيطة وهي صنع
ايديهم ليقوا رؤوسهم حر الشمس . وهم عرب مسلمون . فما ضر العرب في
الافطار العربية الاخرى وخصوصاً في التي يشتد فيها الحر مثل العراق لو
اقتدوا بهم ؟

وكان ما قلت بخصوص الشبقة في اليمن جديداً عند كل الحضور ما عدا
جلالتة لانه قاد مرة حملة على الادريسي في تهامة . وله علم بتلك الشبقات
الكبيرة المصنوعة من القش . فدار الحديث على الخوذة وقبعة البلاط ، الصدارة ،
والطربوش ، ولم يجيء احد بكلمة تضحك اثناء البحث على اننا عند ما صعدنا
من غرفة المائدة الى ردهة الاستقبال وجلس الملك ورمته والسويدي والكسباني

الى طاولة صغيرة يلعبون الـ «يريدج» خرجت والباقيين الى الرواق فاسمعتنا هناك افنان نكات وددت من اجل جلالته لو انه اسمعتنا بمضها على المائدة .
 لا اظن ان ما يسود الملك فيصلاً من الغم ناتج عن همومه الحاضرة فقط .
 لا اظن ان تاج العراق وحده مصدر تلك الابتسامة الناعمة المحزنة وذلك السكوت الذي يسبق الكلام الى القلوب . ان فيصلاً ، في ما لمع من نجم سعده وهوى في السبع السنوات الاخيرة ، لمن الامراء القليل تددهم في العالم اليوم . فقد دانت له ساعة قصيرة من الزمان ، فظلمته الحوادث في تسابقها حوله وعليه ، فلم يتمكن لسرعته وتعددها من الانتفاع بها .

هوذا امير عربي كريم في دائرة خضراء من الشجرة ، حولها دائرة حمراء من السياسة الوطنية ، يمازجها اصفرار من دسائس السياسة الدولية . وهذه لعربي حقيقة مآدب الغم — مأدبة الشهرة التي يتلوها وجع الرأس ، ومأدبة النصر في الحرب يتلوها فشل في السياسة ، ومأدبة الكرم العربي الممدودة فوق ضريح المطامع العربية .

اما وقد اشرت الى اسباب الغم في جلالة الملك ، فينبغي لي ، وانا من المعجبين بالبيت الهاشمي الذي نصر الاحلاف وجند الوقا من العرب على الاتراك والالمان في الحرب العظمى ، ومن المحزونين لانه لم يفز بكل ما كان ينبغي ويحارب من اجله ، ومن الطالبين للحقيقة قبل كل شيء ، فينبغي لي ان اعيد النظر في تلك الحوادث التي كان الامير فيصل قطب دائرتها . هي جزء من سيرة حياته التي اصبحت جزءاً من التاريخ العام .

الفصل الرابع

الأمير فيصل في الحرب

مختصر ترجمته حتى سنة ١٩١٦ - مع أنور وجمال في المدينة - رجوعه الى الشام - الحطير والحيلة والنجاة - قائد جيش الشمال - مصادر التاريخ - تحامل كاتب فرنسي على العربان - شهادة التاريخ - اعتراف العرب لغيرهم بالفضل - الكرنل لورنس والعرب - الجيش النظامي - انزحف شمالاً - سقوط العقبة - شهادة الجنرال آلبي بفضل العرب - جيش فيصل يتصل بجيش الجنرال آلبي - كسر الاتراك في الطفيل وفي البحر الميت - الزحف على الكرك - اعادة منكوبي الارمن هناك .

عندما زار انور باشا المدينة المنورة في طلائع سنة ١٩١٦ سافر في معيته من سورية وقد من العلماء وفيهم شاب عربي يناهز الثالثة والثلاثين من العمر خصه رئيس الوفد الشيخ اسعد الشقيري بالذكر لدى دولة الوزير قائلاً : مما يثبت لكم تعلق الموحدين ومكانتكم في قلوبهم انه بمناسبة هذه الزيارة وجد في معيتكم من آل الرسول صلى الله عليه وسلم الامير فيصل فجل امير مكة المكرمة (١) .

(١) هو فيصل ثالث انجال الملك حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن هون بن محسن ابن عبدالله بن حسن بن محمد المروفي باي تميم المتصل نسبه بالحسن ابن الامام علي بن ابي طالب . ولد في مكة سنة ١٣٠٦ هـ ١٨٨٢ م فارسله والده عملاً لتقليد هاشمي قديم الرضاع في إحدى العشائر المجاورة فنشأ في الفلاة بينهم وعلى طريقهم . ثم اخذه والده مع اخوته الى الاسنانة فقرأ هناك على اساتذة خصوصيين العربية والتركية وبعض العلوم . ولما عاد والده الى الحجاز سنة ١٩٠٩ عاد معه وتقلب في مناصب الحكومة ، وتطوع مرات بصفة جندي بسبط لقتال العشائر المتردة ، ورافق اخاه الامير عبدالله في الحملة الاولى سنة ١٩١١ على الثأرين في عسير . ثم اتدبه والده ١٩١٣ لقيادة الحملة الثانية على الاحريسي حليف ايطالية على الترك فظفر بالقنفذة التي دخلت بعدئذ في ملك الحجاز . وبعد عقد الصلح مع ايطالية انتخب مبعوثاً عن مدينة جدة فذهب الى الاسنانة وظل فيها الى ابتداء الحرب العظمى ، فعاد الى مكة . ولم يطل عليه الوقت حتى كرر راجعاً الى الاسنانة للاطلاع على نيات الاتراك نحو العرب وامانيهم . ثم استقدمه والده الى مكة للمفاوضة بشؤون البلاد العربية ، وانفذته بعدئذ الى دمشق ليسأل جمال باشا الرفق بالعرب ، فاقام هناك بقية

وكان الانكليز قد باشروا باسم الاحلاف مفاوضة امير مكة يومئذ ، الملك حسين اليوم ، لينهض بالعرب على الاثراك^(١) فبعث جلالاته يعتذر لانور على عدم تمكنه من زيارته في المدينة المنورة ، وارسل سيفين مرصعين بالاحجار الكريمة هدية منه اليه والى رفيقه جمال باشا .

وبنما كانت تقام الحفلات في المدينة لدولتي « الانور والجمال » وكانت الوزيران الورعان ، وقد ظهرا في مظهر الدين وترديا برداء اليقين ، يقومان بالمراسم الدينية ويرددان الصلوات ، ويجلسان كالتلاميذ في حضرة العلماء ومشايخ الطرق وهم يتكلمون في علم الجهاد ويفسرون الآيات التي لها تعلق بالعلوم الحربية^(٢) كان الامير فيصل بك ملازماً لها مشاركاً في كل مظهر من مظاهر الخفاوة والاكرام . ولكنه لم يكن ليستوقف الانتظار اذ كان ظلّه الصغير يومئذ يضيح بين ظليّ بطلين من ابطال العثمانيين — وهادمي منكم .

بعد ثلاثة اشهر من هذه الزيارة المباركة كان فيصل ايضاً من المشتغلين في التهديم . ولم يكن ليخطر في بال الوزيرين او احد من حاشيتها انه سيكون كذلك ، وانه سيبدأ في البلد الطيب الذي هم فيه فيهدم الركن العربي من ملك بني عثمان . اما ان الامر كان يجول في صدر الامير نفسه فما يحتمل الريب . لانه لو ادرك ان ابيه سينفر قريباً في النفير لما كان رافق الوزيرين في عودتهما الى الشام ، وكاد يقع هناك في قبضة جمال لولا حيلة دبرها ابوه^(٣) .

عاد الامير فيصل من الشام في صيف تلك السنة باربعة الاف بندقية

سنة ١٩١٥ وكان الصلة بين جلالة ابيه وجمال فيما يختص بتجنيد جيش عربي يزحف مع الجيش التركي على ترعة السويس . وقدم يومئذ انور باشا من الاستانة قرافته — ما قد وصلنا الى بداية هذا الفصل — الى المدينة .

(١) راجع الفصل السابع من القسم الاول صفح ٥٩ . الجزء الاول .

(٢) كقولته تعالى : واصدروا لهم ما استطعتم من قوة . وقوله : ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بلية مرصوص . وقوله : لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة او من وراء جدر .

(٣) راجع الجزء الاول صفح ٦٠

وعشرة الاف ليرة ليجهز حملة من العرب تشترك في الزحف مع الترك والالمان على اترعة السويس . فلما وصل الى المدينة سمع الزفير يستنفر من خلال الكعبة القبائل لمحاربة الاتراك « اعداء العرب والاسلام » . فاطاع طبعاً اباه الذي كان قد بدأ بتأليف جيش من القبائل تحت قيادة نجله الامير عبدالله فانظم الامير فيصل في هذا الجيش . ثم أسندت اليه قيادة جيش الشمال المشهور . فباشروا عمله في حصار المدينة وتخريب قسم من سكة الحديد قرب العلا ليؤخر في الاقل وصول النجيدات من الشام الى العدو .

وصلت اخبار النهضة الى سورية فرددت صداها الاستانة . ولكن اولياء الامر هناك لم يهتموا في البدء لها ^(١) فادركوا خطأهم عندما صدرت الاوامر بالزحف ثانية على ترعة السويس ، اذ وجدوا العرب الذين كانوا قد اتكلوا عليهم يحاربون مع الاحلاف . بيد انهم لم يأتوا في بداية الامر بعمل في الشمال يذكر . اي انهم لم يؤثروا لا سلباً ولا ايجاباً في حملة السويس الثانية .

اني في كتابة هذه التنبؤة ارجع الى اربعة مصادر طالباً الحقيقة المجردة من الاهواء والتعصب . ومع ذلك اراني في بعض الاحاطين حائراً بين الشهود الاربعة . هذا يبالغ ، وذاك يجامل ، وواحد يزيف الاعمال ، وآخر يزخرفها . فقد جاء في كتاب افرنسي طبع في السنة الماضية في باريس ^(٢) ان الفضل كل الفضل في انتصار العرب في شرقي الاردن هو لشزيمة من الجنود الانكليزية وطابور من الفرسيين الالباسل . وقد قال المؤرخ الانكليزي : ان العرب في

(١) دليل ذلك ما جاء في تقرير اركان الحرب العامة في الاستانة المؤرخ في ٢٥ ت ١ سنة ١٩١٦ اي بعد اعلان الثورة باربعة اشهر ، « قد حمل العرب على الاتراك في خط طوله ستون كيلو متراً جنوباً غرب من المدينة . والثورة تمتد بسرعة توجب الاهتمام فلا يجب ان تصدق الاخبار التي تصورها لنا انها حركة بسيطة لا اهمية لها » .

خمس سنوات في ترقية تأليف ليمان فن سندرس صفحة ١٦٥ . Cinq Ans en Turquie. par Liman von Sanders. Payot, Paris. P. 165

(٢) « كيف استقرت فرنسا في سورية » صفحة ٤٠ . Comment la France s'est installée en Syrie, par Comte R. de Gontaut-Biron, Paris. Librairie Plon 1923

الحرب خفيفو الحركة ، سريعون ، مرنون ، لا يحملون الثقيل من العدة . وهم في القتال شجعان اشداء^(١) اما شهادة العرب انفسهم فاسجل منها ما فيه الاعتراف بفضل غيرهم . فقد اجمع من حدثتهم ممن شاركوا في تلك الحملة وسموا الامير فيصل في مقدمتهم ، على ان الفضل اجمع في جمع شمل العربان في بداية النهضة والتأليف بينهم انما هو لشاب انكليزي يحسن اللغة العربية كأهلها ويحسن كذلك التخليق دون تكلف باخلاقهم ، هو الكرنل لورنس . وقد اخبرني بعض من حاربوا تحت قيادة الامير زيد انه لم يكن ليأمر جنوده مرة بالهجوم الا وكان هو في الصف الاول . فاذا فات ذلك الكونت دي غنطو بيرون المتحامل على العرب والانكليز تحاملاً لا يليق بافرنسي كريم ، فكيف يفوته ذكر الكرنل لورنس ولو بكلمة في كتابه ؟

اني اسجل الحقيقة كلها ، فلا انسى من له الفضل الاكبر في نجاح النهضة ، وهو « الخيال » الانكليزي ، الذي لبي دعواته كثيرون من العربان وفيهم من عشائر القصيم ونجد . قد ينكر جلالة الملك حسين ان احداً من نجد اشترك في جهاد الاتراك وانكفي اجتمعت ببعض اولئك المتطوعين فأخبروني بصراحة عرف العربي بها انهم كانوا يحاربون اولاً مع الاتراك فزاد الملك حسين الراتب فانهازوا اليه .

وما كان امراء العرب انفسهم ليركشوا دائماً الى البدو . فقد قال الامير علي الذي كان في المدينة عندما وصل فيصل اليها ، فاشتركا في حصارها ، انه لم يتمكن بادىء ذي بدء من عمل كبير لان البدو لم يلبوه دائماً ولم يثبتوا اذا كانوا ملبيين . وكذلك الامير فيصل الذي حاول متابعة الهجوم بعد تخريب سكة الحديد عند العلا ، فخرج الاتراك من حصونهم في شهر آب وحدث بينهم وبين العرب قتال خارج المدينة خسرفه الامير خمسمئة من رجاله وخسر الاتراك ضعف هذا العدد ، فعادوا الى المدينة وطفقوا يضطهدون اشياخ الشريف من

(١) تاريخ الحرب لجريدة التيس الانكليزية الفصل (٢٤٨) الذي عنوانه نهضة العرب .
The Times History of the War, Chapter CXLVIII, The Arab Uprising.

الهلها وينكولون بهم - على ان الامير لم يتمكن من متابعة ماعده نصرآ في تلك الواقعة لان قواته لم تكن منظمة . وبالاحرى لان قواته كانت لا تزال من العربان الذين لا ياترون بغير اوامر شيوخهم وينفرون من التنظيم . اما اندحار الاتراك في مكة فقد اثر تأثيراً عظيماً في قوى العدو المادية والمعنوية . فتوقف جمال باشا عن شتى الاحرار في سورية ، وامر انور قائد الحامية في المدينة ان يدافع عنها حتى الموت ، وتضاعفت الحامية في معان للاحتفاظ بخط الحديد ، واستؤنفت المواصلة بين الشام والمدينة بالرغم مما خر به العرب من الخط قرب العلا .

كذلك اوقف الاتراك الامير فيصلاً ، فانخذ لنفسه مقراً حربياً بين العلا وينبع ، ولبت ينتظر انشاء جيش نظامي يدير جيوش البدو . اذ ان الانكليز كانوا قد اسروا كثيرين من العرب وضباطهم الذين حاربوا في صفوف الاتراك ، فجاءوا بهم الى مصر حيث بدأ التجنيد لجيش العرب الشمالي . كان اكثر الامراء من العراق وسورية وفلسطين قلبوا مهلبين دعوة الشريف حسين ، وفيهم من الضباط الذين اشتهروا بمدتذ في ساحات القتال مثل جعفر وجودت ونورسي السعيد وغيرهم . بيد ان تنظيم هذا الجيش لم يتم حتى اوائل سنة ١٩١٧ ، فلما ظهر في الحجاز ازداد عدد الفارين من جيوش الاتراك^(١) المنضمين الى جيوش العرب .

من انكر فضل الملك حسين وانجاليه في النهضة لا يستطيع اذا كان منصفاً ان ينكر فائدتين في الاقل فيها ، فائدة للاحلاف وخصوصاً للانكليز^(٢)

(١) « قد كانت خسارة الاتراك في هذه الواقعة (وقعة نزه الثانية) ٣٩١ من القتلى و١٣٢٦ من الجرحى و٢٤٢ من الفارين . »

ليمون فن سندرس في كتابه (خمس سنوات في تركيا) صفحته ١٩٦

(٢) « بعد دخول العرب في الحرب بدأ الانكليز في الزحف على بادية سيناء^(٣) »

(٣) وفي الهجوم على مراكز العدو في العراق . بدأت وقعة نزه الثانية في ٢٦ آذار ١٩١٧ واستمرت الى ٢١ نيسان ، وحدث في العراق قتال عنيف في ٢٢ نيسان انكسر فيه الاتراك وتقهقروا الى ناحية سامرا . هو هجوم مثلث كان العرب الفضلم الثالث فيه .

وفائدة لعرب سورية وفلسطين الذين اثاروا فيهم مظالم جمال كوامن الضخينة والغضب ، فوجدوا في صاحب النهضة الاكبر زعيماً يتبعون ، وقطب ثأر فيشارون ، ومخط رحال آمال يحققون .

جاءوا كما تقدم من مصر بقود قسماً منهم الامير لواء السيد علي باشا فانضموا الى جيش الامير فيصل الذي شرع يزحف شمالاً في شتاء تلك السنة حتى وصل الى حدود بادية التيه . وكان الامير علي مستغلاً في ضرب مراكز الاتراك العديدة على جانبي سكة الحديد ، لحمى بذلك مؤخر جيش اخيه الذي استولى في زحفه على خط مسافته ستون ميلاً يمتد من البحر الى معان . اما اكيل انتصارات العرب في هذه السنة فهو سقوط العقبة ودخول الامير اليها في ٦ تموز . ولم يكن ذلك ليذكر لولا تأثيره الحسن في حركة الجنود الانكليزية في هجومهم على غزة وبير السبع .

كان الجنرال آكبي قد استلم أئذ قيادة الجيش ، فاعترف بفضل العرب الاكبر في ردم سريات الاتراك التي كانت تجبي من معان الى يادية سيناء فتضرب الانكليز في مؤخرهم . ولو لم يكن للعرب غير هذا الفضل ، اي تأمين مؤخر جيش الجنرال آكبي ، لكفى به فضلاً . الا ان فوائده المغنوية ظهرت في كل ساحة من ساحات الحرب الشرقية . فلولا تقدم فيصل الى حدود سيناء لما ضرب آكبي غزة وبير السبع ، ولولا سقوط العقبة لما سقطت تلك البلدة على البحر التي دافع عنها الترك والالمان دفاعاً يستحق الذكر والاعجاب . ولما عاد الانكليز الكرة على بغداد لولا تقهتهم بالنهضة العربية ورجالها وجنودها .

جاء في نشرة من نشرات الوزارة الحربية في آب ١٩١٧ : ان خطة العرب في بداية نهضتهم لخطة وجيبة فيها حذق وحزم ودهاء . فقد خربوا اقساماً من سكة حديد الحجاز ، واستولوا على مراكز الاتراك الى جانبي السكة . وكانوا في اعمالهم على جانب عظيم من الجرأة والبسالة ، فيتغلبون غالباً على جيش اكثر منهم عدداً واوفر منهم عدة .

وجاء في كتاب الكونت دي غنطوبيرون^(١) « لا قيعة حربية لجموع العرب ، فهم يظهرون ويختفون كيفما يشاؤون وساعة يشاؤون ، ولا يستطيعون رد الصدمات الشديدة ، بل يتفرون ويهربون اول مرة تطلق عليهم النار » .
وجاء في الاعمال وهي اصدق الشهود : عند ما سقطت غزة في منتصف تشرين الثاني كانت قد وصلت سريرات الامير فيصل الى ما بين عمان ودرعا ، فهدموا جسراً هناك ، وغلبوا الاتراك في واقعة صغيرة قتل فيها خمسة من العرب ومئة وعشرون من الترك ، ونسفوا القطار الذي كان مقللاً جمال باشا ، وهو عائد من القدس الى الشام وقد كُتبت له السلامة .^(٢)

في الشهر الاول من سنة ١٩١٨ استأنف الامير القتال والهجوم . فاتصل جيشه بطرف من جيش الجيرال آكبي في ناحية البحر الميت قرب ريم البحر ، وتجددت الهجمات على معان التي كانت لا تزال في حوزة الاتراك . ثم امرت العرب في الغزوات شرقاً فوصلوا الى ناحية الجوف حيث كان الترك يحاولون مفاوضة ابن الرسيد في حابل ليغروه بالشريف . استولى العرب على تيباء . وقطع العرب الخط على العدو فاستحال عليه بعدئذ ارسال النجيدات من معان الى المدينة . نسف العرب قطاراً قرب تبوك مشحوناً بالجنود فقتلوا كل من فيه وضموا كل ما فيه مع اربعة وعشرين الف ليرة .

قد كانت خطة الامير فيصل في بداية هذه السنة تنحصر ظاهراً في الاستيلاء على معان ، ولكنه اراد في اشغال الترك هناك ان يستولي على بقعة ارض خصبة في شرق الاردن وهي الكرك . فارسل شرادم من جنوده على معان بداومون الهجوم والمفاجآت ، وساعده الجيرال آكبي بما ساق من الطيارات على البلد . قد غنم العرب في هجياتهم مدفعين جيليين ، وثمانية عشر مدفعا رشاشاً ، وثمانئة بندقية ، ومثني رأس من الخيل ، واستولوا على

(١) د كيف استقرت فرنسة في سورية « صفحة ٤٢

(٢) « وقد ساعدنا العرب في هذا الشهر العصيب » شهر تشرين الثاني ، مساعدة تذكر في هجياتهم على الخط بين عمان ومان فاقفوا الانقلابات بضعة ايام في الوقت الذي كان الاتراك يحاولون امداد جنودهم في القدس . « تاريخ الحرب العظمى : نهضة العرب

جوف الدرويش فأحاطوا بالعدو ومنعوه من ارسال نجدات الى المرابطين من الاثراك في الكرك .

كذلك تقدم الامير ، وهو امين من الغدر ، الى محبته فقسم جنده قسمين قسماً مشى من العقبة فاجتاز خط الحديد شمالاً ورد العدو الى مركز بعد خمسة اميال من معان ، وقسماً مشى من وادي مومي فأخرج العدو من مراكزه في الطريق حتى الطفيل التي هي على مسافة ثمانية عشر ميلاً من البحر الميت . فلما سلمت حامية الطفيل اضطرب الاثراك في الكرك وخرجوا باحد عشر طايبوراً وبعض الخيالة والمدافع يستعيدونها ، فالتقى الفريقان في ٢٦ كانون الثاني على شاطئ سبل الحسا ، وهي على مسافة احد عشر ميلاً شمال الطفيل ، فانهمزم الاثراك وكانت خسائرهم اربعمئة من القتلى وثلاثمئة اسير .

لم يقف الامير فيصل عند هذا الفوز ، بل استمر زاحفاً حتى وصل بعد يومين الى البحر الميت ، فضرب جيشه مركزاً للترك هناك ، فاغرق مركباً حربياً صغيراً وعدة سناييك ، وغنم كثيراً من الحبوب ، واسر عدداً من الجنود . ثم اعاد الامير تنظيم جنوده ، بعد ان ثبت قدمه على شاطئ البحر شرقاً ، ليواصل الزحف على الكرك . وكان الجنرال الكني قد استولى على اريحا وعبر بجنوده الاردن فتقدم نحو عمان . لا شك ان الهجوم الانكليزي شرقي الاردن كان عوناً للامير في ما سعى اليه . وكان من حظه ايضاً ان الطائرات التي جاءت تساعد الجنرال في زحفه الى عمان ساعدت كذلك العرب في زحفهم على الكرك التي استولوا عليها في ٧ نيسان ، فقطعوا عن الاثراك في معان مورد تموين مهم .

وقد كان في الكرك مئات من الارمن المنكوبين ، الذين ساقتهم مظالم الاثراك الى تلك الجهات ، فلقوا في الامير وجنوده العطف الجم ، بل كانت ايدي الاحسان تبارى في انقاذهم من البؤس والجوع .

الفصل الخامس

عمان وعمان

مساعدة فرنسا للهرب — وفد الجزائر والهدية المشهورة — الضباط المشارفون —
ساحة فرنسا الى الجلود — مشاركتها في حملة السويس — ثلاثة طواير من الجزائر
والاستعمارات — القروض السياسي — انهاء الفترة الشرقية — البدو وضباط الجيش
النظامي — تعامل الفرنسيين على العرب — خطبة في مجلس النواب — تزييف
الخطائق — الاتراك يحسون عمان — العرب والانكليز يتفقون — سقوط عمان —
للجوع العام — انهزام الجيش الرابع — سقوط درعا — الدخول الى الشام .

قد اثرت في الفصل السابق الى مساعدة الفرنسيين للعرب وما يلقيه بعضهم
من الفضل في انتصارات جيش الشمال . فلا بأس ، وقد وصلت الى هذا الحد ،
ان ابين بما لدي من المعلومات ، وأكثرها من المصادر الإفريقية نفسها ، بقيار
تلك المساعدة .

عندما كانت المفاوضات جارية بين الانكليز والشريف او بعدها بعثت
الحكومة الإفريقية وفداً من مسلمي الجزائر الى الحجاز يحمل الى اميره الاكبر
تلك الهدية المشهورة ، تلك الساعة التي رمزت الى هدبة مثلها من خليفة العرب
الى ملك الفرنجة في سالف الزمان . ثم ارسلت بعض المواد والمعدات الحربية
وبعض الضباط الى جده ليشرفوا لتنظيم الجيش الحجازي^(١) .

يفني عن البيان ان فرنسا في تلك الايام كانت تحتاج في بلادها الى كل
جندي تستطيع تجنيده ، ولم تكن مشاركتها في الحملة على الاتراك في فلسطين
الا اسمية في البداية . فشاءت ان تتجاوز هذه الحال ليحقق لها كلمة سياسية

(١) هم العكولونيل برعموند Col. Brémond والقومندان كوس Commandant
Cousse الذي قام مقامه بدئته في جده الملازم بيزاني Capitaine Pisani والملازم راهو
Capitaine Raho وضابط آخر يدعى كادي Lieutenant-Colonel Cadi ويظهر ان
هؤلاء الثلاثة الاخيرين رافقوا بدئته جيش الشمال فدخلوا معه الشام .

بعدئذ في ما يختص بمصير البلاد ، فأرسلت ثلاثة طوابير من جنود الجزائر والمستعمرات لتشارك في الدفاع عن ترعة السويس وفي الهجوم على فلسطين . وكانت قد باشرت في اوائل عام ١٩١٧ انشاء الفرقة الشرقية من متطوعي الارمن والسوريين ، فنقلت الى ساحة القتال بعد فتح القدس من كانوا منهم يتحرونون في قبرص وبورت سعيد .

يبدان هذه العساكر التونسية والجزائرية والسورية التي رافقت الجيش الانكليزي لم تشارك العرب في شرق الاردن بشيء يذكر . اما الضباط الانكليز والفرنسيين فليس من ينكر ان بعضهم رافقوا الجيش النظامي وساعدوه في تنظيم العربان وتحريرهم على القتال .

كان عدد من انضم من البدو الى الجيش العربي يناهز المئة الف . اما العسكر النظامي فلم يتجاوز الخمسة آلاف ، وكان ضباطه كثيرين ولا غرو بالنسبة الى عدده . غير انهم لم يبلغوا عشر ما ادعاه ساسة الفرنسيين المتعاملون على العرب ، المشنعون بهم في الصحافة وفي مجلس الامة^(١) . وقد فاتهم ان عدد الضباط ، في مثل هذه الحال ، يجب ان يقاس بالنسبة الى عدد المقاتلين كلهم لا بالنسبة الى الجنود النظامية فقط .

اعود الى الحوادث . بعد شهر من سقوط الكرك في حوزة الامير اي في ٨

(١) خطب المرسيو لينيل M. Leneil في مجلس النواب الفرنسي في ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٠ قال : « وما هو الجيش العربي ؟ اربعة الاف جندي يرأسهم سبعة قائد و ألف و ثمان مئة من الضباط . . . ولم يجارب العرب مرة واحدة وحدهم ، بل كانوا دائماً معاطلين ثلثة من الانكليز او الفرنسيين . . . وعندما كانت تطلق المدافع كانوا يقرون هارين(*) . . . لم يقتصروا غير مرة واحدة عندما اتخذوا البلدة الصغيرة معان . او تعرفون كيف اتخذوها ؟ كانوا على مسافة خمسة او ستة كيلومترات منها فتقدم الملازم بيزاني بثلة افرنسية صغيرة عددها مئة واربعون رجلاً فهجوا على القرية واخذوها وسلموها الى العرب . »
من كتاب (كيف استقرت فرنسا في سورية) الفصل الثالث صفحة ٤٤

(*) « في مدة سنتين من الحرب اخرج العرب الترك من الحجاز ، ومن سواحل البحر الاحمر ، وخرّبوا قسماً كبيراً من سكة الحديد ، وقتلوا واسروا اربعين الفاً من احسن جنود الدولة العثمانية . »
تاريخ الحرب العظمى الفصل ١٤٨١ نهضة العرب .

ايار ضرب العرب محطة القطرانة واسروا عدداً من الترك . ثم بعد اسبوع هجموا على الحسا فأخذوا قطاراً كان هناك ودمروا قسماً من العدة والذخيرة . ولكن العدو اخرجهم بعدئذ من الحسا فتقهقروا جنوباً وهم يخربون في الجسورة والخط^(١) .

وكانت تزداد قوات الترك بعد هجوم الانكليز على السلط وعمان . فالقيادة العامة في الناصرة ، عندما وصلتها تلك الاخبار — وصلتها مؤخراً لان العرب كانوا عاملين بتقطيع سلوك البرق والتلفون — اصدرت الاوامر بانيجاد الحامية في عمان وبنقل الجنود من الشام وحلب الى درعا ووادي اليرموك . يصح ان يقال ان اشد ايام القتال على العرب كانت في صيف هذه السنة ١٩١٨ وقد ظهرت نتيجة النجدات في تقهقر الانكليز من عمان والسلط الى غربي نهر الشريعة بعد واقعة الاردن الثانية .

على ان هذه الهزيمة لم تثبط من عزم العرب بل حملتهم على استئناف الهجوم والقتال . وكانوا في شهري ايار وحزيران يزدادون قوة بما جاءهم من العساكر النظامية الجديدة من عراقيين وسوريين وفلسطينيين . حتى انه بينا كان شبه هدنة في ساحات الحرب غربي الاردن في شهر حزيران ، كان العرب بقيادة الامير فيصل وقواده يواصلون الهجوم والغزو والقتال . ولكنهم ردوا عن معان خامسين مراراً ، وخصوصاً في ٢٢ تموز عندما هجموا على محطة قريها فكانت خسائرهم عشرين ضابطاً ومئتين من الجنود . كان نوري باشا السعيد^(٢) في تلك الناحية عين الحركة ويدها . فحمل في اواخر آب بالفين من الجنود

(١) « من اول شهر ايار الى التاسع عشر منه غرّب العرب خمسة وعشرين جسراً . »

ليون فن سندرس في كتابه (خمس سنوات في تركيا)

(٢) نوري السعيد ولد في بغداد في سنة ١٨٨٨ ودرس في مدارسها ، ثم في المدرسة الحربية بالاستانة ، فخرج سنة ١٩٠١ برتبة ملازم ثاني والتحق بالفيلق السادس الشمالي في بغداد . وفي سنة ١٩١٠ دخل مدرسة اركان الحربية في الاستانة واشترك في الحروب البلقانية . وفي سنة ١٩١٣ على اثر اعتقال عزيز بك من قبل الاتحاديين ترك المدرسة هارباً من عقاب الديوان الحربي وسافر الى مسقط ومنها الى البصرة . ثم التحق بشريف مكة سنة ١٩١٦ وحاز على رتبة زعيم ثم امير لواء ، وظفر بالاوسمة العربية الهاشمية كلها .

النظامية وخمسمئة من البدو وعشرة مدافع حملة على معان اسقطتها بعد قتال عنيف في حوزة العرب .

وصلت هذه الاخبار الى الشام فاستيقظت فيها الروح العربية الراقدة ، وطفق الناس يتهايمون مستبشرين بالنصر القريب . بل حام بعض العرب حول المدينة وفيها ، مبشرين بفصل ، رافعين علم الحجاز المربع الالوان . وشرعت تتحرك وراء الاسترة وتحت الحجب تلك السياسة التي كادت تقضي عليها مظالم جمال وفظائمه ، فانصل بالاستانة خبرها ، فسارع اولياء الامر هناك الى اصلاح الامر . ارسلوا يعرضون على القائد الالماني الجنرال فن سندر من الحكم في سورية عليهم يقاومون بذلك تلك الروح النافرة منهم ويسترضونها . ولكنهم ابطأوا في ما اهدوا اليه من الحكمة الموهومة وعقد الجنرال في ذلك الحين اشد اهتماماً بالهرب منه بالحكم .

صدرت الاوامر بالمهجوم العام في ١٩ ايلول ، فتحركت الجنود البريطانية في خط طوله ثمانون كيلومتراً ، يمتد من الساحل حتى نهر الشريعة ، ولم تقف الا بعد ان اخرجت الالمان والأتراك من فلسطين والجليل . وجاء العرب من شرقي الاردن يسوقون امامهم ما تبقى من الجيش الرابع حتى قربوا من درعا . وكانت مفرزة النصر بقيادة جودت بك ^(١) في طليعة الجيش فضربت

ويوسام الحرب الافرنسي والانكليزي . وقد رافق الامير فيصل الى اوروبة وخرج مع الملك فيصل من سورية فجاء الى العراق سنة ١٩٢١ وتقلد رئاسة اركان الجيش العراقي . ثم في سنة ١٩٢٣ تدين وزيراً للدفاع في وزارة صهره جعفر باشا العسكري .

(١) « كان جودت بك البغدادي يقود هذا الطابور الذي لم يتجاوز عدده الالف ، وفيهم ثلاثون من الجنود الهندية « الشركاء » وثلاثة وثلاثون من المصريين ومعهم الملازم بيزاني وبضعة عساكر من الفرنسيين . وكان من مهمة هذا الطابور ان يخرب خط الحديد في درعا . فنجح بفضل الملازم بيزاني الشجاع الذي اشعل يده القليل الممتد على الحديد تجاه القبة الحجازية . اما العرب فتشتتوا فارين عندما حدث الانفجار . »

الكونت غنطو يرون في كتابه (كيف استقرت فرنسا في سورية)

الفصل الثالث : صفحة ٤٥ .

وقال الجنرال كريس فون كريستلين الالماني ، الذي كان قائداً المقدمة النهائية في حرب سيناء ، للامير عادل ارسلان ، نقله الامير عادل في مقال له في كتاب « ملوك العرب » .

الاتراك في درعا في ٢٨ ايلول فهزمتهم واسرت منهم عدداً كبيراً من الضباط والجنود .

وبعد يومين ، في ١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ ، دخل الامير فيصل على رأس الجيش العربي الى الشام ودخلت سرديات من الجيش البريطاني الى بيروت (١) .

لولا الثورة العربية لما استطاع الانكليز دخول فلسطين لان الجنود الذين كان العرب يشاغلونهم من درعا الى المدينة كانوا اكثر عدداً من جنود جيبتنا الفلسطينية .
(١) ودخلت الجنود العربية الى حصص في ١٤ تشرين الاول ، والى حماه في ١٦ ، والى حلب بعد مقاومة شديدة في ٢٥ من الشهر عينه .

الفصل السادس

مناطق الفوضى

من الظلم الى الظلمات — عوامل السياسات الخفية — العرب والانكليز والفرنسيين — السبب ضربات — موقف الامير فيصل — غلطة العرب الاولى — بلاغ من الاحلاف ينفضه بلاغ من الانكليز — سفر الامير الى باريس — نقطة دائرة الشهرة والاعجاب — سوريا اميركة — رئيس الجامعة الاميركية — ضجة ازعجت الحكومة الفرنسية — تصريح الموسيو بيثون وزير الخارجية — مطالب الامير الاولى — مطالبه في مؤتمر فرساي — الفوضى في سورية — الانكليز والفرنسيين قدوة طالحة — متقدم فارغ الوفاض — اصحاب السيادة وطلابها يتساقون الى انكراسي — الاتجار — الاحتجاج على تصريحات الموسيو بيثون — مذبحه الارمن في حلب .

عند انتهاء الشهر الاول اي تشرين الاول من سنة النصر كانت البلاد السورية قد دخلت من جيوش الترك والامان ، فزالَت عوامل الحرب الظاهرة ، ودخلت الامة في طور من اطوار السياسة الذي يماثل بنتائجه شذائد الحرب . اجل ، ما كادت تخرج البلاد من مظالم الترك حتى دخلت في ظلمات الفوضى . ولا اظن ان عوامل السياسة وانواعها — وسمومها — تعددت في بلد من البلدان الصغيرة التي اشتركت في الحرب تعددها وتزاحمها في هذه البلاد السورية ، وعلى الاخص في دمشق .

وكانت البلية الكبرى في عوامل السياسة الخفية . جاء الجيش العربي وجاءت معه السياستان العربية والحجازية ، وجاء الجيش الانكليزي يعضد العرب ظاهراً ويناھض سرّاً الفرنسيين ، فتشعبت سياسة حكومته الى ثلاث شعب اولها واهمها واتبعها المصلحة البريطانية ، وجاء الفرنسيين هائجين ناقمين وفي مقدمة قافلتهم مياسة لبنان ، وفي مؤخرها مياسة الموارنة ، وفي اولها ووسطها وآخرها سياسة فرنسة في البحر المتوسط .

وكانت في البلاد ولا يزال فيها سبع طوائف رئيسية هي سبعة احزاب

بل سبع ضربات مذهبية ، وفي كل ضربة سبع ضربات وطنية . ثم جاءت اللجنة الاميركية تستفتي هذه الامة المنكوبة فزادت بنكبتها - بسموم سياستها - اضعف الى ذلك كله وعود الاحلاف وعهودهم السرية وما فيها من اخلاص كنهه الاخطار فاذا ما زالت الاخطار زال . ثم حقوق العرب والوحدة العربية وما فيها من احلام تجلت ساعة العاصفة كقوس القزح في سماء الحرب العظمى فقدت بعدها كالحياض في مساء الامل .

انك اذا تصورت هذه الحالة العجيبة في شكل دائرة تقطتها البلاد السورية وروح النقطة وحياتها الامير فيصل ، ثم تمثلت السياسات التي ذكرت تحوم حولها وحوله تازة ، وطوراً تجري كالضباب المكهرب تحتها وفوقها ، دون محجة تعرف ، ودون قصد ظاهر يدرك ، بانت لك الصعوبات التي يندر مثلها في حياة رجل واحد حرم ركنين من اركان العظمة السياسية وهما الامة المتحدة القوية والتقليد الوطني الحي . لا اظن ان كبيراً من كبار ساسة الاوروبيين الذين يستمدون قواهم ابان العواصف من امة حرة متحدة وقومية مجردة من النزعات الدينية والنعرات ، يود ان يكون مكان فيصل في ادوار حياته السورية .

دخل الامير الشام دخول الظافر المحبوب ، والمنقذ المطلوب ، فاحتلت جيوشه العربية ومعهم بعض الجنود الانكليزية البلدان التي فتحت لهم ابوابها وقلوبها مهللة مرحبة . ورفع العلم العربي المربع الالوان فوق دور الحكومة من السويداء الى حلب ومن دمشق الى بيروت ، فاضطربت على السواحل وفي لبنان اقوام ، وطربت اقوام .

على ان العرب في بداية امرهم اخطأوا مرتين حربياً وسياسياً . فقد اخطأوا في قتلهم الامير عبد القادر الجزائري واخطأوا في انقاذ شكري الايوبي الى بيروت ليحكمها باسم الملك حسين . فاعتمت ان ظهرت في المدينة العقدة السياسية التي حجبتها عن عيون الناس زين الترحيب وازهار الفوز والتمجيد . اجل ، قد امتعض المسلمون انفسهم من هذا العمل لانهم كانوا

يفضلون ان يقام الحاكم من المدينة نفسها . كذلك يفعل الفانح الحصيف الحكيم .
ولكن الحكم العربي لم يدم أكثر من اسبوع . امر الايوبي برفع العلم العربي فوق
السراي في اليوم الثاني من تشرين الاول ثم امر في اليوم التاسع بانزاله^(١) .
وكان القائد الفرنسي الكولونل بياباب^(٢) قد وصل بجنوده الى المدينة فخرجت
اذ ذاك السياسة من طورها العربي الى اطوارها الدولية والمذهبية المتعددة .

ان التبعة في ذلك لعل الاحلاف اصحاب العهود السرية ، والمطامع الاشعبية ،
والوعود العرفوية . اليك من فعاليتهم اثنتين ليس بينهما غير شهر واحد من
الزمان . الاولى منشورهم الذي نشر في ايلول قبل احتلال البلاد السورية ،
والثانية بلاغهم في الشهر التالي اي بعد الاحتلال ، ذاك البلاغ الذي ينقض كل
ما في المنتور .

اني الخص ما أعلن قبل الاحتلال في ما يلي : ان الغاية التي من اجلها تحارب
انكلترة وفرنسة في الشرق هي تحرير الشعوب الراضحة منذ زمن طويل تحت ظلم
الاتراك تحريراً تاماً ناجزاً ، وانتشاء حكومات وطنية تستمد قوتها من اهالي البلاد
عملاً بارادتهم ، ووفقاً لاختيارهم الحر .

اما البلاغ الذي اصدره الجنرال بيأس^(٣) المتعلق « بادارة اراضي العدو
المحتلة » المؤرخ في ٢٢ تشرين الاول فهو يقسم البلاد السورية الى ثلاث مناطق
على الطريقة التي قسمت سابقاً في معاهدة « سيكس - بيكو » وهي المنطقة
الجنوبية اي فلسطين — ادارتها انكليزية . والمنطقة الشمالية الى السواحل حتى

(١) لم تسلم الحقيقة في هذا الايجاز . فقد رُفِع العلم في حفلة رائعة وكان من خطبائها
بعض رجال الدين المسيحيين . والاجل من ذلك ان اليد الذي رفعت يده اثنتان من
الشهداء وخطبة احدهم هي الالفة فاطمة الحمصاني .
اما الذي امر بانزاله فهو قائد جيش الاحتلال الانكليزي . ولما رفض الايوبي ورفض
كذلك رئيس البلدية ومدير الشرطة ان ينزلوا العلم ارسل القائد بعض الجنود الاستراليين
حانزلوه في الساعة الثانية بعد نصف الليل .

(٢) Le Colonel de Piépage

(٣) Major Gen. Sir G. L. Bols

للايبيكندرونية - ادارتها الفرنسية * والمنطقة الشرقية من حلب الى دمشق -
إدارتها عربية .

لم يكن في هذا البلاغ ما يرضي احداً من اصحاب السيادة والمصالح في هذه
البلاد . لم يرض الانكليز ، وهم يصدرونه مكرهين ، لانهم لا يرضون
بالفرنسيس في سورية . ولم يرض الفرنسيين لانهم يطامعون بالفتحة كلها .
وكانوا يفضلون الرجوع الى معاهدة « سيكس - بيكو » التي تضمن لهم اضعاف
هذه المنطقة مساحةً واهمية . ولم يرض العرب لان البلاغ سلبهم بلاداً هي جزء
حي من البلاد العربية .

بعد اعلان هذه الخطة الادارية اضطربت دوائر السياسة في الشام . وكان
قد اتفق الامير فيصل واولياء الامر من الانكليز ان يسافر الى باريس ليمثل
العرب في مؤتمر فرساي . فنزل الى بيروت وفي معيته الكرنل لورنس ، فدخلاه
مثلاً دخل دمشق زعيماً محبوباً وكان له فيها استقبال فاق استقبال الدمشقيين
رونقاً وبهاء . نزل الامير ضيفاً على الجنرال بلفين^(١) قائد للفرقة البريطانية
الحادية والعشرين ، واقام في المدينة ثلاثة ايام ، وصرح قبل سفره انه يطلب
باستقلال المناطق المحررة بمساعدة الاحلاف من حكم الاتراك ، وانه ذاهب الى
باريس لهذه الغاية .

في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ ابحر من بيروت ، فاستقبل في مرسية
استقبالاً رسمياً ، وما كاد يصل الى باريس حتى استحوطت شهرته العربية الى
شهرة اوروبية ، بل الى شهرة حملها البرق على اجنحة الصحافة الى اقطار العالم
المتحدن كافة .

كان الامير في باريس قطب دائرة باهرة من دوائر السياسة . ولا غرو ،
فهو لطيف في مقابلاته ، مؤنس في مجلسه ، مقنع في حديثه ، فادعش حتى
الصحافيين . لا اظن ان الصحافة اجمالاً عطفت على قضية من قضايا الحرب
عطفها على القضية العربية وحامل لوائها .

وقد اعجب بالامير كثير من السوريين اللبنايين الذين كانوا يقاومون سياسته العربية بسياسة لبنانية افرنسية . وجاء باريس وفود من سوريي اميركة ليعلنوا رسمياً انهم من انصاره . فكان والحق يقال موافقاً في انصاره ومريديه اكثر من كبار ساسة ذلك الزمان .

ثم جاء فاضل اميركي بفتح باب الامل الاكبر ، الامل الجديد الابر ، فتمثل الامير الفوز بواسطة اميركة اذا خذلته انكثرة ، ورحب بمساعي رئيس الجامعة الاميركية السابق الدكتور هاورد بليس الذي كان يعتقد ان الحكومة الاميركية تقبل الانتداب في سورية اذا طلب ذلك السوريون .

هوذا الامير فيصل تتجاذبه العوامل السياسية العديدة . تحوم حوله الزعماء وتزلف اليه الامل المائعة ، وتشع امامه مصاييح الصحافة ، وتجلس لديه عرائس الشهرة والاعجاب ، وتهمس في اذنه المقاصد الدولية كلمات لها كل يوم معنى جديد . ولكنه في باريس ، تحت عين الحكومة الافرنسية ، وفي ظل اهنسامة امة نبوغها في تهكمها . بيد ان هذا التبوغ لا يشمل دائماً حكومتها . فقد أحدث وجود الامير في باريس ضجة ازعجت تلك الحكومة ، فصرح في ٢٩ ك ١ المسيو يشون ناظر الخارجية يومئذ بان لفرنسة حقوقاً تاريخية وشرعية وادبية في سورية لا تتنازل قطعاً عنها .

وكان الامير لا يزال ينتظر الاذن بالدخول الى مؤتمر السلم فرفع اليه بعد يومين عريضة فيها الجواب بما يلي من المطالب على تصريح ناظر الخارجية .
طلب الامير :

اولاً — استقلال سورية الداخلي التام مع مساعدة اخصائيين من الاجانب تختارهم وتستخدمهم الحكومة السورية . اما الامور الخارجية فتكون متصلة بامور الحجاز ، اي ان تكون حكومة الحجاز والحكومة السورية حكومة واحدة في الامور الاجنبية .

ثانياً — تشارف على العراق والجزيرة دولة من الدول العظمى .

ثالثاً — استقلال الحجاز مقرر ومعترف به .

رابعاً — إما في اليمن وفي نجد فتدير شؤون كل منها حكومة مستقلة يكون لها اتصال مباشرة مع الحجاز^(١) .

خامساً — فلسطين مثل العراق تقبل بوصاية اجنبية .

قد حاول الامير في هذه العريضة ان يوفق بين سياسة انكلترة وسياسة جلالة ابيه ولم يغفل فرنسة تماماً . فهو لم يذكر لبنان اعتباراً لما تدعيه فيه ، واحتراماً لاماني اهل بيته . ولكنه عندما طلب ان يدخل المؤتمر ممثلاً لجلالة ابيه أبت الحكومة الافرنسية ولم تقبل ان يحضر الجلسات الا بصفتة قائد من قواد جيوش الاحلاف . فدخل بهذه الصفة وارلقى في مطالبه الى الوحدة العربية التي تشمل الاقطار العربية كلها من جبال طوروس الى اليمن ومن الموصل الى حضرموت .

اما في سورية فبالرغم عن بلاغ الجنرال بلس ويصح ان اقول بفضل ذلك البلاغ كانت الاحوال تزداد خطراً واضطراباً . وماذا عسى ان يرجى من العوامل المتشعبة في الجيوش الثلاثة ، والادارات الثلاث ؟ فقد كانت السياسات الرئيسية تتجاوز الحدود الجديدة اما جهلاً من اولياء الامر واما عفواً واما عمداً ، فتصدم في كل حال الارادات والمصالح ، وهي في حال الالتهاب . بل كانت البلاد كلها في تلك الايام ملاءى بالمواد المتفجرة ، وكان كل من تحرك فيها عن له شيء من السلطة يحمل على لسانه وبيده النار والكبريت . فلا عجب اذا تعددت فيها حوادث الانفجار .

احتل العرب انطاكية فجاء الفرنسيين يخرجونهم منها ، فرُفع فيها العلمان الافرنسي والعربي ، وكانت فيها نصيجة من جراء ذلك ما بين احمد والمسيح . احتل جيش انكليزي الاسكندرونة فجاء الفرنسيين من البحر يهتجون عليهم ، فرُفع فيها العلمان ، وتخاصم تحتها الفريقان . جاء المندوب السامي الموسيو

(١) هي فكرة الملك حسين الذي يريد ان يكون الاتصال بواسطة الوزارة الخارجية اي ان الحكومة الحجازية تمثل في الخارج الامارات العربية كلها .
راجع فصل المعاهدة صفحات ١٩١-٣-٣٠ من الجزء الاول من هذا الكتاب .

جورج بيكو^(١) الى الجنرال آلبي^(٢) ذات يوم يمتج باسم الحكومة
الافرنسية في امر من الامور فقال الجنرال : انا لا اعرف لا حكومتك ولا
حكومتى . انا لا اعرف غير الوزارة الحربية . وتسربت الاحقاد من الكبار الى
من دونهم ، فكانت المنافسات بين وكلاء الانكليز والفرنسيس ثقل من قيمة
الاوروبيين في عين الاهالي مسيحين كانوا او مسلمين .

أضف اليها تلك الضغائن التي ولدتها الحرب ونشأت بين جنود الامتسين في
الختناق ، فاقلت الى ساحة السياسة في الشرق الادنى وكان اهل سورية فريسة
شروها . ثم الدسائس العربية على الفرنسيين والتجسس لهم ايضاً بواسطة اناس من
السوربيين عدوا يوماً من كبار الوطنيين . ثم دسائس المسيحين على العرب وكانت
مصادرها تلك المقامات العالية المحترمة ، مقامات الورع والتقوى . ثم صحبات
الفرنسيس انفسهم واحتجاجاتهم المتواصلة المتعددة على الانكليز ، وعلى العرب ،
وعلى الجيش الشريفي ، وعلى القيادة العامة ، وعلى الامير كين والجامعة الاميركية ،
وعلى كل من قادمهم سراً او علناً او رفض ان يعترف بحقوقهم « الادبية والتاريخية
والشرعية » في البلاد .

انها لحالة عجيبة محزنة يندر نظيرها في العالم . وأدعى منها الى الحزن انهم
جاءوا الى سورية فارغين الوفاض يطالبون بهذه الحقوق . جاءوا يسطرون
سيادتهم في البلاد دون ان يبدلوا شيئاً في سبيلها ، او يستطيعوا في الاقل ان
يحفظوا النظام فيها . فلم يكن لديهم في السنة الاولى من المال والرجال والجنود
والاعتدة ما يكفي لحكم مدينة صغيرة ، فحاولوا الاستيلاء على المنطقة الغربية
منطقتهم بما تبقى من الفرقة الشرقية ويضع مئات غيرها من الجنود ، فأسقطوا في
ايديهم ، وسقطوا في عيون صريديهم .

ان ضعف الفرنسيين ، والحق يقال ، وقصر ذات يدهم بالنسبة الى ما كانوا يدعون
ويطلبون ، لمن الاسباب الاولى في تلك الاضطرابات . ومن تلك الاسباب ايضاً

Georges Picot (١)

General Edmund Allenby (٢)

جهل اولياء الامر من العرب ، جهلهم السياسة الدولية ، جهلهم طباع الاوروبيين ، جهلهم التاريخ ، جهلهم حتى خطة الانكليز في اطاعهم ، تلك الاطاع التي قيدها وعودهم في الحرب فاضطرتهم الى السياسة السرية في تنشيط العرب تارة وطوراً في تثبيطهم . ومن اسباب الاضطرابات ايضاً تعدد الحكومات في البلاد ، فكان فيها اولاً القيادة البريطانية العامة ، ثم الانتداب الافرنسي مدعوماً بشرذمة من الجنود البحرية ، ثم مجلس ادارة لبنان ، ثم الحكومة العربية ، ثم البطارية والاعيان .

والكل سارعوا كالأولاد الى تبوء كراهي السيادة والمجد . فقد تسرع الفرنسيين في تعيين وكلاء لهم في الشام وحلب كما تسرع العرب في تعيين حاكم عربي في بيروت . كيف لا والقيادة الانكليزية العامة صاحبة الامر رسمياً في البلاد ، فلم تعترف حتى بالمندوب الافرنسي السامي الا كاستشار سياسي لديها . فماذا عسى ان تكون العلائق بين مستشارين صغيرين . ان وجود الكومندان كوس^(١) يومئذ في الشام والكونول بيشون^(٢) في حلب لما زاد الحالة شدة وتعقداً .

بدأ البركان يتفجر في اواسط كانون الثاني سنة ١٩١٩ . اذ عندما علقت الشام بتصریح المسيو بيشون في ما يتعلق بفرنسة وحقوقها في سورية ضجت المدينة غضباً واحتجاجاً ، وكان النادي العربي رأسها ولسان حالها . فأضرم في الجرائد نار العداة للاحزاب ، وبث الخطباء في انحاء البلاد يحرضون الوطنيين على التظاهرات ضد الاحتلال والانتداب ، وخطب خطيب في الجامع الاموي يدعو الناس للتجنّد دفاعاً عن الوطن .

في هذا الشهر ايضاً التي المسيو بيكو خطاباً في دمشق جاء فيه ما فهم منه ان قد تم الاتفاق بين الامير والحكومة الافرنسية بشأن سورية . فعضب لذلك المسيحيون وهم يظنون ان فرنسة تفضل المسلمين عليهم وقد نفادي بهم في سبيل

Le Commandant Cousse (١)

Le Colonel Pichon (٢)

السياسة والمصلحة . فما كانت فرنسا في ما صرح به وزيرها ومندوبها لترضي .
احداً ، لا الخصم ولا الصديق .

ثم خطب في سرايي بعدا رئيس الوفد اللبناني الاول داود عمون مفصلاً عما
كانت نتيجة مساعده في باريس فقال : « ان بين لبنان وسورية علاقات تجارية ،
وصلات متينة ، تستوجب الأ فضل الشقيق عن شقيقه . فاجتمعت كلتنا ، كلمة
الوقد ، على وجوب انضام الاثنين تحت لواء مراقبة واحدة » .

فجاء كلامه ضغثاً على ابالة . قال زعماء العرب : ان الحكومة الفرنسية
تروم احتلال سورية بواسطة اصدقاءها اللبنانيين . والنق ان يوم خطب داود
عمون خطبته عُقد اجتماع في دمشق احتجاجاً على تصريح المسو يشون ، فعقبت
عليه المدن السورية الأخرى ، وحدثت اثناء هذه التظاهرات في ٢٨ شباط
سنة ١٩١٩ مذبحة الارمن في حلب .

لا حاجة ولا مجال لها لها للنظر في تلك الحادثة المحزنة . بيد انه من المؤكد
ان لو كان في المدينة حكومة متيقظة منظمة ، عربية كانت او انكليزية او
افرنسية ، لما كان عتو الارمن يحمل بعض العرب المسلمين على المفاداة بسمعهم
الطيبة ، خصوصاً بعدما كان من احسان الامير فيصل وجنوده الى منكوبي
الارمن في الكرك .

الفصل السابع

لجنة الاستفتاء الاميركية

تظريات المصلحين ومصالح الامم — كليمنصو يقترح اتفاقاً بشأن سورية ولبنان —
الامير يرفض ويرجع الى سورية — امتاز تقاربان في اكرامه — نظرية تستويه —
الرئيس ولسون خادع ومخدوع — فيصل في فح الاحلام — امة تتخلص من امتين —
« الاستقلال يؤخذ لا يعطى » — الاستقلال التام الناجز — الحجاز تابعة لسورية —
الوفد اللبناني لدى الامير — تصريحه بخصوص لبنان — الشروط التي عرضها
على جورج بيكو في ١٧ ايار — البطريرك الماروني يسافر الى باريس — صلا
البطريرك يحمل كتاباً من كليمنصو — الوحدة السورية والوحدة المسيحية —
« لجنة الاستفتاء بروتستانية فيجب ان تقاوموها » — مطالب المشيخين — اللجنة
تفضح فرسه — الضرر بالقضية العربية — بلاغ اللورد آلتني — خروج المسافر
البريطانية من سورية — رجوع الامير الى اوروة — وحدة عربية مطاطة —
تصریح لا يفيد — احتجاج بليد .

كان الامير محترماً مكرماً في مؤتمر فرساي، وكان كذلك الرئيس ولسون .
ولكن السياسة الدولية لا ترعى آداب الاجتماع ، ولا تهتمها فروض التكريم ، فلا
تملك نظريات المصلحين واماني الوطنيين من مصالح الامم . قد سقت ولسون ،
تلك السياسة ، الحل والمرء بعد ان شاركت صامته في اكرامه ذلك الاكرام الفريد
المجيد . وكانت ارفق حالاً بفیصل . كيف لا وقد عرض احد اساطينها في تلك
الايام على الامير العربي بعض بنود فيها تضمنت فرصة استقلال سورية تحت
امارته وبمشاركتها في بعض الامور الاختصاصية والاقتصادية . وتضمن كذلك
استقلالاً نوعياً للبنان الى ان يتم الاتفاق بينه وبين سورية .

ولكن الامير رفض ما عرضه الوزير الافرنسي الموسيو كليمنصو وعاد
الى سورية ليستشير كما قال الامة . سافر الامير الى فرنسا على المدرعة الانكليزية
« غلاستر » وفي معيته الكرنل لورنس^(١) وعاد الى بيروت على المدرعة

الافرنسية « ادغار كينه » وفي معيته الكولونل تولا (١) امتان تباريان في اكرامه ،
امتان تسارطان الى خطب واداه ، امتان تسعيان في تعزيز سياستهما في سورية
والبلاد العربية بواسطة .

اني متيقن انه ، لولا امر واحد ، كان قد اختار احدهما في سفرته الاولى
الى باريس ، بل كان قبل كل ما عرضه عليه الموسيو كليمنصو . امر واحد
تخال معقوله واطرف فيه القوة الحاكمة . امر واحد هز منه القلب والمخيلة واشعل
فيهما مصباح امل هو اقرب الى الاحلام منه الى احكام الايام . فخذع الامير
وخذع غيره ممن هم اكبر منه . اجل قد خدع به احد « الثلاثة الكبار » (٢)
الرئيس ولسون نفسه . وهو الذي خدع الامير ، كما خدع غيره من الناس
ومن الامم والشعوب ، بما ظنه مطهراً لسياسات الدول كلها وبلسماً لجروح
الامم جميعاً .

« تقرير مصير الشعوب » — « حق الشعوب بتقرير مصيرها » انها لكلمات
فتانة ! ولكنها لم تكن لتستطيع ان تخدع الامير لولا مساعي هاررد بليس في
سيديها . ولا اظن ان ما صورته وتصوره الدكتور بليس ، وما ضج به سوربو
المهجر ، كان يقنع الامير كل الاقنماع ، ويحملة على عمل يحالف الحكومتين
الانكليزية والافرنسية لولا — وها هنا رأس الخدعة واكليها — لولا اللجنة
التي طلب تشكيلها الرئيس ولسون لتستفتي الامة السورية . من من الناس لا تحدعه
هذه المناورات السياسية ، وبالاخرى هذه النظريات والاحكام من رئيس احدى
الامم المعظمى ، بل اعظمها في تلك الايام .

عاد الامير الى سورية وفي صدره ولا ريب امل بالتخلص من الحكومتين
الانكليزية والافرنسية ، بل في صدره امل بتحقيق امانيه الوطنية العربية بواسطة
الحكومة الاميركية . وصل الى بيروت في ٣٠ نيسان وكانت الامة تنتظر قدومه

(١) Le Colonel Toulat

(٢) اي الذين اداروا مؤتمر فرساي وهم وودرو ولسون وجورج كليمنصو ولويد جورج
Woodrow Wilson, Lloyd George, Georges Clemenceau.

وهي نائقة شيقة الى اخباره وتصريحاته . تركها منذ خمسة اشهر وآماله راقدة ، فعاد اليها وآماله تغرد في قفص الاحلام . تركها اميراً عربياً قد يفلح وقد لا يفلح في مساعيه ، فعاد اليها اميراً خطيراً ، اوسع شهرة ، واعظم ثقة بنفسه ، وارفع مقاماً . فاستقبل في بيروت استقبالاً ملكياً ترأسه القائدان الافرنسي والانكليزي فيها وخطب في الناس فادهش الناس .

« الاستقلال يؤخذ لا يعطى . . . حرية الامة بيدها . . . لنسعى متحمدين فتحيا حياة عزيزة . . . الاستقلال التام في الاتحاد التام » . ثم قال اكراماً للفرنسيس والانكليز : « لا اكرانا في حاجة الى المساعدات المادية والاقتصادية والعلمية . ولكننا منطلب هذه المساعدات باجرتها ، مستخدم الحكومة الاختصاصيين من الاجانب وتدفع رواتبهم من مال الامة » .

وقد كان الامير اسد طهحة في دمشق : « الامة السورية تروم الاستقلال التام الناجز ولا تقبل بغيره بديلاً » . فرددت الشام ومدن سورية كافة صدى هذه الكلمات : الاستقلال التام الناجز !

وصل الامير قبل اللجنة الاستثنائية الاميركية فبشر بقدمها ، وحث الشعب ان يطلب الاستقلال التام بدون شرط ولا قيود . — « برهنوا على انكم لستم كالانعام تباع وتستري . . . الاستقلال بدون حدود البتة . الحرية بدون قيود اجبية . . . من يطلب فرصة او انكثرة او اميركة او ايطالية فهو ليس منا » . ثم زار المجلس التشريعي في ٧ ايار فرحب به اعضاؤه ونادوا به زعيماً — الزعيم الاكبر ! — « لك الامر وعليك بعد الله الاتكال . » ووقف نوري التعلان يعاهد بالطاعة والولاء : « نحن اكلنا عرب الرولا اطوع لك من يمينك ، ومن لا يكون مثلنا ليس من دين الاسلام . »

وفي هذا الشهر نمازل الامير عن الحطة السياسة التي كان من شأنها ان تربط سورية بالحجاز بل تجعلها تابعة للحكومة والده ، فقبل جلاله الملك حسين ذلك حياءً بدأ يتلور من الآمال ، فارسل الامير الى مؤتمر السلم يقول ان الحجاز لا تعترض ان تكون تابعة سياسياً لسورية . وقد قال لي

جلالة الحسين هذا القول مراراً .

اما في ما يختص بسورية نفسها فقد كان ليفصل رأبي في تقسيم البلاد الى مقاطعات ، وفقاً لحالاتها الطبيعية والعقلية والتهديبية ، صرح به خصوصاً للوفد اللبناني الذي جاء الى دمشق ليهنئه بعودته سالماً من باريس ، وليؤكد له ان فريقاً كبيراً من اللبنانيين يتحنون الانضمام الى سورية - فرحب الاسير بهم وخطب فيهم خطبة بليغة فقال : « انه يجب ان يضم الى لبنان القسم اللازم الوافي لحياة اهاليه الزراعية ، فيستفيدون من توسيع ارضهم كما تستفيد هذه البلاد من ذكائهم وتشاطهم . . . اقول بكل حرية ان لبنان مستقل داخلياً وادارياً ويلزم ان يبقى ما يلحق به مستقلاً وممتازاً . . . مع المحافظة على الارتباط بالوحدة السورية . ولكن هذا الانضمام لا يكون اجباراً بل اختياراً . . . اني مستعد ان اعطي الصيانة الخطيئة بكل ما اقول . وليعلم اللبنانيون ، وهم اخواننا بل قلوبنا التي سها نحس وعقولنا التي بها نفكر ، اننا نحن واياهم واحد لا يفصلنا فاصل طبيعي او مادي . . . ما كان عندنا ولا يكون ادنى فرق بين لبناني ودمسقي او بين مسلم ودرزي . »

هوذا مبدأ الامير الذي اخلص له في تلك الايام ، واعتمهم به ، ومعى في تعزيزه . على انه في بعض المواقف ، كما سيتضح للقارىء ، تغلبت الحوادث وبعض الرجال على معتقده ويقينه . قد وصل في شهر ايار سنة ١٩١٩ الى ذروة القوة والنفوذ ، فكان عاملاً بمبادئه ، واتقاً من نفسه ، ذا رأي يُسمع وامر يُطاع . غير ان الرئيس في البلاد ، خصوصاً المندوب السامي وكبار الضباط ، لم يتقوا كل الثقة به ، ولا كانوا يرون السداد في سياسة حكومة باريس في ما يخص به وبسورية ولبنان .

قد تقابل المسير جورج يكو والامير فيصل في ١٧ ايار فعرض الامير على المندوب شروطه بصراحة لا غبار عليها . قال انه يقبل بالالتداب الفرنسي اذا اُلغيت معاهدة « سيكس - بيكو » واذا اُلغيت في المنطقتين الشرقية والغربية الحكم العسكري وسحبت فرسة جنودها من البلاد ، واذا انحصرت المساعدة

الفرنسية بالاختصاصيين الماليين والمعلمين العسكريين والمهندسين والمستشارين في
دوائر الحكومة . وقيل انه طلب ان تضم الموصل الى سورية وان تساعد فرنسا
عرب العراق في استقلالهم . فبلغ مندوب السامي حكومته هذه الشروط وجاء
بعد شهر نفويض بان يقبلها .

ولكن المسيحيين في المنطقة الغربية تألبوا اثناء هذا الشهر على السياسة
الفرنسية السورية ، وعقدوا الاجتماعات لتأييد استقلال لبنان وتوسيع حدوده ،
لطلب الانتداب الفرنسي . وكان الاكليروس روح هذه النهضة والبطريرك
الماروني رأسها . فرأى الموسيو بيكو ان في تعزيزها يضمن لفرنسة السيادة في
لبنان في الاقل . وقد كان يظن ان الموسيو كليمنتسو لم يهتم كما يجب لهذه المسئلة
الخطيرة ، فأوعز الى بعض اعيان لبنان ورؤساء طوائفه ان يبعثوا بطريرك الموارنة
الى باريس ليمثل اللبنانيين لدى الحكومة الفرنسية ويطالب بحقوقهم .

انتدب اكثر الطوائف غبطة البطريرك ايلياس الخويك لهذه الغاية ، فسافر
على مدرعة فرنسية الى ايطاليا حيث اقام شهرين وقابل قداسة البابا . ثم سافر
الى باريس فقابل هناك الموسيو كليمنتسو الذي اعطاه كتابا يسكن فيه روعه
وروع اللبنانيين ، ويهدم بما يطلبون من الاستقلال والانتداب . فقفل غبطة
راجعا يحمل هذا الكتاب الثمين الى موكبيه ، فوصل الى بيروت في ٢٥ كانون
الاول سنة ١٩١٩ وتكلم في الاحتفال الذي اقامته له حكومة لبنان فقال :
« قد كان اتحادكم من اسباب نجاحي . فأؤمل ان تتايروا على هذه الخطة ، فيجيا
لبنان بعد ان يكون قد نال استقلاله ولكم خير نصيحين باستدراجه الى الحياة
سيفي مساعدة الدولة المحبوبة التي حرمت نفسها من خدمات احد اعظم ابنائها
— الجنرال غورو — حتى تكلفه مهمة دعوها مهمة ابداع وخلق » . ثم خاطب
الجنرال غورو بالفرنسية قائلاً : « اني اجهر على رؤوس الملا ان فرصة تحب
لبنان ، وتساعد لبنان ، وها نحن نفتخر بفرصة ولاسيما بعد ان اوفدت الينا
الجنرال غورو الخ » .

فبين كان الامير فيصل يدعو الناس الى وحدة سورية قومية لا تفرق بين

الدمشقي والسناني ، او بين المسلم والمسيحي والدرزي ، قام اللبنانيون ، والاكليروس يستحثهم ويفرهم ، يطالبون بوحدة لبنانية ، فقلدوا بطريقتهم الكبير زمام امرهم ، فجعلوا المسئلة دينية مذهبية ^(١) ، وابوا ان يكون لهم ادنى علاقة بالعرب المسلمين . بل امعن رؤساء التعصب بالشقاق عندما وصلت لجنة الاستفتاء الاميركية الى سورية . فبا ان اساندة الجامعة من انصار النهضة العربية واعضاء اللجنة من وطن الجامعة ، ادعى غير واحد من رؤساء الدين ان للجنة مقاصد دينية بروتستانية وطلبوا من اللبنانيين ان يقاوموها ويتضافروا عليها .

ومما يدعو للاسف ان قد كانت اللجنة نفسها عاملاً آخر من عوامل الشقاق ، لانها في طريقة الاستفتاء عززت من حيث لا تدري مبدأ العصبية الدينية والطائفية . الا انها فضحت فريضة وجردت مزاعمها من الاوهام لان الاقلية اللبنانية فقط طلبت الانتداب الافرنسي ، ولم تشمل هذه الاقلية الطوائف المسيحية كلها . فازداد العرب تمسكاً بما يطلبون وازداد قسم منهم تعصباً ادى الى الاعمال التي سوت صحيفتهم . وسيجيء الكلام عليها .

وصلت اللجنة في تموز الى دمشق فطلب فريق من الدمشقيين الوحدة السورية بما فيه لبنان وفلسطين ، والاستقلال التام الناجز ، وان تكون الحكومة ملكية دستورية لامركزية ويكون الامير فيصل ملك البلاد . ثم طلبوا المساعدة الاقتصادية والفنية من اميركة ، واذا رفضت اميركة ، فمن بريطانيا العظمى . وقد طلبوا ان يكون العراق مستقلاً كل الاستقلال ، وان لا يكون حواجز اقتصادية بين البلادين .

ثم استفتت اللجنة العلماء فطلبوا ما يلي : الوحدة السورية المستقلة عن الحجاز ، وحكومة دستورية لامركزية على رأسها الامير فيصل ، ومساعدة دولة

(١) اول اجتماع عقد في بيروت في ٢٢ تموز سنة ١٩١٩ قرر ان تضم المدينة الى لبنان ويعلن استقلاله وانتدب لجنة مؤلفة من اربعة وعشرين شخصاً ليس فيهم واحد مسلم حتى ولا بروتستاني واحد ، بل اكثرهم من الموارنة التجار .

ضحية قوية لا مطامع استعمارية لها .

أما المتطرفون أصحاب الوحدة العربية الحجازية الاسلامية فظلوا منشبين بأرائهم ، عاملين مسراً وجهرأ في نشرها وتعزيرها . وقد كان في المجلس التشريعي ، وفي النادي العربي ، وفي معية الامير ابضاً من لا يكتون ولا يعقلون من الحزبين .

جالت لجنة الاستفتاء في فلسطين وسورية ففضحت كما قلت فرنسة ، وأضرت بالقضية العربية ، ولم تنفع احدأ في البلاد . وكيف اضرت بالقضية العربية ؟ اني اعتقد انها كانت السبب — بعض السبب ان لم يكن كله — في البلاغ الذي قدمه اللورد آتني للامير فيصل في ٩ ايلول وفيه ما يلي :

١ — ان حكومة بريطانيا العظمى ترفض الانتداب في سورية . ٢ — انها توافق على المبدأ الذي يضمن لليهود وطناً قومياً في فلسطين . ٣ — ليس من شأنها ان توجب على السوريين قبول حكومة لا يريد اهل البلاد . ٤ — ان المارشال آتني المسؤول لدى مؤتمر السلم عن الامن في البلاد يتخذ الوسائل اللازمة لقمع الفتن والاضطرابات .

وفي ١٥ من هذا الشهر ايضاً تم بين الحكومتين الافرنسية والانكليزية الاتفاق الذي بموجبه تكفلت بريطانيا العظمى ان تخرج في تشرين الثاني عساكرها من سورية بشرط ان العساكر الافرنسية لا تدخل المدن الاربع منها ، اي دمشق وحمص وحماء وحلب ، لان بريطانيا العظمى قد عاهدت العرب على تأليف حكومة عربية .

اتار هذا الاتفاق وذاك البلاغ خواطر المتطرفين والمعتدلين من العرب ، ولبيل الناس على ان اولي الالباب المرنين في سياسة التلوت والهوادة رأوا في الوتقتين تناقضاً قد يكون تعمدته الانكليز من اجل حلفائهم العرب . فها ان اسكترة تنفض يدها منا ، ولكنها تقول انها لا توجب علينا حكومة لا نريدها . وها انها تسحب جنودها من البلاد ، ولكنها تبقى السيادة المطلقة بيد المارشال آتني . فقام الناس بتظاهرويت مثل تظاهرويتهم احتجاجاً على المسيو

هيشون ، وتأسست لجنة الدفاع الوطني التي باتت تحت التجنيد .
وكان الامير في مقدمة المحتجين فاعاد تصريحه بالوحدة العربية وابرق الى
مؤتمر السلم ان البلاد في اضطراب عظيم ، وان الشعب يقاوم اية خطة تجعله قيد
المساومات ، ويتصل من التبعة في الحاضر والمستقبل تجاه الحوادث التي من شأنها
هضم حقوقه .

ثم سافر في اواخر ايلول الى لندن ليسعى شخصياً لدى الحكومة الانكليزية
في سبيل الوحدة العربية المطلقة التي مر ذكرها ، والتي صرح بها على صفحات
الجرائد ، فقال لمراسل روتر : ان معاهدة « سيكس - بيكو » لا تعتبر ولا يعمل
بها في نظر الامة العربية . وقال لمحرر جريدة « الايام اليهودية » : انه يعتبر
فلسطين جزءاً من سورية وانها في نظر العرب ولاية لا بلاد مستقلة . ثم قال :
ان ما يسعى اليه هو تأسيس دولة عربية تشمل في الاقل على العراق وسورية
وفلسطين .

انها في السياسة خطة لا تزدريها الدول العظمى ، ولكن القومي اذا غير
رأيه يعززه بالقوة ، وهو يتغلب حتى اذا ثقل . اما الضيف بقومه ان لم اقل
بنفسه فالثبات خير له وابقى . ها هنا يبدو في الامير ضعف لا تجده في جلالة ابيه ،
وقد ثبت الى اليوم في مطالبه كلها ، فلم تتغير وحدته العربية وتتلون وفقاً لحوادث
الايام ، وسياسات الدول العظام .

اما احتجاج الفرنسيين على الحكم العربي في الشام فلا يخلو من التحامل .
قالوا ان العرب لم يحكموا باسم الخلفاء كما تحتم عليهم وانما حكموا باسم ملك
الحجاز . وهل حكم الفرنسيين في المنطقة الغربية باسم الاحلاف ياترى ؟ وهل
حكم الانكليز كذلك في المنطقة الجنوبية - في فلسطين ؟ وقالوا ان الملك حسين
عجل في طلب المكافأة على خدماته في الحرب العظمى ، وكان ينبغي له ان يتربص
الى ان تم المعاهدة بينهم ويصير الاتفاق بخصوص سورية . فليت شعري ما الذي
فعلوه هم انفسهم ؟ اقم يقسموا البلاد السورية ويتسابقوا والانكليز في الحصول على
قسمتهم منها ؟

الفصل الثامن

مرجعيون

الامير في لندن — الرجوع الى كليمنصو — الشروط — المساومة — الشورى —
الرفض — الرجوع الى سورية — موقفه تجاه الامة — المصائب — ضرب الخيرة
على ذبح النصارى — حادثة الحولة — الهجوم على الجديدة — النار والسيوف —
على من التبعة ؟ — حوادث عين ابل والقلعة — القومندان في الجديدة يلاعب
الارنب — جواب المستشار لجوري عين ابل — فريضة الكولونيل نابجر .

فد خابت في لندن امال الامير ، لانه وان كان اثناء اقامته هناك موضوع
اكرام الطبقة العالية من الامة الانكليزية ، فقد أعلم رسمياً ان الحكومة تحافظ على
العهد الاخير الذي عقده مع فرنسا ، وانها وان كانت قد اشترطت عليها الا
تدخل بجنودها المدن السورية الاربع فقد سلمت بان تكون المساعدة الفنية
والاقتصادية للحكومة العربية منها لا من انكلترا . لذلك أشير عليه بان يسافر
الى باريس ويتفق مع كليمنصو .

سافر الامير الى باريس ، وقابل المسيو كليمنصو ثانية ، فدار بينهما في ٢٢
تشرين الاول حديث تناول المسئلة السورية بكل فروعها ، وكانت النتيجة لائحة
تضمنت حل المشكل على طريقة تكفل له الحكم في سورية ، وفرنسة حتى
المساعدة ، ولبنان توسيع الحدود والامتيازات التي يطلبها .

تردد الامير ثم لجأ الى المساومة ، فطلب أ — ان يكون نصف المستشارين
افرنسيين والنصف الاخر من سوام . ٢ — ان لا يكون للمستشار الرأيه
الفاصل في الامور . ٣ — ان لا يكون في سورية ولبنان عسكر افرنسي .
وقبيل ان يكون العسكر الوطني تحت ادارة افرنسية . رفض المسيو كليمنصو
الشروط الثلاثة ، فجمع الامير من كان في معيته يومئذ واستشارهم في الامر
فارتأى فريق منهم وفيهم اثنان من المسيحيين ان يقبل لائحة الوزير . اما

الفريق الثاني وفيهم اثنان من المتطرفين ، الواحد طبيبه والثاني اديب من نابلس درس الحقوق في فرنسا ، فقد قاوموا فكرة القبول اشد المقاومة وكانوا من الفائزين ، فبرهنوا في فوزهم على ضعف في الامير كان يؤلم المعتدلين المتعقلين من انصاره ومريديه .

عاد الامير في اواخر كانون الاول الى سورية وهو يعلم ان الحكومة الانكليزية لا تخاصم فرنسا من اجله ، وان فرنسا لا تنازل عن سورية ^(١) مما كان من امرها في المفاوضات ، وان الحكومة الاميركية ^(٢) لا تتدخل بالرغم عن لجنة الاستفتاء في امور البلاد السياسية . فاية خطة كان ينبغي له اتخاذها ؟ هل في امكانه ان يغير سياسة انكلترة الدولية ؟ هل سيفي امكانه ان يجارب فرنسا اذا شئت الاستيلاء على المنطقة الشرقية ؟ اذا اجبت سلباً ، وهو اقرب الى الحقيقة ، على السوالين ، ارى بحكم الحال ان امام الامير سبيلين وفي كليهما شرف وحكمة ووطنية . فاما ان يكون قادراً على قيادة الشعب السوري فيقوده في جادة الاعتدال الى ما فيه المصلحة المشتركة بين الامتين الافرنسية والسورية ، واما ان لا يكون فيستعني ويعيد مقاليد القضية الى جلاله ايده .

وماذا كان بعد رجوعه المرة الثانية من باريس . هاكم الحوادث وهي اصدق رواة الاخبار . عندما وصل الامير الى بيروت خطب في الناس فاشار الى ما لا يزال بينه وبين فرنسا من الولاء ، فاعترضه بعدئذ ممثل الحكومة العربية فيها وانتقد اعتداله آخرون . وكان قد ذهب الى استقباله واستخباره وفد من الشيعة في جبل عامل فلم يكلمهم ملياً في بيروت بل امتصحب لهذه الغاية بعض علمائهم الى الشام . وقد عقد اجتماع في وادي الحجير فضرب احد المشايخ

(١) قد طالما قال وذرأؤها بريان ولايم ويشون ان مركز فرنسا في البحر المتوسط يتزعزع اذا تركت سورية . وان الاستيلاء السياسي على بلادها لا يبعد اذا كان لا يجرن بالاستيلاء الاقتصادي ، وان لفرنسا في سورية مصالح مادية وسياسية فوق حقوقها التقليدية .
(٢) قد قابل الامير فيصل في باريس المستر بولك المستشار القضائي يومئذ للنظارة الخارجية بواشنطن ، فلم يسه ولا عله بشي .

بختيار (استخار الله بالسبحة) على ذبح النصاري . وكان في الحولة حكومة يديرها
 زعماء العصابات ، والحكومة الافرنسية طالمة بها . اما العرب وهم اعداء فرنسة
 فاصبحوا اعداء من والاها ناهيك بمن تعصب لها من المسيحيين . وقد كان في من
 وولي الامر منهم ، في النادي العربي وفي لجنة الدفاع بالشام ، اناس لا يأمرون
 بالمنكر ولكنهم في سبيل السياسة لا ينهون عنه .

فكانت النتيجة ان في ٤ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ اي بعد وصول الامير
 فيصل بيضعة ايام ، أشعلت في مرجعيون ، باسم الوطن والسياسة ، نار الجهل
 والتعصب والفوضى . وكان العرب مشعلها والفرنسيين متفرحين عليها .

غير ان حادثة المطلة تقدمت المهجوم على الجديدة وكانت السبب القريب في
 نكبتها . وما حادثة المطلة ؟ قد كان الامير محمود الفاعور ، امير عرب الفضل ،
 خارجاً يومئذ على الحكومة ، فضرب بعض الجنود الافرنسية ، على اثر حادث
 عداء في الحولة ، دار الامير بالخصاص وهدموها . فثار عليهم العربان فبعثوا
 يطلبون النجدة من الجديدة . ولم يكن في تلك الناحية يومئذ ، مع علم الحكومة
 بما يهدد الامن وبما ينذر من العصابات بالويل ، غير الفين من الجنود في المطلة
 وخمسة في الجديدة .

طلبت المطلة النجدة من الجديدة فارسل القومندان اربعمئة وخمسين من
 رجاله فلم يبق لديه غير خمسين . ولم يكن عند الاهالي غير مئة وعشرين
 بندقية واليسير من الذخيرة . اما الذين هجموا على الجديدة في ليلة ذاك
 اليوم فلا يقل عددهم عن الاربعة الاف وفيهم العرب والدروز والمتاولة ،
 فاضرموا فيها النار واعملوا باهلها السيف والرصاص . حرقوا اربعين بيتاً ،
 وقتلوا اربعين نفساً ، ونهبوا من الامتعة ومن الرياش ما قدرت قيمته بمئة الف
 ليرة ذهباً .

ومن المسؤول ؟ قد تحقق ان ثلاثة من العرب كانوا يأخذون المال من
 الحكومة بدمشق باسم العساكر فيتصرفون بها ، ثم يأخذون من العصابات
 مائة مما ينهبون . وقد كان رجال العصابات العاملة يلزمون القرى في جبل

عامل القيام بنفقاتهم ، ويقدم رؤسائهم التقارير الى المؤتمر العربي بدمشق . أتبعني الحقيقة كلها ؟ هاكها باسم الله . قد اخبرني احد افاضل الجديدة انهم عاينوا بعض الجنود النظامية في من هجموا على المدينة .

ولكنني لم اطلعك على غير نصف الحقيقة في ما تقدم وهو نصفها كاملاً . وهاك النصف الاخر . ان الحكومة الافرنسية او القيادة الافرنسية العامة التي كانت مسؤولة عن الامن في البلاد كانت تستطيع لو شاءت ان ترد عن البلاد واهله هذه النكبات كلها . فكان قد جاء الجيرال غورو ومعه بعض القوات العسكرية التي استمرت تزداد لتحقيق مقاصد حكومته في المدن الاربع بالرغم عن اتفاق ١٥ ايلول .

فاذا القينا بعض التبعة على الحكومة العربية وآخذنا الامير لانه لم يسع ، واذا كانت قد سعى فلم يفلح ، في امثيلائه على تلك الحكومة وارشادها الى ما فيه الحكمة والسداد ، فاننا نلوم اولاً الفرنسيين الذين جاؤوا لحماية المسيحيين وما كانوا في البلاد الا بفضل المسيحيين . نلومهم لانهم وقفوا متفرجين وكان في امكانهم ان يخمّدوا النار .

والذي يثبت فوق كل اثبات ما اقول هو ان تلك الفظائع تكررت بعد حمة اشهر ، في ١٥ حزيران ، في عين ابل والقيامة والجديدة نفسها . ولم تكن الحكومة مستعدة لمقاومتها . طلب اهل الجديدة اسعافاً منها فلم تقدم بشيء . جاء احد خوارنة عين ابل الى الميو تاربتيه ، المستشار الافرنسي في لواء الجنوب ، يشكو العصابات ، وقد كان في صيدا قوة كافية لمطاردتهم والتنكيل بهم ، فكان الجواب منه ان دافعوا عن انفسكم . وجاء احد اهالي مرجعيون في حادثة الجديدة الثانية الى قومندان الموقع يطلب منه بعض الذخيرة ، وكان قد نفذ ما عنده وهو يدافع عن نفسه واهله ، فلما وصل الرجل الى دار الحكومة وجد القومندان في فناء الدار يلعب ارنياً . فطلب منه ذخيرة فابى . فقال الرجل : لا تدافعوا عنا ولا تعطونا سلاحاً و ذخيرة لندافع عن انفسنا ؟ فلم يكثر . ظل يلعب ارنيه . ثم نظر اليه بعين الاحتقار قائلاً : مات من الفرنسيين الوقا في الخنادق وانتم

تُشكون اذا مات منكم عشرة رجال -

وجاء - بعد خراب البصرة - الكولونل نياجر لينكل بالعصابات ففرض على اهل جبل عامل مئة وخمسين الف ليرة ذهباً ، وقوض الى حاكم صيدا العسكري ورجاله ، وفيهم ثلاثة من السوريين ، يجمعها ، فجمعوا ضعف المئة والخمسين الف ليرة بطرائق لا حاجة الان لتذكرها - وقال العارفون المدققون ان الجباة الماهرين جمعوا اربعمئة وخمسة وثمانين الف ليرة - فدفعوا تعويضاً لاهل الجديدة خمسين الف ليرة منها و٠٠٠ واطلقت الحكومة على تسارع من شوارع بيروت اسم الكولونل نياجر ! Le Colonel Nieger

الفصل التاسع

ملك سورية

فصل بين الاحزاب - ساعة الشدة وساعة الرخاء - مؤتمر يتوج وهو مؤتمر بصحح -
الحكومة الجديدة تباشر عملها بفلطنتين - الفكرة البنائية في الاضمام الى سورية -
جزع المحرب الاكيريكي - اتهام الوطنيين خيانة وطنهم - قرار مجلس
ادارة جبل لبنان - قصة الشرة الالاف ليرة - الحكومة تلتقي القضا على
اتضاء المجلس - اللامع النهائي من الجنرال فورو الى الملك فيصل - « ابتداء »
الفساد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية - ذنوب الحكومة العربية -
قرار المؤتمر السوري .

كان الشهر الاول من سنة ١٩٢٠ وبلا على المسيحيين وطاراً على الفرنسيين .
وكان الشهر الثاني من هذه السنة بداية الويل على العرب . هاجت حول الامير
فيصل الاحزاب ، وهدرت في الاسواق وفي المساجد شقشقة الخطباء ، وبدأت
في المؤتمر السوري قرون النعرات الدينية ، فاستندت خمس بعض الاعضاء وتغيظ
الآخرين ، وسمو الامير بصكافح تارة ، ويستسلم طوراً ، يردد كلمة الملك
الافرنسي^(١) ساعة الشدة ، ويعود اذا ما صفا الجرهنيية الى بطانته وزعمائه . حتى
استقر دور الاضطراب الاول ، او طلته فحنته افراح اليوم الثامن من شهر اذار ،
يوم انتخب المؤتمر السوري العام بصوت حي فيصلاً بن الحسين ملكاً دستورياً على
البلاد السورية .

حملت الانباء العرقية خبر التتويج الى العواصم الاوروبية والاميركية فجاء
من احداها ، من باريس ، من مؤتمر فرساي ، نبأ الفضب والغرور . مؤتمر
يتوج ومؤتمر يعترض ويحتج . بل يصدر الاوامر وهو يتوهم ان احكامه نافذة
في كل مكان . لماذا قلت التاج يا فيصل ؟ احضر حالاً الى هذا المجلس الاعلى
وافصح عن تذوذك وتذوذك الامة السورية . انها من مضحكات السياسة

(١) الملك لويس الرابع عشر الذي قال ، الملك انما انا الملك .

الاوروبية - هوذا امير عربي ، في بلاد عربية ، وقد انتخبه مؤتمر عربي ، فما دخل اوروبية او بالحري فرنسة وانكلترة بذلك ؟ ألا يجوز لامة شرقية ، عربية ، سورية ان تقيم ملكاً عليها دون ان تستأذن اثنين او ثلاثة من وزراء اوروبية ؟ وهم يهتمون العرب بانهم يهتمون بامور غيرهم اكثر من اهتمامهم بانفسهم . ولكن الملك فيصلاً لم يهتم بغير امره وامر بلاده فلم يلب دعوة مؤتمر الصلح المبجل . باشر جلالة الملك والمؤتمر السوري تأسيس حكومة جديدة ، وتأليف الوزارة ، وتنظيم الجيش . وكان من اعمال هذه الحكومة السورية عمل لم يسر انكلترة واخر زاد بتغيظ الفرنسيين . الاول هو اعلانها استقلال العراق عندما اعلن استقلال سورية ، والثاني هو منعها الفرنسيين من استخدام سكة الحديد الى حلب ، ورفضها التعامل بورق البنك السوري الذي اجازته حكومتهم في المنطقة الغربية .

اما الفكرة اللبنانية في الانضمام الى سورية ، فقد كانت الاحوال في المنطقة الغربية تزيدها قوة وانتشاراً . ثمر بعض عقلاء اللبنانيين وولوا وجوههم شطر الشام . فاعتزى الجزع الحزب الاكثريكي الافرنسي فراح كباره يسألون البطيريك الماروني ان يسافر ثانية الى باريس ليطالب الموسيو كليمنصو بما وعده به لجبل لبنان . واستمرت حكومة الجنرال غورو تقاوم كل من قال بالوحدة السورية ، فوصلت في منهبها الى ما كان من امرها واعضاء مجلس ادارة جبل لبنان . جاء في البلاغ النهائي من الجنرال غورو الى الملك فيصل ما يلي :

« واخر ما لجأت اليه حكومة دمشق من المآتي هو انها امتدت ببلغ قدره اثنتان واربعون الف ليرة القسم الاكبر من اعضاء مجلس ادارة لبنان فاوقفتهم محافرنا بتاريخ ١٠ تموز وهم على اهبة السفر الى دمشق ليبيعوا اوطانهم بيع السلع عابثين بالاماني التي اعرب عنها اهل وطنهم منذ زمن طويل بالتفاق يقرب من الاجماع » .

لست ممن استحسنوا الطريقة التي سلكها الاعضاء الى غايتهم الحميدة ، وكنت

ولا ازال اظن ان ممثل الامة الشرعي لا يخرج من بلاده كالمجرم سرّاً ، ولا يجبن فيموء رأبه اذا كان يعتقد الصحة فيه . ولكن هذه التهمة من اجنبي تنزع من الوطني ، مما كانت عقيدته السياسية ، سلاح النقد والتثريب . مثل لنفسك انكليزياً في باريس بتهم اعضاء الندوة الافرنسية بالخيانة أبقار الاجنبي على لبنان أكثر من غيرة ابنائه عليه ؟ عد الى القرار الذي اصدره مجلس الادارة تر الحقيقة التي يسمونها خيانة ، وتر العجب في من يطالع القرار كله ثم يقول ان اصحابه مسافرون الى دمشق « ليبعوا اوطانهم بيع السلع . »

ان اصدق وابنح جواب انما هو في ما اقله لك من ذلك القرار .

« قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصلاً لوفاق يضمن حقوق البلادين المتجاورين لبنان وسورية ومصالحها ودوام حسن الصلاة بينها في المستقبل ، وبعد البحث في هذا الشأن وجد انه من الممكن الوصول الى ذلك بقتضى البنود التالية :

١ - استقلال لبنان التام المطلق . ٢ - حياده السيامي بحيث لا يحارب ولا يحارب ويكون بمعزل عن كل تدخل حربي . ٣ - اعادة المسلوخ منه سابقاً بموجب اتفاق يتم بينه وبين حكومة سورية . ٤ - المسائل الاقتصادية بحري درسها وتقرر بواسطة لجنة من الطرفين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسورية . ٥ - يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود وضمانة احكامها . »

اما سفر اعضاء المجلس « فلأجل التمكن من العمل على ذلك بحرية ومعزل عن ضغط خارجي ، ولأجل السعي الناجح في المراجع الايجابية لتقرير احكام البنود الاربعة المتقدم بيانها » . ولم يكن قصدم السفر الى الشام بل الى اوروية واميركة عن طريق حيفا . هو ظاهر قصدم وحقيقته ، لا ريب عندي بذلك . ولكني ارى في الطريقة التي سلكوها وفي بعض المقاصد التي اخفوها او موهوا بها ما يؤخذون عليه .

الاسفار تقتضي النفقات ولم يكن في الخزينة اللبنانية ما يقوم بها . فجاء الامير

امين ارسلان ، صديق العرب والبنانيين الاحرار ، ليسى في ذا السبيل . قال سليمان كنعان ، احد اعضاء المجلس ، للامير امين : لا نستطيع ان نجتمع مالا كافيا للسفر . فقال الامير : انا اتكفل بذلك . وبعد قليل جاءهم بخمسة الاف ليرة وودعهم بخمسة الاف اخرى عندما يجتازون حدود لبنان . وها نحن في دور التمويه الذي افسد على الاعضاء عملهم . المال الذي جاء به الامير امين بمؤازرة نوري باشا السعيد هو من الملك فيصل لا من عارف النعماني . ولكن السند الذي كتبه سليمان كنعان بالقيمة كلها هو لاسر النعماني وبكفالة الامير امين . فحذا لو كان السند صادقا فيكون المال من احد تجار الامة الذي يشارك الاعضاء في عقيدتهم السياسية ويود نجاح مسعاهم . ولكن المال من الملك فيصل وهذه حجة الفرنسيين في الرشوة .

قال سليمان كنعان للامير امين : بشرط الانمر بالشام ولا تقابل الملك فيصلا . وكأني بالامير اللطيف الخاذق يقول : تأخذون ماله ولا « تملون » للسلام . فاتفقوا ان يسافروا الى حيفا ويرسلوا من قبلهم اثنين او ثلاثة الى الشام للسلام - والمفاوضة . ولكن التقادير حالت دون الاثنين فقد اوقفتهم السلطة الافرنسية قبل ان يجتازوا الحدود ، وعادت بهم مخفورين الى بيروت حيث حوكموا امام مجلس افرسي يرأسه ضابط اسمه ده فوكروسون^(١) فجرمتهم المحكمة ففتتهم الحكومة الى جزيرة ارواد ثم الى جزيرة كورسيكه .

بعد ان التي القبض على اعضاء مجلس الادارة باربعة ايام اي في ١٤ تموز سنة ١٩٢٠ ارسل الجنرال غورو بلاغه النهائي الى الملك فيصل ، ومطلعه هذه الكلمات :

« بينا كانت السكنة سائدة في سورية اثناء الاحتلال الانكليزي ابتداء الفساد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية ولا يزال آخذاً بازدياد منذ ذلك الوقت »^(٢) .

(١) M. de Veaucresson

(٢) اعتدت على الترجمة التي في كتاب دسركو لبنان السياسي . يوسف اصاف بك .

هي الحقيقة بعينها . ابتدأ الفساد يوم حلت جيوش الفرنسيين محل الجيوش الانكليزية . فقد كانت الجيوش الافرنسية اما عاجزة واما مهملّة . اما العجز فالجزم الذي ابدته هذه الجيوش بعد البلاغ النهائي ينفية كل النفي . واما الاهمال فقد يكون ناجماً عن قصد سيامي هو رغبتهم في الاستيلاء على المدن الاربع التي تعهدت فرنسا لانكثرة في اتفاق ١٥ ايلول من السنة الماضية الا تحتلها .

اما بلاغ الجنرال غورو فتقسم الاحتجاجات فيه الى خمسة اقسام . اولاً - « الاعمال الموجهة الى حكومة الاحتلال الافرنسية » وفيه ذكر الحوادث المفجعة التي كانت العصابات سببها وان حكومة دمشق قد قابلت القائمين بتنظيمها بالخفاوة والاكرام » ونخص بالذكر منهم صبحي بك يركات الذي اصبح عداوته لنا اشهر من نار على علم .^(١) ثانياً - « سياسة حكومة دمشق العدائية » وهي تنحصر على ما يظهر من البلاغ بتعيين رجال في الحكومة « معروفين بعدائهم لفرنسة » . ثالثاً - « التدابير الادارية ضد فرنسة » واهمها ما يتعلق برفض التداول بعملة البنك السوري . رابعاً - « الاعمال العدائية الموجهة لفرنسة رأساً » وفيه ذكر بعض الذين اُهينوا في المنطقة الشرقية لانهم اصدقاء فرنسة ، والذين احترموا لانهم اعداؤها ومنهم الدنادشة ، وكامل بك الاسعد ، ثم اعضاء مجلس ادارة لبنان . خامساً - « التعدييات على الحقوق الدولية » وفيه احتجاج على التجنيد الاجباري وعلى ملكية الامير « المقتصبه غير الناقجة عن ارادة الشعب الحرة » وعلى المؤتمر السوري الذي تألف وشكل بصورة غير مشروطة .

« ان هذه الاسباب ثبت جلياً انه اصبح من المستحيل الاعتماد على حكومة جاهرت بصراحة تامة بعدائها لفرنسة . . . وعليه فالت فرنسة ترى نفسها مضطرة ان تحتاط بالوسائل اللازمة لتأمين راحة جيوشها وراحة اهالي البلاد » . . . ولذلك هي تطلب الضمانات التي يلي ذكرها : اولاً - حق

(١) وقد عينوه بدمشق رئيساً للاتحاد السوري.

التصرف بسكة الحديد بين رباق وحلب - ثانياً - الغاء الخدمة العسكرية الاجبارية . ثالثاً - قبول الانتداب الافرنسي . رابعاً - التداول بالعمله السورية . خامساً - معاقبة المجرمين الذين ثبت عليهم أكثر من غيرهم مناجزة العداة للجنود الافرنسية .

وقد طلب الجنرال قبول هذه الشروط « بوجه اجمالي دون استثناء البتة في حملة اربعة ايام تتبدى في الساعة الاولى ليلاً من ١٥ تموز وتنتهي في الساعة الثانية عشر ليلاً في ١٨ منه . »

وصل البلاغ الى الشام في مساء اليوم التالي فاستدعى الملك للمشاورة عدداً من وجهاء المدينة من جميع الطوائف ، ففوضوا الامر اليه ليعمل بما فيه خير البلاد . ولكن المؤتمر السوري اصدر في جلسة قانونية القرار التالي :

« ان المؤتمر السوري الممثل للامة السورية في مناطقها الثلاث يعتبر قراره التاريخي بمواده الثلاث التي هي : اولاً - الاستقلال التام والوحدة ورفض الهجرة الصهيونية . ثانياً - ملكية جلالة الملك فيصل على الاساس التيايبي الدستوري . ثالثاً - بقاء المؤتمر منعقدآ يراقب اعمال الحكومة المسؤولة امامه الى ان يجتمع مجلس النواب بموجب القانون الاساسي ، قراراً واحداً لا يقبل التجزئة . وان تقض جزء منه يعتبره المؤتمر نقضاً للقرار بحذافيره . وان المؤتمر السوري لا يعترف باسم الامة السورية باية معاهدة مواتفاقية او يرتوكول يتعلق بمصير البلاد ما لم يصادق المؤتمر نفسه عليها . »

في هذا القرار وطنية شماء لا يزدريها من كان له وطن في العالم .

الفصل العاشر

مئة ميسلون

الحلاف بين الملك ووزير الحرية - الحكمة والاعتدال - التعس والفضيحة -
 التلثة بين الحكومة والامة - اعلان الحرب - قبول الشروط - وصول الجواب
 مؤخراً - السبب في التأخير - دعوى حكومة الانتداب - الحقيقة - الجيش
 الافرنسي يزحف على دمشق - الطريق التي اتخذها - قطع خط الرجعة -
 تسريح الجيش العربي - احتلال مجدل عنجر - دفاع البقية من اللواء الاول -
 الهدنة - الثورة في دمشق - معركة بين الجنود والاهلين - الملك يندم الناس
 للجهاد - يوسف المعظمه في ساحة القتال - وقعة ميسلون - الاستشهاد -
 دخول الجيوش الافرنسية دمشق .

كان يوسف المعظمه ، وهو صنو انور ومصطفى كمال في المدارس الحربية
 الالمانية ، شديد البأس شجاعاً باسلاً ، صريح الكلمة ، صادق اللهجة ، ذا
 وطنية اجيبتها من نار الشهداء . ولكنه في حماسه واندفاعه ، وهو وزير الحرية
 في الحكومة السورية ، اساء الى معقوله ونسي حقيقة الحال التي توجب الحكمة
 والاعتدال .

اما الملك فيصل فهو في سياسته ، وخصوصاً في المواقف الحرجة ، ينسى ان
 الحماسة روح الحقيقة ، وان الضحية نورها . فلورأى الواحد منها ما في الاخر
 ونزل الى قبول شيء منه في الساعة الخطيرة ، ساعة الجزم واليقين ، لما كانت تلك
 التلثة التي انقضت منها روح الفوضى فساعدت الصائل على الامة وذبحت فيها
 الحرية والامل .

كانت التلثة ، مهاقيل في حسن الصلات بين جلالة الملك والمؤتمر
 السوري ، وكالت الفوضى ، وكان الاستيلاء الاجنبي . ثبت المؤتمر سيفه قراره
 الاخير فاطن الحرب ، على اثر وصول البلاغ النهائي ، دفاعاً عن الوطن . وصدر
 الامر من نظارة الحرية بارسال الفرقة الاولى الى مجدل عنجر في منطقة ميسلون

لتكون هناك مستعدة للحرب .

ولكن اعيان الامة ورؤساءها الروحيين كانوا يميلون مثل الملك الى قبول الشروط ، فوكلوا الامر اليه ، فادرس جلالته في ١٦ تموز بريقة الى الجنرال غورو يقبل الشروط كلها ، واصدر امراً في تسريح الجيش وآخر الى الجنود في منطقة ميسلون لترجع الى الشام ، الا اللواء الرابع فيبقى محافظاً على الحدود . على ان البرقية لم تصل الى الجنرال الا بعد انتهاء المدة المعينة في البلاغ ، لان العصاة ، كما ادعت الحكومة ، كانوا قد قطعوا الاسلاك البرقية في جهات الزبالي .

هب انها الحقيقة ، فان القيادة العامة كانت عالة بما كان يجري في تلك الايام في دمشق . وقد طارت طيارة في ١٨ تموز فوق المدينة فألقت منشوراً من الجنرال غورو مطلعته ما يلي : « في هذه الساعة التي نقذفكم فيها حكومتكم الى القتال وتستهدف بلادكم لاخطار الحرب وويلاتها اوجه اليكم الخطاب لاقول لكم السبب الذي من اجله نقتلون . »

فاذا كان عالمًا بما اقره المؤتمر السوري افلا يكون عالمًا كذلك بما اقره جلالته الملك بالاتفاق مع وزرائه وفريق من اعيان المدينة ؟ أو ما كان جدير به ان يسأل في الاقل ضابط الارتباط الافرنسي في دمشق ليبحث عن السبب في تأخير الجواب ، وهو القائل في منشوره : « على اني ما زلت آملاً بان السوريين الاذكياء المتنورين سوف لا يرضون بان يلقوا بانفسهم الى التهلكة دفاعاً عن الاقلية الاثيمة . »

اذن هو عالم ان الاقلية ترفض شروطه والاكثرية تقبل بها ، وقد ارسلت الجواب الذي فيه فصل الخطاب . فلماذا فضل الجنرال العمل بظنه على العمل بيقينه ؟ فبعد ان ارسل البلاغ النهائي زحف جيشه وهو زهاء ستة الاف من الجنود السنغالية والمراكشية والجزائرية^(١) على الشام متخذاً غير الطريق المعروفة ،

(١) كان هذا الجيش مؤلفاً من بقية الاي الياذة ٤١٥ والاي الرماة الجزائريين الثاني والفرقة السنغالية والاي الرماة الافريقيين وطابور من الصابية المراكشيين والمدفعية السهلية والجبليّة تدعّمها الطيارات والدبابات .

طريق وادي الحرير ، فقطع سهل البقاع من جب جنين الى وادي القلوح ، فر
بقربة بكاء ، ثم بدير العشاير ، فاستصحب احد الرجال هناك دليلاً ، ودار من
دير العشاير الى الديماس فقطع خط الرجعة على العرب المعسكرين في منطقة
ميسلون ، ووقف هناك ليأمن مؤخره قبل ان يستأنف الزحف على دمشق .

وقد دل المسلك في زحف الجيش على استعدادده للقتال ورغبته فيه ، فشاء
عند وصوله الى الديماس ان يخرج الجنود العربية من مراكزها المحصنة ليضربها في
الفلاة ويحتل تلك الاماكن . لذلك يادر الى احتلال مجدل عنجر عندما انسحبت
الجنود العربية منها ، واخذت تتراجع بدون نظام الى دمشق بيد ان اللواء الرابع
ظل محافظاً هناك بموجب الامر الذي اصدهه الملك ، فتصدى للدفاع عندما
تقدمت الجنود الافرنسية ، فأسقط في يده وأمر برمته .

اما ناظر الحربية يوسف العظمة فكان قد اصدر امراً الى الجنود المسرحة
يناقض امر جلالة الملك ، فاوقف قائد اللواء الاول حسن الجندي ، عملاً بذلك
الامر ، عدداً من جنوده يتراوح بين الثلاثمئة والاربعمئة وعاد بهم الى ساحة
القتال . قلة صغيرة وقفت وقوف الابطال في وجه الفئة الكبيرة فخسبت القيادة
الافرنسية ان تكون القوات العربية التي انسحبت من مجدل عنجر متحصنة في
جهات خان ميسلون ، وان تكون هذه الشرذمة طليعة جيش كبير من العرب .
فرغبت الى الملك فيصل بهدنة مدتها ثمانية واربعون ساعة تنتهي في الساعة الاخيرة
من ٢٣ تموز . فكانت الهدنة وجاء اثناءها مندوب الحكومة العربية مصحوباً
بالمعتمد الافرنسي بالشام للمفاوضة مع الحكومة الافرنسية بعاليه .

اعود بالقارىء الى المسرح في دمشق حيث التلمة بين الحكومة والامة
كانت تزداد خطراً واتساعاً . فلما انتشر خبر الامر بتسريح الجيش نهض جمهور
من الدمشقيين محتجون ، بل نهضوا للثورة في سبيل الاستقلال ، وبادروا الى
الثكنة والقلمة يطلبون الذخيرة والسلاح . فاصدرت الحكومة امراً بتشتيتهم .
وكان قد وصل الى دمشق بعض الجنود المسرحين العائدين من ميسلون ،
فازدادت نار الثورة تأججاً ، وكانت الفوضى تنفخ فيها على الدوام ، فقام بعض

الزجاج يصيحون مع الثائرين ويسلبون وينهبون . جاءت كتيبة من الجنود لتنفيذ الامر بقتلت هذه الجموع الهائلة فنشب بين الفريقين القتال ووقع مئات من القتلى تحت نيران المدافع الرشاشة .

وكان يوسف العظمة لا يزال مصراً على رأيه وعزمه . اما الملك فيصل فبعد التردد والتحير ، نهض يوم الجمعة يشد حقيبته ويستل السيف باسم الله . وقف يومئذ في الجامع الاموي خطيباً وطلق يدعو الناس للجهاد ، ويعدم بانه سيكون في طليعة الجيش .

ولكن وزير الحربية الباسل سبقه الى الجهاد والاستشهاد فخرج باربعمئة جندي ومئتين من المجاندة ، يصحبهم ويتبعهم جيش من الاهالي والعربان يتراوح عدده بين الاربعة والخمسة الاف . جاء يتجد تلك البقية المستبسة من اللواء الاول . ولكنه وهو وزير الحربية كان يعلم ان الذخيرة والمعدات لديه لا تكفي لمعركة واحدة خطيرة ، ففضل الشهادة على الحكمة والموت في سبيل الوطن على الحياة في ذله .

اتخذ العظمة عقبة الطين جبهة للدفاع ونشبت في ٢٥ تموز نار الحرب بين الجيشين في واقعة دامية استمرت ست ساعات ، واستخدمت فيها الجنود الافرنية الطيارات والديابات . هي واقعة ميسلون المعروفة التي اضعفت القوات العربية وبدأت في صفوفهم دلائل التفكك والنهقر .

وظل يوسف العظمة في مقدمة رجاله يحثهم على القتال ، فاصيب برصاصة في فخذه ، واخرى في كتفه ، وظل يعرض ويقاوم حتى اصابته الثالثة في رأسه فهوى الى الارض صريعاً . رحم الله كل من مات بطلاً في سبيل الحرية والاستقلال .

في اليوم التالي دخلت الجنود الافرنية دمشق وكان قد زادها الملك فيصل ومعه بعض من لا يزالون من حاشيته في بغداد .

الفصل الحادي عشر

الثورة في العراق

شهر الحرية شهر شوّم على طلاب الحرية - ثورة ولا زعامة ظاهرة - خسارة العراقيين والانكليز - فساد الاخلاق في اوروبة - روح التمرد في الشرق - حكومة هندية في العراق - ضعف السيادة المعنوية - تأجيج الفتنة - المشائر والمفاتيح - السرايمير هالداين - المعامل الانكليزية - سوري مقتدر حكيم - السرا آرلند ولسون - في سياسته سوط ونكته - السرا برسي سكوكس - في سياسته كثير من الزيت - بلاغ المشدوب السامي - حكومة وطنية - السيد عبد الرحمن النقيب الجيلاني - اعضاء المجلس الوطني - اعمال المجلس - السيد طالب النقيب - العراق يطلب ملكاً - السيد طالب يلبي الطلب .

ان الشهر الذي استقرت فيه السيادة الافرنسية في سورية لشهر شوّم على السيادة الانكليزية في العراق . فقد اختار الافرنسيس تموز ، شهر الحرية ، ليقارموا شعباً مجاهداً في طلب حريته ففازوا . وقد حاول العراقيون في هذا الشهر ان يخرجوا الانكليز من العراق فلم يفلحوا . وكانت الثورة قد اشتعلت وتأججت في انحاء العراق كلها ، من النجف الى بعقوبة ، ومن المنتفق الى الموصل وبلاد الاكراد .

جاءت الكلمة من العلماء ، وفي مقدمتهم كبير المجتهدين في النجف ، فقامت العشائر ترددها وتعمل بها ، فارسلت روح التمرد في البلاد محمومها ، فالتهمت الاخضر واليابس في المضارب وفي المدن ، وعمد الوكلاء السياسيون لبريطانية العظمى الى البرق والتلفون يطلبون النجيدات من البصرة ومن العاصمة . انه لا عجب ما حدث في العراق بعد الاحتلال الانكليزي . هوذا بلد لا صحافة فيه تذكر ، ولا طرق مواصلات حديثة صالحة ، ولا زعامة ظاهرة ولا قيادة ، تعمه الثورة فتربط اطرافه بعضها ببعض في اقل من شهر ، ثم تستمر اشهرآ وهي تزداد قوة وهولاً . حتى ان العاصمة بغداد كادت تسقط في حوزة الثائرين .

قد اتفقت الحكومة البريطانية ملايين من الليرات وفادت بالوف من الجنود لاجمادها ، وكانت خسارة العراق كذلك كثيرة فادحة . هي ثورة شبيهة بزوال هائل ، لا بمحادث اجتماعي شاذ بديره مع ذلك العقل والحكمة ، فلم يكن فيها شيء من الخير لا لأهل العراق ولا للحكومة المحتلة .

بيد انها نيهت الانكليز الى حال في البلاد العربية بل في الشرق جديدة ، وذكرتهم بحال في اوروبة هي بنت الحرب العظمى وام الانهطاط المعنوي ، تلك الحال العامة وقد كادوا يفسونها . ان لكل عمل رجلان ولكل رجل يوماً ، ولكل يوم سياسة . قد كان الانكليز السبب الاول في ثورة العراق في صيف ١٩٢٠ لانهم نقلوا الى البلاد حكومة هندية قديمة عقيمة ، هندية في طريقتها ، هندية في سياستها ، هندية في رجالها . والهنود يجملتهم لا يحبون العرب ولا يحترمونهم ، والعكس بالعكس . وقد كان رئيس الحكومة في هذه الفترة رجلاً من الطراز الاول من ابناء بريطانيا الاشداء الذين شادوا في الماضي معالم مجدها . غير انه وجد في زمان غير زمان اجداده ، وبين شعب غيرت نفسيته وعقليته . حوادث الايام .

السرا آر نلد ولسون (١) الحاكم بالوكالة يومئذ في العراق هو كهل في العقد الرابع من العمر ، ومن الانكليز الذين كانوا يحملون السوط في القرن الماضي ويحكون بموجب ضميرهم خير انكثرة اولاً ثم لخير الناس . وكانوا في نفوقهم محسنين ، وفي ظلمهم عادلين ، فوثهم في يقينهم ، ويقينهم في اخلاقهم ، واخلاقهم متأصلة في فضائل شعب مجيدة ، اظهرها الشرف والعدل والصدق والثبات . بيد ان هذه الفضائل امست اليوم من التقاليد المحترمة . وقد بعيد الزمان الى التقاليد الحياة والعمل .

قام السرا آر نلد ولسون يمثل في العراق امة افقدها الحرب كما افقدت امم اوروبة جمعاء كثيراً من قواها المعنوية الروحية ، فصارت تفادي بعدلها في سبيل شرفها ، او تنزل عن شيء من شرفها لتحفظ مقاسها ، او لتساهل بالصدق لتظل

ثابتة القدم مسموعة الكلمة ، او ثقلب وثقلون دفاعاً عن نفسها وكيانها . رجل من حديد يمثل امة من فولاذ اعتراه الصدا ، قام في العراق بحكم باسم الله و بريطانية العظمى ، فوجد شعباً ظنه كشعوب الهند في القرن الماضي يقبل دائماً بالتأديب ويشكر دائماً المؤدب .

قلت ان الحرب اقدت الامم الاوروبية كثيراً من قواها المعنوية ، الاديبة والروحية ، ولم تكسب الشعوب العربية بل الشرفية غير حب الحرية والاستقلال ونزعة في سبيلهما لا تماثلها شدة حتى النزعات الدينية . ولصكن الحروب والثورات ، اذا كسرت قيود الظلم ، لا تعلم المظلومين النزاهة والحكمة والعدل ، ثم العمل المدني الذي فيه هذه الفضائل الثلاث . فقد الانكليزي من قواه المعنوية ما كانت تقدر في الاحكام بنصف نفوذه ، ولم يبق في العربي بل الشرقي من الخوف والاحترام ما كان يقوم مقام النصف الآخر . كانت بريطانيا العظمى تحم ثلاثمئة مليون من الناس بثلاثين الفاً من الجنود . هي حال وأت ايامها . فقد ارسلت سبعين الفاً من جنودها الى العراق ، وسكانه لا يتجاوزون الثلاثة ملايين ، ولم تستطع ان تخمد الثورة في اقل من سبعة اشهر .

السبب بسيط . ان كلمة الحاكم العادل المستبد تستوجب في تنفيذها ، اذا كان لا يحترمها الناس ، قوة الشرطة او قوة الجيش . فكيف بها اذا كان الناس ينفرون منها ويقاومونها . زرع السر آرنلد ولسون ، اثناء قيامه مقام المندوب السامي ، بذور الفتنة ، وهو متيقن انها بذور الحكمة والخير ، وشاركه في الزرع وفي الحصاد رجل آخر من رجال الحكم الانكليزي هو السر آلمير هالداين ^(١) قائد الجيوش البريطانية يومئذ في العراق . ويظهر ان السر آلمير كان احرص على صحته وراحته من السر آرنلد . فقد اعتاد في الهند ان ينتقل مع الحكومة في كل فصل من فصول البرد والحر ، فجاء العراق في آخر الشتاء ، وما كاد يدخل الربيع الذي هو النصف الاول من صيف هذا القطر

حتى احس بحجم حمله على التجوال في جبال العجم . ثم نقل مركز القيادة العامة الى تلك الجبال بين ان البلاد كانت تسمخض بالثورة . اصف الى ذلك ما كان يحدث بينه وبين وكيله المندوب السامي والوكلاء السياسيين من الخلاف الذي زاد في خلل الادارة وفي امتداد الفتنة . حتى ان السر آرلند بعث ذات يوم يشكوه الى الحكومة بلندن فبعثت بوقية من الوزارة الحربية تسأل القائد العام ماذا يعمل في جبال العجم . اجل ، ماذا يعمل في الجبال ونيران الفتنة تشتعل في السهول ؟ .

اما الغاية من هذه الثورة فقد انحصرت كما يظهر بأمرين ، اخراج الانكليز وعلان الاستقلال . على ان نهضة يديرها او يوعز بها او يدعو لها المجتهدون لا تخلو من نزعة دينية تتخلل دعوتها السياسية . فقد كان المجتهدون في النجف وبعض الزعماء مثل يوسف السويدي وجعفر ابي التمن يعملوا مرأ في اثاره الفتنة . اما العشائر فقد كانوا مستعدين — وهم دائماً مستعدون لتلبية اي دعوة تخلصهم من دفع الضرائب الباهظة التي تفرضها الحكومة عليهم وتحاول تحصيلها بالطرق الفعالة ، القانونية وغير القانونية . فما همم شيء ولا عرفوا بشيء من مقاصد الزعماء المحتجين الخفية .

وقد كانت للعشائر قوة في الدفاع والقتال عجزت دونها الجنود البريطانية . ان ارض العراق كما هو معلوم مسطحة بسيطة يكاد لا يكون فيها ملجأ يلجأ اليه المقاتلون في الغارات او مكن يكتنون فيه فبني العشائر لهذه الغاية المقاتيل . والمفتول هو برج صغير مستدير ، علوه من خمسين الى سبعين قدماً ، فيه درج خالبا لولبي يتصل بغرفة في رأسه فيها كوى كبيرة من الداخل صغيرة من الخارج يرصد منها العدو ويطلق منها النار . وهي تختلف حجماً فيمكن ان يحاصر فيها من الخمسة الى العشرين رجلاً عدة ايام . قد رأيت منها . في اليمن وفي نجد ولكنها قليلة هناك .

اما العراق فقد كان فيه الوف من المقاتيل عند دخول الانكليز . بل كان في بعض الجهات لكل بيت او في الاقل لكل حي مفتول . المقاتيل ! انما هي

الويل الاكبر على الجنود الانكليزية ، وهم في الفلوات معرضون دائماً لنارها ولا كنف يحميهم منها . فلا عجب اذا عدت حصن العراقي المنيع ، والسلاح الوحيد الذي يحشاه العدو . ولا عجب اذا كان العدو في الزحف والهجوم يسمى اولاً في هدمها ، ثم يبنى في السهول ما يقوم مقامها لجنوده وهو المعقل او ما يسمونه بالانكليزية Block House وليس هناك ما يحول دون ذلك . فالمعقل مربع بسيط له اربع نوافذ عالية وليس له باب ، وفي الداخل مواقف للجنود تمكنهم من الرصد واطلاق النار . قد بنى الانكليز الوقفاً من هذه المعقل ، وفي الطريق من البصرة الى بغداد كثير منها ، ليس بين الواحد والاخر اكثر من مسافة ميل واحد .

اما هدم المقاتيل فيستلزم قوة وشجاعة واستيسال . وقد بذل الانكليز فوق ذلك كثيراً من المال . فكانوا يتقدمون الى شيخ القرية او شيخ القبيلة بشرك او بمعرفة او يرش من الرصاص او المال ، فيضغطون عليه او يستغوثونه او يرشونه او يغدرون به — والحرب خدعة . اجل ، قد بذل الانكليز كثيراً من المال ومن الرجال في هدم المقاتيل . ولم تكن الطائرات التي حملوا بها على العشائر لتساعد كثيراً ، الا اذا كانت المقاتيل داخل القرية التي يضرّبونها ، فيهدمونها ويحرقون فيها ليهدموا تلك الحصون الصغيرة الخيفة او ليروعوا اهلها المتحردين . لا اظن ان في مظالم الحكم مظلمة توردت العراقيين بغض الانكليز ونشر عليهم ثائرة الاحقاد مثل الطائرات ، ذاك السلاح الطائش الاعشى الذي يقتل النساء والاطفال والابرياء مع المذنبين .

وعلى الرغم من الطائرات قد حاصر الثائرون كثيرين من الضباط والوكلاء السياسيين وهم في مراكزهم يدافعون عنها الى ان تبيتهم التبعة او يقتلون . وقد كان اكثر الموظفين من الجندي فلم يحسنوا الادارة خصوصاً في بلاد اجنبية ، ولم يكن بينهم وبين اهلها شيء من العطف . فضلاً عن الخلل في الادارة العسكرية التي كانت قيادتها العامة معتصمة في جبال العجم . فلا عجب اذا استمرت الثورة سبعة اشهر ، والعرب فيها فائزون بالرغم من المعقل المشيدة والمقاتيل المهذومة .

وعلى ذكر المقاتيل اذكر سورياً سعى في هدم مئات منها وكان من المفلحين .
فقد كان في خدمة الانكليز الادارية بعض السوريين من المقتدرين المخلصين ، كما
جاء في تقرير المتدوب السامي الى دائرة المستعمرات . « وقد كان احد سورياً
المقتدرين المخلصين عوناً كبيراً لنا في هذا الموقف الحرج » ولكن كاتب التقرير لم
يذكر اسم ذلك السوري . هو الجندي المجهول . فما اني عملاً بالواجب الانساني
لا الوطني اذكر اسم من يستحق ضعف هذا الثناء . هو سوري من حيفا كان
نائب متصرف البصرة يوم كنت هناك ، فخدم الحكومة العراقية الانكليزية في
ايامها الاولى العسبية خدمات جليلة في وظائف شتى ، وحاز جزاء خدمته في التجف
خصوصاً نيشان الدولة الهندية .

كان جاد غاوي معاون الوكيل السياسي في الشامية (١) وكانت المقاتيل في
تلك الايام كما قلت امتد اعداء الجيوش البريطانية وامضى سلاح بيد العراقيين .
فتمكن جاد غاوي في الشامية من حمل العرب على هدم مقاتيلهم ولم يبذل من
اسباب النجاح غير اللطف والمعروف وقوة الاقناع . داراهم وهو سيء دارهم ،
فاكتسب تقديراً وحباً مشايخهم ، فهدموا من حصونهم ما يتجاوز الالفين منها ،
وكانوا بعد ذلك من اصدقاء الحكومة والانكليز . قد لا يذكر اسم جاد غاوي
في التقارير الرسمية ، ولكنني سمعته حيثما مرت في العراق وما سمعته مقروناً بغير
كلمات الحب والتكريم .

امسا السر آرند ولسون ، فلا يزال في العراق من الانكليز لا من العرب ،
من يعجب به بالرغم من هذه الثورة ، ويستحسن خطته السياسية . ولا غرو ،
فهو على نزقه وتسرعه وعنفوانه حر الطبع ، صريح الكلمة ، طلق الجبسا . وهو
حنطي اللون ، اسود الشعر والعين ، كما به ايطالي او اسباني . وله شيء مما كان
لروزفلت من المغناطيس في المصافحة والحديث . قد كان الرئيس الاميركي
الشهير يضرب بيده على كتف من يجيبه عند المصافحة ، فاصبحت من عاداته

(١) هو قضاء الشامية من متصرفية الحلة وعدد سكانه نحو خمسة وستون الف نفس كلهم
شيعة ومن العشائر .

المحبوبة . اما السر آرند فلا يضرب بيده بل بلسانه او باتساره من اشارات النفس التي تظهر في اللحظ او الابتسام او في نبرات الكلام . قد اجتمعت به في البصرة بعد ان رجع من انكاثرة ليرأس شركة الغاز الانكليزية الفارسية في عبادان . فسلم كأنه من المعارف . وعندما تبادلنا السلام تبادلنا كلمة بخصوص السر برسي كوكس . وكان قد علم السر آرند بانني انتظره لرافقه في السفر الى العقير فقال على الفور : ستنظر طويلاً . قلت : اذا كان لا يصل في هذا الاسبوع اسافر وحدي . فقال : حسناً تفعل . هي الطريقة الوحيدة في النجاح فخطر في بالي اذ ذاك ما قاله الشاعر العربي فترجمته له :

وانما رحل الدنيا وواحدنا من لا يعمل في الدنيا على رجل
فقال السر آرند على الفور : عند العرب الشعر ولا ريب ، وليس عندم العمل .

هوذا الرجل الذي كانت سياسته في العراق من العوامل الاولى في ثورة سنة ١٩٢٠ . ولا اظنه اذا ذكرت مرة يحس بشيء من الندم ، لانه كان ولا يزال يعتقد ان القوة في الحكم بالرغم عن التعنيف خير من اللين والنفوسى . اما الرجل الذي جاء في تشرين الاول من هذه السنة ليطنى ما تبقى تحت الرماد من جمرات الثورة ، ويؤسس حكومة وطنية لاهل العراق « وفقاً لرغائب جلالة الملك » فهو تقيض السر آرند على خط مستقيم .

السر برسي كوكس^(١) رجل طويل القامة ، نحيل الجسم ، بيضي شكل الوجه ، دقيق الانف والشفة ، ابيض الادم ، ازرق العين . هو انكليزي لا غش فيه . ظاهره ، وهو في سكون ، ينبىء عن نفس راقية ولكنها ليست بشفاقة .

(١) دخل السر برسي كوكس في سلك الحكومة الهندية سنة ١٨٩٠ ، وعين بعد ثلاث سنين نائب قنصل زيلا في بلاد الصومال ، وانتقل في السنة التالية الى برره ، ثم عين سنة ١٨٩٩ قنصلاً في مسقط ، ثم قنصلاً عاماً في ابى شهر . وفي سنة ١٩٠٩ أسند اليه منصب المندوب السامي في خليج العجم . وعندما شنت نار الحرب العظمى اشتد لان يكون رئيس الحكام السياسيين لفرقة D من الحملة الهندية لفتح العراق . ثم ذهب مع الحرب الى بلاد ايران بصفة وكيل للوزير البريطاني في طهران ، وعاد منها مندوباً سامياً للحكومة البريطانية العظمى في العراق .

وإذا كان من اضطراب هناك فقلما يبدو للنظر . في لطفه ما يدفى . ولا يشع ، وفي صراحته شيء . يشير غالباً الى التعمد . هو من السياسيين الذين يحتفظون بسرهم ، وان كان لا يهم ، كأنه رأس مالم في الحياة . وإذا كشف عن زاوية منه فيعد ان تكون الحوادث قد كشفت عنه الستار كله .

ان سكوت السر برمى هو غالباً افصح من نطقه . وان عمله السياسي ، وان وقف فيه احياناً عند حد الغموض او العجز ، لا يخلو من الاخلاص للعراقيين وللعرب . فاذا حصرت النظر في سياسته العربية ارى ان أكبر فضله واطهر حسناته هو هذا الاخلاص ، ولو ظهر في بعض الاحاطين في مظهر مائع او في مظهر مؤلم . فقد قضى مدة من حياته قريباً من العرب ولا يزال يحبهم ويمجب بمواهبهم الراقدة ، ويود ان تكون المنافع في العلائق الانكليزية العربية مشتركةً فيها على السواء بين الامتين .

كنت اتحدث وأحد رجال السياسة المعتدلين ، غير العرب ، وكان السر برمى ونقط العراق موضوعنا فقال جليسي : ان في سياسته كثيراً من الزيت . هي استعارة غريبة علمية ، وفيها خلا الاشارة الى زيت العراق مغزى لطيف . فالآلة الميكانيكية اذا كثر زيتها يحف صوتها وتتم في احتكاك اجزائها . ونكتها ثقف احياناً من الاحثقان في مفاصلها فيعتريها الخلل . وكثيراً ما وقفت الآلة السياسية في دار الانتداب ، وكان رئيس المهندسين ، بل رئيسهم المس بل ، تذكر في البلاغات بعض اسباب الخلل ، ولا تشير مرة الى كثرة الزيت والاحثقان .

مهما قيل في السر برمى فان وجوده في العراق ، في ما يعد من اهم ازمته العراق السياسية بعد الحرب ، كان خير ضمير لكرامة انكثرة ومصاحتها ، وخير صلة بينها وبين هذا القطر الناهض من الاقطار العربية . فقد حدث في عهده من الحوادث ما ستكون باذن الله وبهمة العراقيين اول صفحة مجيدة في تاريخ العراق الجديد .

عند وصول السر برمى في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ انتهى الحكم العسكري

رسمياً . ولكن سرّازم من الثورة كانت لا تزال خارجة في اماكن مختلفة فصول المندوب السامي بأكورة اعماله اليها . فسلمت كربلا ، وهي قطب الفتنة ، في ١٣ تشرين الاول ثم أنجحت الحامية في الكوفة ، فسلمت على اثر ذلك النجف ، وأذنت عشائر الشامية والديوانية لاوامر الحكومة ، فكان عدد ما جمع من السلاح في هذه النواحي خمس وستين الف بندقية .

اما في لواء ديالى ، حيث كانت الثورة في اشد حالها ، فقد استمر الاضطراب وما تخلله من الحوادث المؤلمة الى اواخر سنة ١٩٢١ عندما عقدت المعاهدة بين الحكومة ورؤساء العشائر هناك . وظل في الشمال في نواحي الموصل نفوذ الاتراك ينخر كالسوس في عظم السيادة العربية الانكليزية .

عندما باشر المندوب السامي اعماله السلمية اصدر بلاغاً الى العشائر خصوصاً والى اهل العراق عموماً يعلمهم فيه بانه انتدب ليسانع في تحقيق اماني الامة بواسطة زعمائها ، وليؤسس بمؤازرتهم حكومة وطنية . على ان ذلك يستحيل قبل ان يستتب في البلاد الامن والنظام . ولما توقفت حكومة الانتداب الى ايجاد شيء من ذلك اصدر بلاغاً آخر يعلم الامة بتأسيس حكومة مؤقتة الى ان يجتمع المجلس النيابي العام في ١٧ حزيران من سنة ١٩٢٠ ، وان هذه الحكومة المؤقتة تتألف من مجلس وطني يحكم تحت مشاركة المندوب السامي في كل الامور ما سوى الامور الخارجية والعسكرية .

ان اصدار مثل هذا البلاغ لمن ابسط الامور واسهلها ، ولكن تأسيس حكومة مؤقتة ، تحوز ثقة البلاد وتكون مرنة بيد المندوب السامي ، هو من الامور التي يكثر فيها العقد ولا تحلو من النفائات .

لا ريب ان بيت النقيب ، وعلى رأسه الشيخ الجليل السيد عبد الرحمن الجليلي ، هو مسوع الكلمة ، محترم الجانب في بغداد بل في العراق . ولكنه في السياسة ، كما هو في الدين ، يؤثر التقاليد على البدع ، ولا يرفع على الاعتدال حسنة من حسنات الوطنية . وقد تغلب في اعتداله المحافظة التي يعقم عندها الرأي ولتقلص عوامل التجدد . الا ان ذلك لا يهيم النفائات في العقد اللواتي

تمثلين المس بل .

- ان فضيلة النقيب صديقنا ، صديق انكلترا ، وهو ثابت في صداقته .
وان له نفوذاً سياسياً مقروناً بنفوذ ديني لا يضاهيه نفوذ في البلاد . اذ ان هو
صديق الامة وصديق الانكليز - هو الزعيم . سأعود الى فضيلة النقيب ومجلسه
وسياسته في فصل آخر .

قبل متردداً رئاسة المجلس الوطني الذي كان من اعضائه الاخصائي المالي
الشهير في العراق ساسون افندي حزقييل ، والسياسي الداهية السيد طالب النقيب ،
نقيب البصرة ، والعالم الفقيه مصطفى افندي الالومي ، والوجيه الفاضل عبد
اللطيف باشا المنديل . كلهم من اصحاب التجلة والكرامة ، وليس فيهم من
حارب في الحرب العظمى وكان من الشبيبة الوطنية التي تنعكس في آمالها
واقوالها ، وفي بعض اعمالها ، جمال النهضة العربية ، وحقيقتها العالية ، الا جعفر
باشا العسكري .

اجتمع المجلس لأول مرة في ١٠ تشرين الثاني واستمر سبعة ايام الى يوم
تتويج الامير فيصل ملكاً على العراق . وقد كان من اعماله العفو عن بعض المنفيين
من اتركوا في التوراة ، ومساعدة الضباط العرب الذين خدموا في الحكومة
السورية الفيصلية ليرجعوا الى العراق ، وتنظيم حكومة مدنية يديرها موظفون
وطنيون تحمل محل الحكومة العسكرية التي كان يديرها الوكلاء السياسيون
الانكليز . ثم باشر المجلس درس اشياء جيش عراقي ودرس قانون الانتخابات
التركي وتصحيحه ليطابق احوال البلاد الجديدة .

وكان قد تولى هذا الامر ناظر الداخلية طالب باشا النقيب . غير ان
الانتخابات والمطامع الملكية قلما تلتئم خصوصاً اذا كانت امر الاثنين منوطاً
بمرجل واحد . بدأت الامة تطالب بتنفيذ قرار ١٧ حزيران الذي اصدرته
الحكومة العسكرية واجازته الحكومة الوطنية الموقرة . بدأت تطالب بانتخاب
المجلس النيابي العام .

وكان الامير فيصل قد سافر الى اوروبه ووصل الى انكلترا ، وكانت

الحكومة الانكليزية تفكر في ملكية العراق وفي نكبة الامير . اما في العراق فكان
 قسداً ولي بعض الناس وجوههم شطر الكعبة يستمدون من ظلها المياريك الوحي في
 تشييد ملكهم الجديد . فتساع في البلاد امر الملك حسين واولاده ، وبعت بعض
 اولئك العراقيين يرغبون اليه بان ينفذ احدهم ليتبوا العرش الجديد .

ازعج الخبير وزير الداخلية الذي فكر ملياً في الامر فراء متشعباً كثير
 الاخطار . ان للشريف اربعة انجال وفي كل واحد منهم الخير والبركة . ولكن
 الامة العراقية تأبي التفضيل ، وقد نسي . الاختيار ، فتقسم على نفسها فيتزاحم
 ويتهالك الانجال الاشراف في سبيل مصالحها وليس في مثل هذه الحال
 خير للعراق .

لذلك شرع السيد طالب يطوف في البلاد ليم اصلاحاً خاصاً في قانون
 الانتخابات ، كانت المادة الاولى فيه ، تلك التي تولى بنفسه نشرها وتعميمها ،
 ان لا تنتخبوا شريفاً اجنبياً ملكاً عليكم . ويحكم . هوذا السيد طالب وهو منسل
 انجال الشريف من الاشراف . فهو يتكفل لكم بمن يملأ كرسي العرش ولا يكون
 التاج على رأسه كبيراً او صغيراً . بيد ان المستر تشرشل ، وزير المستعمرات
 الانكليزية ، وهو يومئذ « طنط سارح » مثل السيد طالب ، كان يسعى في
 غير هذا السبيل .

الفصل الثاني عشر

فليحي الملك

ثلاثة يهتمون والتاج واحد - السيد طالب يخطب - المستر تشرشل يدبر -
الامير فيصل ينتظر - مؤتمر القاهرة - رجوع السر برسي حكوكس الى
بغداد - السيد طالب يهدد دار الاثواب - الخواتين يدونه للشاي - الجنود
تصله على بساط الريح . . - المندوب الدامي يصدر بلاغاً - الامير فيصل
يزور والده بمكة - السفر الى العراق - الوصول الى البصرة - الاستقناة
والمبايعه - التتويج - فليحي ملك العراق - ملكان يتماهدان - الامة
والصحافة تهللان .

ثلاثة في هذه الحوادث التاريخية عظمت همومهم فبلغت الحد الفاصل
بين النكسة والنعمة . ثلاثة يماثلون الشعب الذي اصبح ويده التاج والصولجان
يهيها من يشاء ، ويحطمها اذا شاء . ثلاثة يهتمون والتاج واحد . اما المستر
تشرشل فقد كان همه الاول ان يخفف الضرائب عن الشعب البريطاني ليحفظ
السيادة له ولحزبه في الحكومة فيضمن للملك سلامة التاج وثاني الثلاثة الامير
فيصل الذي فقد تاجه في سورية وراح يطالب الحكومة التي اعتادت - وفي كل
عادة شيء من اللذة - ان تضارب خارج بلادها بالتيجان . والثالث سيد من سادات
البصرة ، فيه شيء من الاسد وشيء من الثعلب ، رأى الامة ويدها تاج تبغي
صاحبه فجاء يخبرها بان صاحبه النقيب سيد البلاد الاكبر . اما اذا احببتم ان
ينوب عنه السيد طالب ، وهو نقيب ابن نقيب مثله ، فلا بأس . وراح يطوف
بلاد كما جاء في الفصل السابق ليتحقق رغبة الامة .

وجاء المستر تشرشل الى فلسطين ثم ام القاهرة ليدرس الحالة السياسية
في الشرق الادنى فيدعم بشيء من الاصلاح سياسة الاحرار في الحكومة .
هذا ظاهر الغرض من تلك السياحة ، ومن المؤتمر الذي عقد في القاهرة .
دعا المستر تشرشل رؤوس الحكومات الانكليزية في بعض الاقطار العربية

تلمفاوضة فجاء من العراق المندوب السامي بصحبه بعض المستشارين والمس بل
ووزير المالية ساسون افندي وجعفر باشا وزير الدفاع .

وجاء الى القاهرة في ذاك الشهر ايضاً اي الشهر الثاني من سنة ١٩٢١ الامير
فيصل وحاشيته - متزهين . فصفا الجو في العراق للسيد طالب ثم اكفر كما
سيجي . الكلام . والسبب في ذلك ، مها قيل في التقارير الرسمية ، انما هو
مؤتمر القاهرة . - قد اجتمعنا ايها السادة لننظر في طريقة صالحة تمسكنا من
تخفيض القوات الانكليزية المسلحة في الشرق الادنى دون ان يلحق شي . من
الضرر بالسيادة الانكليزية . ثم للنظر في تأسيس دائرة خصوصية للشرق الادنى
في وزارة المستعمرات لتوحيد السياسة والعمل . وبكلمة اخرى ، بكلمة
وجيزة صريحة ، يجب ان يخفض نفقات حكومات الانتداب لترفع عن مناكب
الشعب البريطاني اثقال الضرائب . واننا نرى ان تنظموا في العراق جيشاً من
الوطنيين فنتمكن من سحب جنودنا من تلك البلاد قد اجتمعنا ايها
السادة ملك العراق ؟ نعم . نعم وكان الامير فيصل وحاشيته قد
امثوا القاهرة كما قلت ترويحاً للنفس .

عاد وفد العراق الى بغداد فاصدر المندوب السامي بلاغاً في ١٢ نيسان قال
فيه ان ما قرره مؤتمر القاهرة يجب ان يعرض على الحكومة بلندن قبل ان يعلن .
وكان السيد طالب قد امعن في التطواف والخطابة ، وتوسع في سياسة الانتخابات
والتاج ، فازعج فريقاً من الامة وخصوصاً فضيلة النقيب الذي كان يدرك من
غوامض الامور ، وهو الصوفي الكامل ، ما تعجز دونه روحية طالب باشا وعقلية
امثاله . اغمض النقيب الاكبر عينيه ونظر الى ما وراء حجاب الغيب ، فرأى
هناك وزيراً من كبار الوزراء وخاتوناً من كبيرات الحوائن ، دع النفاتان في
العقد ، فسمع الاول يقول والثانية تترجم : لا ترغب حكومتني لعرش العراق بتغير
واحد من بيت الحسين بن علي .

ولكن السيد طالب لا يسمع ولا يروعوي . ففي مأدبة ادبها لبعض الصحافيين
الانكليز ، وحضرها عدد من الوجهاء الوطنيين ورؤساء العشائر ، وقف بمس دان

داهت الكؤوس خطيباً ، وكان في جهره عجيباً . - انت في دار الانتداب من لا نصيهم لانهم يتدخلون في شؤون الامة التي لها الحق ، ولها وحدها ، ان تؤمر او تملك عليها من تشاء . وقد صرحت حكومة الانتداب بانها ستحترم ارادة الشعب العراقي . ونحن نعترمها اذا فعلت . اما اذا اخلت فها هنا عليها - ونظر اذ ذاك الى رؤساء العشائر - عشرون الف بندقية .

كلمة شديدة صريحة سافت الى جو السياسة الغيوم والضباب فقامت اخواتين تبدها . دعت اللادي كوكس السيد طالباً للشاي وكانت المس بل هناك تمثل على الدوام النقائات في العقده ، فسُحر النقيب ابن النقيب ، وخرج من القصر مسحوراً ، فاستقبله عند الباب بعض الجنود ، فدفعوه الى سيارة كانت طيارة . حملوه على ساط الريج دون ان يدري بذلك احد من الانس ، ولم يقفوا به حتى امسوا خارج العراق . ثم صدر منشور المندوب السامي وفيه الاسباب التي حملته على نفي صاحب المعالي السيد طالب باشا النقيب .

وظل الامير فيصل سائحاً في جو صفا اديمه وتلا لآت من ورائه طلائع الغيب ، فوصل الى الحجاز في اوائل حزيران ، يوم التي المستر تشرشل خطاباً في مجلس النواب يختص بالعراق ، وركب الهجين من جده الى مكة ليقوم هناك بالواجب البنوي . تباركت الاقدار التي تديرها سياسة بريطانيا العظمى . فقد أنست الابن غضب ابيه ثم استيقظت في صدر صاحب الجلالة الرحمة والرضوان ، فجاءت منه برقية تقول ان ابنه فيصلاً قد سافر الى العراق .

وبعد عشرة ايام اشرفت شمس الامير سيف في خليج فارس فجاءت النقيب برقية ثانية تقول انه سيصل الى البصرة في ٢٤ حزيران . وما ضل البخار ولا غوى . وصلت الباخرة في الوقت المضروب فاستقبل من نقل استقبالاتاً رسمياً جميلاً في البصرة بالرغم عما كانت فيها من عوامل الريب والتردد بشأن من جاء يجلس على عرش العراق . بيد ان الامير في محضره وحديثه وخطبه هو اكبر حجة لنفسه على المترددين من الناس . وقبل ان أم بغداد زار

المشهد^(١) والحضرة^(٢) فاستمال اليه القلب الجمعري الخفي . ثم في ١١ تموز اجتمع مجلس الوزراء برئاسة النقيب وقرر ان يكون الامير فيصل ملك العراق بشرط ان تكون الحكومة دستورية ديمقراطية نيابية . فاضاف المندوب السامي انه بموجب نصريجات حكومة جلالة الملك بان يكون للامة العراقية حق انتخاب من تشاء ملكاً عليها ، فلا يعمل بهذا القرار قبل ان يثبتته الشعب العراقي . وشرعت الحكومة في الاستفتاء او الانتخاب او المبايعة ، فكانت النتيجة واحدة . ان انتخابات هذا الزمان الديمقراطية ، خصوصاً في الشرق ، لاضحك من اضاحيك السياسة . على انه بالرغم من مساعي الضباط الانكليز السياسيين الذين تولوا امر الانتخاب قد اشترط كثيرون من المنتخبين بان تكون حكومة الملك حكومة مستقلة عن اية سيادة اجنبية كانت . اي انهم رفضوا الانتداب .

وكانت حفلة التتويج في ٢٣ آب سنة ١٩٢١ ، فوقف السريسي كوكس يعلن امام الجماهير المحتشدة ان الامة العراقية اجتمعت بسة وتسعين من اصواتها على مبايعة الامير فيصل ، وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تعترف به ملكاً على العراق . فالتى جلالة الملك خطاباً جاء فيه : ان اول عمل اقوم به هو مباشرة الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي .

وبعد انتهاء الحفلة قدم المندوب السامي للملك بريقة من الملك جورج الخامس فيها الكلام المألوف في التهنتة ثم ما يلي : « وان المعاهدة التي ستعقد قريباً بيننا فتتبت التحالف الذي تحالفناه في ايام الحرب المظلمة ستمكني ولا ريب من القيام بواجباتي المقدسة لادخال العراق في عهد جديد من السلم والنجاح . » فاجابه الملك فيصل بعد كلام التكر المألوف بما يلي : « لا اشك بان المعاهدة التي ستعقد قريباً بيننا ستمكّن عرى التحالف الذي قدمه في ساحة الحرب العظمى دم الانكليز والعرب وانها ستقام على اساس متين . »

اما الشعب والزعماء والصحافيون فلم يدركوا ، وهم في نوبة من الحماس

(١) قبر الامام علي في النجف .

(٢) قبر الحسين في كربلاء .

والابتهاج شديدة ، أهمية هاتين البرقيتين . لم يدركوا ان الملكين عقدا يومئذ
عقدة استحال في السنة التالية حلها فكانت السبب في ما شوه الاحكام الاسمية
والابتدائية من الحلل والاضطراب . غمس الصحافيون يومئذ افلام الفصاحة في
محابر البيان ، وامتاروا من البلاغة اجنحة طاروا بها في سماء الاماني الوطنية
والاحلام .

— وفي هذا اليوم شخصت انظار الامة الى مليكها تستعيد ذكر المنصور
والرشيد والمأمون . وفي هذا اليوم تستمد الامة من ماضي مجد العباسيين نوراً
تسير فيه الى اعالي مجدها الجديد . وفي هذا اليوم تؤسس حكومة عربية حرة
دستورية نيابية ديمقراطية مستقلة كل الاستقلال . وفي هذا اليوم — سقط منذ
سنة ملك سورية ، فليحيى اليوم ملك العراق .

بعد سنة اخرى ، في عيد الجلوس الاول ، رددت الصحافة آيات البلاغة
الذهبية ، وحلقت في سماء الامل المسجدية ، فبرهنت على ضعف في ذاكرتها او
في سمعها . في مثل هذا اليوم منذ سنة وقف المندوب السامي يعلن للشعب باسم
جلالة الملك استقلال العراق وانتخاب الامير فيصل ملكاً على العراق . وفي مثل
هذا اليوم ابرق الملك جورج الخامس الى الملك فيصل يهنئه والشعب العراقي
ويذكره بالمعاهدة . فلم يكن لا في كلام المندوب ولا في برقية الملك كلمة عن
الاستقلال التام .

امر تساهلت به الحكومة قبل التتويج وامر تساهلت به الامة يوم التتويج
وبعد ، هاهنا رأس الخطل والخلل . فقد اشترط المبايعون في بيعتهم رفض
الانتداب فلم يأبه لذلك دار الانتداب . هم المشترطون ونحن الحاكمون . وقد
تعاهد المليك على عقد معاهدة في القريب العاجل فلم تدرك ذلك الامة ، او انها
ادركت ولم تكثرث . دع الملوك ينعاهدون . اما الحكم اليوم فللشعب . هوذا
الاساس الواهي في الملك الجديد . هوذا رأس الخطل والخلل .

الفصل الثالث عشر

المعاهدة

العجز في الحكومة عجزان — الضرائب — الامة حائرة — الانكليز قاطلون —
 اعترافهم بالخطأ — معاهدة تثبت الاستقلال وتنفي — لا صراحة ولا ثقة ولا يقين —
 الاستقلال مجانياً — لا حرية ولا اتحاد — الوزارة الجديدة — المعاهدة — بعض
 بنود النص الاول والنص الثاني — حكومة اميركة تصحج — البند الحادي عشر
 ينتفع اكراماً لها — خلاصة المعاهدة — توقيعها — المعتجون في بيت النقيب —
 سقوط الوزارة — وزارة السعدون — عبد اللطيف باشا المنديل — المعاهدة
 وملحقاتها في الوزارات التالية — المعاهدة في المجلس التأسيسي — سياسة الضغط
 والارهاب — امضاء المعاهدة — ولا تزال الامة تشكو وتصحج .

باشرت الحكومة الجديدة اعمالها بما اشترت اليه من العجز المعنوي . هو عجز
 لان التصريح التام في مثل تلك الاحوال ، بل التحديد الاكيد الذي
 اقتضته تلك الحوادث الخطيرة ، كان مفقوداً . فلا الملك العربي قيّد وعده
 للملك الانكليزي بالشرط اللازم ، ولا الامة التي بايعت الملك اصرت على
 الحكومة في البداية بقبول شرط ال « لا انتداب » . ولا حكومة الانتداب
 صرحت برفضها شرط الامة في المبايعه . هذا هو العجز المعنوي الذي قلّ من
 سلم من نتائجه الخبيثة .

وقد كان في ميزانية الحكومة عجز مالي لا يقل عن المليون ليرة انكليزية
 فسُدّ بقرار من مؤتمر القاهرة — أُدخل في ميزانية حكومة انكلترة —
 تمهيداً للمهد العراقي الجديد . بيد ان ذلك القرار اوجب على الحكومة
 العراقية ان تخصص في ميزانيتها الجديدة ثلاثمئة وخمسين الف ليرة للجيش
 العراقي . فكان ذلك عجزاً آخر . لانه تعسر جمع الضرائب من امة كانت
 تائرة وظلت ناقمة معاندة . هما عجزان كانت الثورة السبب الاكبر فيهما ،
 تلك الثورة التي اتلفت في الزرع والضرع ما اثر في الضرائب تأتيراً شديداً

وفك من عرى الامن والنظام ما اضعف الحكومة الى حد لم يكن لها فيه سيادة تحترم . على ان الامة في جبوت الثورة فقدت الثقة بنفسها وصارت في جرائنها ، في جسارتها ، اقرب الى التهويل منها الى العمل . وما يصح فيها من هذا القبيل يصح في حكومة الانتداب وفي الموظفين الانكليز عامة . الا ان طريقة هؤلاء ، وهم يظهرون من الضعف قوة ، كانت اضمن للستر والكرامة . قد يكون الفرق بين الاثنين فرقا طبيعيا لا خلقيا . وقد يكون غير ذلك . ان امرهما امر اثنين تصارعا وتغالبا وكانا في النهاية مغلوبين على السواء في ما اصابهما من الم وهك وقنوط . بيد ان آلام الواحد كانت ظاهرة ، وآلام الآخر خفية . ومع ذلك فقد ابت على الكاظم الخفاء . ما كملت انكليزيا في تلك الايام ، ايام العجز الادبي والمالي ، الا وكان ، بالرغم عن التجلد والشدة والثبات المشهور هذا الشعب يها ، متألما من الحالة حتى اليأس . - « عندنا من المتوظفين من يظنون انفسهم اكبر من كراسيهم فلا يجلسون الجلس فيها . وعندنا آخرون هم كاللاوتاد المستديرة في الاثقاب المربعة متزعزعون متقلقلون » . وقال آخر : « عساكر وضباط في وظائف ادارية ومراكزهم الطبيعي انما هو في الجيش » . وآخر - بارك الله بمن عرف خطاه واعترف به - : « حكومة لندن تربط ايدينا وحكومة العراق تزدرينا . . . النية حسنة وان كانت الاغلاط كثيرة . . . نحن في حاجة الى العراق والعراق في حاجة الينا . ولا خير لنا وللعراقيين بغير المصلحة المشتركة والاكرام المتبادل » .

على انهم ، وهم ينطقون بالحق ويعترفون باغلاطهم ، يرتكبون الخطأ الاكبر في معاهدة تكفل الاستقلال للعراق وتنقض في بعض موادها ذلك الاستقلال . وقد يكون الحق في جانبهم في ما ينقض ، من الوجهة المالية في الاقل ، لا في ما يثبت الاستقلال . ولكنهم لم يصرحوا بذلك . نعطيكم كذا وكذا ، فتمطونا كذا وكذا ، والاستقلال الحقيقي انما هو القيسام بالعهود . لم يكن في العراق لامن المعتدلين ولا من المتطرفين من يقول هذا القول . طلبوا الاستقلال مجانا ، وهذا لا يكون . ولكن الانكليز سكتوا فظن في سكوتهم

المقبول - ثم جاءوا بالمعاهدة لتقاضاهم ثمن الاستقلال فرفض العراقيون الدفع .
وجاءوا بالمعاهدة قبل ان يجتمع المجلس التأسيسي الموعود به في قرارات سابقة
أثبتت رسمياً في حفلة التتويج .

ان المرء ليعجب من حكومة عاقلة راقية مثل حكومة انكلترة اذ تقدم على
عمل في غير بلادها لا حكمة ولا سياسة ولا عدل الا في عكسه . هم يطلبون
المعاهدة اولاً ، ثم يشترطون في القانون الاساسي ان لا يكون مخالفاً لموادها ، ثم
يأذنون بانتخاب مجلس نيابي ليجيزها . والمثل الذي يعيب هذا المسلك مثل
انكليزي . على ان العربية جرت الحصان في العراق ا فهل تستطيع ان تجره الى
حيث تنتهي وظيفته للمضحكة ؟

ثبت الانكليزي في ظلمهم وفازوا . فهل يثبت الفوز المبني على الغلط
يا ترى ؟ (١)

اعود الى حيث انعطفت بالقارى ، لاطلع على القسم السوري من تاريخ
جلالة الملك ، فاقف به ثانية عند حادثة القصر في تاريخ الحكومة العراقية
الجديدة . اعود به الى تلك الايام التي لم يكن في العراق لا حكومة تذكر ولا
انتداب ، لا كل قصة المعاهدة المشهورة . من العام الاول بعد التتويج وما رأي
الناس فرقاً كبيراً بين سياسة الحكومة الحاضرة وسياسة الحكومة الاحتلالية
الغابرة . فلم تضع الامة ثقها التامة بوزارة النقيب الثانية ولا وضعت الاحزاب
المقاومة ، وعلى رأسها الشيعة ، ثقها التامة بجلالة الملك .

وكان دار الانتداب بين فريق يعرج ووجهته النقيب ، وفريق آخر مثله
ووجهته القصر ، يحاول الانتفاع بالحالتين ليصل الى الغاية المنشودة . والغاية عقد
المعاهدة . الا ان هذا التمهيد في المعاهدة ياغامة المندوب ، وفيه نص صريح
على الانتداب ، لا تقبل به الامة ولا يمكننا من العمل واياكم بما فيه خير البلادين .

(١) وهذا قد مرت خمس سنوات على تلك المعاهدة ولا تزال الحكومتان البريطانية
والعراقية تتفاوضان في امرها . لا يزال فيها ما يجب اصلاحه او تحريره او التناؤه . معاهدة
ولدت قبل المجلس النيابي والدستور الاساسي اوتوبها - ولدت باعجوبة . فهل تحبها
باعجوبة يا ترى ؟

اجلها ، قد كان حتى النقيب من المحتجين .
استمرت المفاوضات بين بغداد ولندن بخصوص ذلك التمهيد وبعض بنود
في المعاهدة هي من بابه . وقد كانت دار الانتداب شديد اللهجة على الوزارة
الخارجية . - قد خفضنا كثيراً نفقات الحكومة يا مستر تشرشل ، اسقطنا
أكثر من ثلثها ، فاصبحنا ولا قوة لدينا ننفذ اوامر الحكومة وتجميع الضرائب .
وكل تخفيض في النفقات في بلدان الشرق ، كما لا يخفى على تفاهتكم ، يلزمه او
يقعه ضعف في الحكومة . ومع ذلك مشيناً واياكم بما تأمرون - والحرب مهل
في الخارطة يا مستر تشرشل . انتم تبغون عقد المعاهدة ولا تراعون واقعة الحال .
ليس من الممكن ان تنازلوا عن الانتداب - او عن النص عليه في الاقل ؟

سمع المستر تشرشل شكوى دار الانتداب ببغداد ، فنقضت المعاهدة ،
وألغى ذلك التمهيد المشؤوم ، وأضيف الى المادة الاولى جملة احتياطية بخصوص
السيادة الوطنية ، وأبدل في المادة الثالثة الشرط الايجابي بشرط سلبي ، ثم في
المادة الحادية عشرة اضيفت جملة احتياطية طويلة لا اكراًماً للعراقيين ولا
للانكليز ، بل ارضاء لحكومة ولايات اميركة المتحدة . (١)

(١) المادة ١١ في النص الثاني النهائي ، يجب ان لا يكون ميزة ما في العراق للرحابا
البريطانيين او تبرهم من رعايا الدول الاجنبية الاخرى على رعاية اية دولة هي عضو في
جمعية الامم ، او رعاية اية دولة مما قد وافق جلالة الملك بريطانيا بموجب معاهدة على ان
يضمن لها عين الحقوق التي قد تنتم بها فيما او كانت من ضمن اعضاء جمعية الامم في الامور
المتعلقة بالضرائب والتجارة الخ .

وهذه الجملة الاحتياطية التي اضيفت ايضا الى المادة ١٤ التي تختص بالاتار القديمة قصة
لا تخلو من لذة ، هاكها بالايجاز ، من المعلوم ان اميركة لم تدخل في جمعية الامم . ومن
المعلوم كذلك انها كانت قد اتفقت مع انكلترة وفرنسة على استثمار زيت العراق . على ان
هناك ما لا يعلم غير بعض الاختصاصيين والسياسيين وهو ان شركة اميركة ارسلت مهندسين
من قبلها في شتاء سنة ١٩٢٢ الى العراق ليتصرفوا الحفائق العلفية والاقتصادية بخصوص
الزيت فلم يمكنهم التدوب السامي من ذلك . وكانت المساعدة يومئذ هم الاكبر . فاقبل
الخبر بحكومة واشتغلون التي احتجت على عمل التدوب السامي ، وبعد المفاوضات بينها وبين
حكومة لندن ادخلت الجملة الاحتياطية على البندين الحادي عشر والرابع عشر من المعاهدة .
فيظهر ان اميركة لا يهبها من العراق الا ما كان مدفوناً في اراضيها من الاتار ، ومن
منابع الدولار .

اما المعاهدة نفسها فيمكن تلخيصها بعشرين كلمة - وهي ان حكومة انكلترة تمد الحكومة العراقية بالمال والسلاح وبالمساعدات الادارية والتقنية بشرط ان تقبل نصائحها واوامرها في كل ما يتعلق بذلك - في هذا شيء من الاستقلال ، فيه يستقل العراق عن دول الارض كلها ما سوى دولة بريطانيا العظمى ، ولكي يدرك القارىء ما هو اعتمادها على هذه الدولة اتوسع بما تقدم من خلاصة المعاهدة فاقطف ما يلي من اهم بنودها .

ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يتعهد بان يقدم ما يقتضي من المشورة والمساعدة الى دولة العراق (المادة الاولى) وان يقدم من الامداد والمساعدات الى قوات العراق المسلحة ما يتفق عليه من وقت الى آخر (المادة السابعة) وان يسعى بادخال العراق في عضوية جمعية الامم باقرب ما يمكن (المادة السادسة) ويتعهد جلالة ملك العراق في مقابلة ذلك بان لا يعين في الحكومة العراقية من الموظفين الاجانب غير الانكليز (المادة الثانية) وان يقبل المشورة التي يقدمها ملك بريطانيا بواسطة المندوب السامي في جميع الشؤون المهمة وخصوصاً الشؤون المالية (المادة الرابعة) وكذلك الخطة التي يشير بها في الامور العدلية لتأمين مصالح الاجانب (المادة التاسعة) وان ينظم قانوناً اساسياً لا يخالف في مواده هذه المعاهدة ليعرض على المجلس التأسيسي للتصديق .

وقد اتفق المتعاهدان بان تضمن المساواة بين رعايا بريطانيا العظمى ورعايا الدول الداخلة في جمعية الامم في الامور المتعلقة بالضرائب او التجارة او الملاحة او ممارسة الصنائع والمهن الخ (المادة الحادية عشرة) وان تكون مدة المعاهدة عشرين سنة .

في اليوم العاشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٢ م و ١٩ صفر ١٣٤١ هـ اجتمع في باب السيد عبدالرحمن تقيب اشرف بغداد ورئيس الوزارة في الحكومة العراقية جمهور من الناس ضاجين مشاغبين وهم ببغون محاطبة الوزير ، فحمل احد الحجاب خبرهم الى سيده فاذن لهم بالدخول . كان قد وقع المعاهدة صباح ذلك اليوم فدخلوا يحتجون عليها وعليه . فسألهم قائلاً : باسم من تحتجون ؟

فاجابوا باسم البلاد . فاحتدم فضيلته غيظاً وانتهرهم قائلاً : ومن انتم لتحتجوا باسم البلاد ؟ هودوا الى بيوتكم واشغالكم . انا صاحب البلاد . تخرجوا احتراماً ساكتين ، وما كانوا مقتنعين ولا راضين .

ثم نشرت الجرائد صورة المعاهدة مصدرة ببلاغ من صاحب الجلالة الى الشعب العراقي يقول فيه ان قد اعترض سير المفاوضات مصاعب حمة « ولكننا تمكنا من التغلب عليها والوصول الى هذا الحل المرضي . . . وهي خطوة واسعة في سبيل تحقيق اماننا الوطنية . . . فقد اعترفت بريطانيا العظمى باستقلالنا السياسي واحترام سيادتنا القومية » ثم يدعو الناس لمؤازرته ولا تتخاذ الخطوة الثانية وهي مباشرة انتخاب المجلس التأسيسي ووضع القانون الاساسي للامة . فقرأ الناس البلاغ الملكي والمعاهدة وما كانوا مقتنعين ولا راضين . وقرأها اشباع الحكومة ساكتين احتراماً وآسفين .

بعد شهر من يوم التوقيع سقطت وزارة النقيب . كنت يومئذ في العقير وكان عبد اللطيف باشا المتديل ^(١) عندي في الحيمة عند ما استلم برقية من عبد المحسن بك السعدون في بغداد يخبره فيها بان جلالته الملك قد عهد اليه بتأليف وزارة جديدة ويسأله ان يكون وزير الاوقاف فيها . وفي ذلك اليوم نفسه علمت من السر برمسي كوكس السبب في سقوط الوزارة فخرت لما علمت . اجتمعت الصداقة بالسياسة مرة في قديم الزمان فقالت الواحدة للاخري : وكان

(١) عبد اللطيف س ابراهيم المتديل هو من عشيرة الدواسر ويمت نسبه الى عمر بن الخطاب . ضمن احد اجداده الى جلال في نجد ومنها منذ تسعين سنة جاء والد عبد اللطيف باشا العراق فأسس محلات تجارية في البصرة وآخر مدائن في عباي ، وآخر في بغداد . وقد سلك عبد اللطيف مسلك والده في التجارة والزراعة فزاد ثروته واملاكه . وهو سر الكلمة سديد الرأي ، يخلص الود لآل سعود وخصوصاً للسلطان عبد العزيز ، ويخلص العمل لوطنه الثاني العراق . فقد اشغف في زمن الحرب عصواً في مجلس الاشراف في البصرة ، ثم اسندت اليه وزارة التجارة في الحكومة العراقية الموقته ، وبعد التوقيع تشكلت الوزارة برئاسة النقيب ايضاً واسندت اليه وزارة التجارة مرة ثانية . ثم جاء الى الحسا يزور السلطان عبد العزيز الذي شاء ان يقاومته في بعض الشؤون . وعندما كنا في العقير جاءه من عبد المحسن بك السعدون برقية يسأله فيها ان يرأس وزارة الاوقاف فقبل عبد اللطيف باشا واستمر في هذا المنصب سنة ، ثم انتخب في ٢٥ شباط سنة ١٩٢٤ عضواً عن البصرة للمجلس التأسيسي .

سلامه علي * وداعاً .

وبعد سنة وثلاثة اشهر من يوم التوقيع اجتمع المجلس التأسيسي في بغداد وكانت الامة لا تزال مقاومة لتلك المعاهدة ، مناوئة لأنصارها القليلين ، فرفض المجلس انفاذها . ثم انتقلت الوزارة الانكليزية الى حزب العمال ولم تتغير في سياستها الخارجية . باصدر المستر مكدونالد بلاغاً رسمياً اعلن عزمه على احالة المعاهدة الى عصبة الامم اذا لم تُقبل بمذافيرها في ١١ حزيران . وكانت معضلة الموصل يومئذ قيد البحث بين مندوبي انكلترا وتركيا في الاستانة فاتخذتها الحكومة الانكليزية سلاحاً اخر تروّض به الامة العراقية . اتبغى الزيادة من هذه القصة المحزنة ؟

دعي المجلس التأسيسي لعقد جلسة فوق العادة ، بعد ان ارفض في ١١ حزيران دون ان يبرم المعاهدة ، فلم يحضر الجلسة غير تسعة وستين عضواً من مئة وعشرة اعضاء . فاقترحوا على المعاهدة فكان معارضة ثلاثون وضدها اربعة وعشرون . اما التسعة الباقون فرفضوا الاشتراك في الاقتراح .

هذي هي نتيجة ذلك المسلك السيامي الذي رأينا العرب فيه تبحر الحصان . بل هذي هي النتيجة لتلك الحطة السياسية التي بدأ صاحبها بالسقف قبل ان يهتم ياساس البيت . فقد قبلت دولة بريطانيا العظمى معاهدة ابرمتها اقلية صغيرة في المجلس التأسيسي العراقي ، ولا تصرف في قبولها لانه يخالف تلك القاعدة الاساسية للحكم الدستوري المحترم في بلادها .

الفصل الرابع عشر

اصحاب المعالي

سكرتير الوزارة يخلصني من فندق بغداد — خليلي ومضيقني — السيد عبد الرحمن النقيب — تاريخ العالم منذ سقوط حواء الى سقوط الاتراك — اهل العراق — المشائق والكرسي الكهربائي — «لسنا سياسيين» — قصة الفيلسوف واللعن — الاميركي العالم بكل شيء — اقراس النخل والزراعة — اولاد النقيب الشيوخ والصبيان — وفد من الصينيان — اراؤهم الثورية — اقيم في بيت القداسة والطهر — الولي قيديروس — مولانا عبد القادر الجيلاني — مائدة سيدي النقيب — المجتهدون والوطنيون — الفرق في حب الذات عند الانكليز وعند سواهم .

النادي العراقي — الطاولة الخضراء — اختصاصي في لعب الـ « بريدج » عربي لا تحس فيه — الشكوت المزوم — ترجمة عبد المحسن بك السعدون — وزارته واعمالها — نفي زعماء الشيعة — مطالبهم — رسالة من معالي الوزير .
الوزارة الجعفرية — جعفر باشا لا يكتب اسمه — الجيش العراقي — وزير لا يهه المنطق — درهم جدارة خير من قنطار مقامات — الوزير التليد — الحجة والصغور — رايه في الانكليز .

الوزير الكتيب — شجا في خلق الانكليز — فيلذوف في الاحزان — على مائدة المسبل — لجنة تدقيق المعاهدة — مطالبها — وزارة ياسين باشا و ترجمته — الوزير الثابت في الوزارات العراقية — ترجمة ساسون افندي .

والوزيرة الوحيدة جرزود بل — رأي احدي النساء فيها — رأي احد المستشارين — انكليزية عربية — القاعدة والتضيق — حالة العرب وعمتهم .

قد كان من حظي في بغداد اني لم اضطر ان اقيم دائماً في فندق من فنادقها الفخمة ، فأروض الجسم في احدي غرفها منذ اليوم للقبر ، واكل تحت الارض في السرايب من الماء كمل التي لا يعرف لها تاريخ ، ولا قومية . والفضل في خلاصي لتاب اديب كريم ، له جذوع وفروع في تاريخ الدين والدنيا تحير علماء الانساب والآثار ، ولا ثقيه مع ذلك من النار . فهو فارسي الاصل ، انكليزي التربية ، شيعي المذهب ، درويني العقيدة ، نبوي السليقة قديماً وحديثاً . اقول قديماً .

وحدثنا ، واليك البيان : هو في الاول سيد من السادة الذين يتصل نسبهم عن طريق الحسين بفاطمة الزهراء ، وهو في الثاني غصن صغير يابس من شجرة النبوة الحديثة التي زرعتها « الباب » في بلاد المعجم في القرن الماضي ، ثم نقلها « البهاء » الى حيفا ، فاستثمرها « عبد البهاء » خال صديقي ونقل من ثمارها الى اوروبه واميركة . وهو مع ذلك وفوق ذلك استاذ في علم الاقتصاد السياسي .

عرفته يوم وصولي الى العاصمة . جاء به الكسباني امين يقول : هذا الحسين بن الحسين وعنده من كل فن خبر . كان من الواجب ان يسموه فتوناً ولكنهم اساءوا واختيار الجمع فسموه افنان - حسين افنان ، سكرتير مجلس الوزراء والصلة المرنة المفيدة بين الوزارة والعرش ودار الانتداب . فقلت : سبحان الله الذي جمع مساويء الثلاثة في شخص واحد . فقال الكسباني : وقد اضاف اليها مساويء اخرى . فضحك افنان فانارت الضحكة وجهه القمري - المستدير كالقمر . وعندما سمعني اشكو من الفندق فخامة فيه ، وفي ما آكله واغانيه ، قال : غداً ان شاء الله نريحك منها . وكان قد استأجر بيتاً له وللكسباني فاعد لي فيه غرفة لا تهجرها الشمس في النهار ، ولا الهواء ولا الغبار . هي بغداد . وما فيها غير فصلين في السنة فصل الغبار وفصل الوحل . وصلت اليها في الفصل الاول ، ثم سافرت الى نجد وعدت اليها في الفصل الثاني كي لا يفوتني شيء من محاسنها

رفيقي ، خليبي ، ولا اخاطبكما شعراً . قد تحسنان وقد تسيثان في وظيفتكما ، قد تكونان في ما تكتبان وترجمان ، وتسعيان وتجززان ، خيراً للانتداب يوماً وشرراً على الامة ، او خيراً صافياً للثنتين في بعض الاحابين . اما في صفتكما البرمكية في محلة الاشراف ، في ذلك البيت الذي كان مفتوحاً دائماً ، ليس لي فقط بل للشمس والغبار والضوضاء ، فكنا نعتصم من الحر بسرديابه في النهار ، كما تذكران ، وبسطحه في الليل ، فلم يكن فيكما وانما الرفيقان المضيفان غير الخير الصافي على الدوام .

(١) السيد عبد الرحمن النقيب

قال الحسين يوم اجتماعي به في الفندق : قد قابلت صاحب الجلالة سيد الكسباني فيجب ان نقابل صاحب الفضيلة والمعالي سيدي . فقلت : اني في الحالين طائع . ومسرت واياه الى بيت جميل على شاطئ . دجلة كان في تلك الايام قطب السياسة والسياسيين كما هو قطب الاقبياء والمتعبدين - والمزارعين . فان سيدي النقيب يهتم بالارض اهتمامه بالسماء .

وكان اول اجتماعي به في القاعة التي تجتمع فيها الوزارة والتي وقعت فيها بعدئذ المعاهدة . هوذا شيخ في العقد الثامن من العمر ، يحمل في قلبه الراح الثمين وارتاحها هادي . البال ، ويحمل في رأسه فلسفة روحية سياسية زراعية سخالية من غش الاوهام والخيال ، ويحمل في مفاصله داء اقعده فالجأ الى العصا يتوكأ عليها من عقر داره الى بهو الاستقبال . وكان يومئذ يحمل فوق ذلك كله الحمل الاتقل والاخشن ، حمل المعاهدة الانكليزية العراقية وسياستي العرش ودار الانتداب .

رجل عدل القامة ، وافر موضع النطاق ، براق العين ، ناصع الجبين ، قصير اللحية ، بسام المحيما . يلبس الانابيب البيضاء وهي دائماً كالثلج ، ويجلس على الديوان ، والى يمينه عصاه وبالقرب منه على قيد ذراعين الزائر الجديد ، وقبالة على ديوان آخر شيوخ مثله اجلاء ولكنهم دونه سنأ . هم اولاده . وكان قد اخبرني صديقي بأن فضيلة النقيب ، على علمه وحصافته وروحانيته ، ينقزز من لمس ايديه الناس . فلما دخلت وقفت امامه معني الرأس مسلماً وكان قد وقف لاستقبالي ومد يده مصافحاً ، فدهش الحضور كما علمت بعدئذ . واكفني زرتته وانا في بغداد مراراً ، وشرفني مراراً ، بان دطاني لمائدته ، فأكفني وصافحني دون ان يغسل بعد ذلك يديه . كأني به وهو اكبر المقربين من سدة مولانا عبد القادر العلوية ، وحامل مفتاح حجرته القدسية ، نظر

(١) توفاه الله في شتاء هذا العام ١٩٢٧ نخلته في الرئاسة الروحية ابنة السيد محمود .

بعين الغيب الى ما وراء الحجب ، فرأى في هذا الرحالة السورى الاميركي
رغبة في التصوف لا تزال طفلاً ، فأحب ان يغذبه بتعطفه وبقربه وبشيء من
الكرامة في يده .

وكان اول ما حدثني به من مدهشات مجلسه انه قص علي في بضع دقائق
قصة العالم منذ سقوط امنا حواء الى سقوط الاتراك في بغداد . ثم قال : وتاريخ
الانسان يا افندي مثل تاريخ الامم - مقدمات لنتيجة واحدة هي السقوط .
ونحن العرب خصوصاً العراقيين او فر الام حظاً من هذا القبيل . العراقيون
يا افندي انت تذكر ما قاله الحجاج ابن يوسف . فقلت : ولكننا في زمان غير
زمان الحجاج . فقال على الفور : اما اهل العراق فلا يتغيرون . خلصناهم من
الاتراك ، ومن العجم ، ومن الاحتلال العسكري ، ونحن نسعى الان في خلاصهم
من القوضى وهم لا يريدون ، ولا يرضون ، ودائماً ناقمون . . . هل رأيت في كل
سياحتك يا افندي شعباً يحسن صنع الجبال وصنع المشاق ولا يجحد من يجرها فيه
غير نفسه ؟ وهل يستخدمون المشنقة في اعدام المجرمين في اميركة ؟

قلت : عندهم الكرسي الكهربائي . فسألني ان اصفه تم قال : خش طريقة .
يلزمنا عدد من تلك الكرسي في العراق . فقلت : العفو اذا خالفت سيدي
النقيب . فان امة توكل امرها الى متله لتجد في اساليب السياسة وطرق الحكمة
حلاً مرضياً مفيداً لتساكلها كلها .

فقال وهو يهزئ النفي بيديه : لا ، لا ، لسنا بسياسيين . ما عندنا من علم
السياسة الا اليسير . وهذا اليسير التقطناه في اختلاطنا برجال السياسة الحقيقيين .
مثلنا مثل اللص والفيلسوف . جاء اللص في ليسة مقمرة الى بيت الفيلسوف
بغى السرقة ، فدخله من النافذة وكانت الفيلسوف جالساً في الزاوية يتسكّر الله
الذي انار بيته بنور القمر . فجال اللص في البيت وهم بالخروج وهو خائب الامل .
تخاطبه الفيلسوف قائلاً : اذا كنت انا صاحب البيت لا اجد فيه شيئاً في ضوء
النهار فهل تؤمل انت الغريب ان تجد في ضوء القمر شيئاً فيه ؟

فقلت : ولكنني لم ادخل البيت من النافذة يا مولاي . فضحك حتى استلقى وهو

ينظر الى انجاليه تارة وطوراً الى " والى افنان ويقول : غلبي . غلبي .
ثم اخبرني قصة تفصيح عما فيه من حب النكتة ومن البراعة في التهمك . قال :
زارنا في الاسبوع الماضي رجل اميركي مندوب احدى الجرائد هناك . وجلس
هناك - اشار الى الديوان قبالة - واخذ يتكلم - خوش كلام - وهو يسألنا
سؤالات في السياسة ، وفي الامتيازات ، وفي النفط ، ويحيب عليها بنفسه . ونحن
مثل الفيلسوف الذي قصت عليك قصته جالسون في زاوية السكوت نشكر الله
الذي انار بيتنا السيامي بنور القمر . ولكننا استأنسنا بهذا الاميركي - جاء
مثلكم في النهار ولم يدخل من النافذة . ولكن لسانه مثل سيف ذي الفقار -
خوش لسان . هل كل الاميركيين مثله حذقاً وبراعة وعلماً ؟ عند ما قام يودع
شكرناه على زيارته وعلى ما استفدنا من حديثه . وخطر لنا يومئذ ان نسأله عن
اغراس النخل التي أخذت من هذه البلاد الى اميركة ، وزرعت هناك . ولكنه
لم يفسح للسؤال مجالاً . فهل لك علم يا افندي بتلك الاغراس ؟ هل نجحت في
اميركة ؟

فاجبته قائلاً : اذا اذنتم باستعارة استعارتكم اقول ان يبقي الزراعي مثل بيت
الفيلسوف الذي وصفتم .

فضحك وقال : وانا مثلكم دخلت من الباب لا من النافذة . ثم نظر الى انجاليه
وهم جالسون امامه متكئين يتسمون ولا يضحكون فقال : اراني مع الافندي
مغلوباً - مغلوباً اليوم . يجب ان يزورنا مرة اخرى . فقلت : هو احب ما أحب
في هذا البلد ، ثم كملت جملي السابقة : اما البيت فلصم كل ما فيه . اذكر اني
قرأت مرة ان نظارة الزراعة في واشتطون استجلبت من البصرة اغراساً من
النخل وغرستها في الولايات الجنوبية .

- اذن عامك وطلعنا واحد .

- في هذه المسئلة فقط .

- بيتنا بيت الفيلسوف انتم تسرحون طالبين العلم ونحن نأخذ علومنا من

الكتب ومن نجتمع به مثل فضلكم .

فاعتذرت وشكرت . وكنت قد نظرت الى اخنان فأعطاني الاشارة فتمت
 اودع . فنهض فضيلته ومد يده ثانية يصافحني .
 ان للسيد عبد الرحمن الجيلاني ، سليل مولانا عبد القادر قدس الله سره ،
 طائفة من السالكين المتعبدين منشرة في اقطار الشرق كله . وله في بيته
 جيلان من الانجال ، الجيل الاول كان جالساً معنا وهم ثلاثة يتراوح سنهم بين
 الخمسة والخمسين والستين يحضرون مجلس والدم فلا يتكلمون ، اذا كان عنده
 زائر ، الا اذا سئلوا ولا يضحكون ، مهما كانت النكتة ظريفة ، ضحكة
 عالية . اما الجيل الثاني وعدده ستة اوسبعة صبيان فمن هذا الزمان حقيقة
 ومجازاً . لان بينه وبين الاول فترة مقدارها نحو اربعين سنة . والسبب في ذلك
 سرٌّ احترمناه .

زارني ذات يوم كبيرهم ، وهو لا يجاوز السابعة عشرة ، فلم يكن مثل
 الصحافي الاميركي الذي زار فضيلة ابيه . سألتني ان اقول له ما الفرق بين
 الانتداب والاحتلال . فاجبته فقال . واكن الانكليز يعترفون باستقلال العراق
 ولا يخرجون منه . وجاءني ثانية ومعه بضعة اولاد من اقاربه ورفاقه في المدرسة
 يبغون السلام والتعرف ثم الاحتجاج على الانكليز . فالتفتت في مقابلتهم
 الخطة التي اتخذها النقيب في زيارتي له اي اني سبقتهم الى السؤالات فكانوا في
 اجوبتهم مدهشين .

— واذا كانت اللغة الانكليزية لغة الحكومة المحتلة أفلا نتعلمونها ؟ فاجاب
 احدهم : اذا كانوا يثوون الاقامة في بلادنا يجب ان يتعلموا لغتنا . وقال آخر :
 نتعلم لغتهم ويجعلون لغتنا فيهم اذ ذلك بعضنا بعضاً . وقال الثالث وهو صغيرم :
 اذا كان لا خير في الاجاب فلا خير في لغتهم . فاجابه ابن النقيب قائلاً : اللغة
 شيء والسياسة شيء اخر . فاذا تعلمنا لغتهم نتعلم طرقهم السياسية ونحاربهم بها .
 فرد عليه الصغير وهو يضرب الارض برجله انا لا استعير يد رفيقي لا ضربك بها .
 انا اقاتلك بيدي .

— ولكن السياسيين لا يضربون بايديهم .

— يضربون بارجلهم اذن ؟ لنا ارجل مثلهم . الا لا يجبلن احد علينا . فنجبل .
 فوق جهل الجاهلينا .

صفتي له رفاقه ثم عادوا ، وقد وبخهم الاكبر ، الى التأديب . وكنت اخشى
 ان ينتقل هذا الوفد العراقي الوطني العجيب من الكلام الى الايدي فنهضت
 اكشف السلطة ، فكان الصغير اول من فهم الاشارة ، فنهضوا وسلموا مودعين .
 كنت اقيم ببغداد بين وليين كريمين عرفت الواحد منها لاول مرة في
 عدن . وهو هناك ولي البلد له مقام بقبة ، وعشيرة واحبة ، وصندوق احسان
 يملأه كل شهر الانقياء ، فيوزع المال على الفقراء . هو عيّدروس المدفون كما
 قيل في عدن ، وله في بغداد مقام وعباد . اما الولي الآخر الذي كانت قربي ،
 بل كنت انا السعيد بقربه ، فهو اشهر من عيّدروس واعظم ، اذا لم يكن كرامة
 وقداسة ، فسيادة ونفوذاً . كيف لا ومن شاطىء دجلة نشع شمسه شرقاً وغرباً
 فتتبرضفتي الكنج والنيل . كيف لا وهو مولانا عبد القادر الجيلاني المدفون
 رمزه المادي تحت تلك القباب اللازوردية في جامع بعد من انخر واجمل ما
 سيف بغداد . هناك شرقاً من سريري على السطح مطلع الانوار ، فكنت كل
 يوم عند ما انمطر صباحاً امتع نظري وروحي بمشهد الشروق على مسرح القداسة .
 فارى الشمس تكون من الغيوم البيضاء المنقطعة ، فوق قباب عبد القادر
 المتعددة ، ما يشبه قطعان الغنم وهي تسرح في مروج من النرجس الذهبي العين ،
 والمصفر الذهبي الجبين . كانتها الزوار جاءت من العجم والهند لتسقي من الموارد
 القدسية ، وتحيا في المروج القادرية . . . عبد القادر الجيلاني ، من احسانك
 لا تنساني !

وما كان كرم الله وجهه لينساني وانا في بغداد . فكان يوحى الى فرع
 دوحته الاكبر السيد عبد الرحمن حياً موضوعاً هذا الغريب في جوار
 الحبيب . وكنت انا المجدوب الى تلك الشخصية الفسنة سائبة ، كانتها كوتت
 من الوات تلك المروج وتلك القباب فوق خرير عبد القادر . ليتأكد
 القاري ، اني مجد في ما اقول . قد لا استحسن سياسة النقيب ، وقد لا تهمني

الا في سبيل الادب مصادر القداسة حوله وفيه . ولكنني من يعجبون بظاهر الحياة الفريدة ، اينما كانت ، وبشواردها المجيدة ، كيفما بانت . ولا سيما اذا تمثلت في مثل هذا البشر الكريم ، والشيخ القديم :

ما رددت مرة دعونه لمجلس او لمائدة ، وكنت كلما دنوت من صميم ذاتيته ازداد اعجاباً بها . وان بين النقيب ومائدته وجه شبه لطيف . في الاثنين غداء كثير ، وفاكهة وابداب . في الاثنين فيض يرمي اصمعي ، فترتاح الى الاول العين والمعدة كما يلتذ بالتاني السمع والفؤاد .

وما عرفت اتجمع منه ، على سنه ودائه ، اذا مدت الايدي الى الزاد . على انه لا يشبه الاكول في انه يهمل من يأكله . كنت اسمعه يتكلم ، واره يتصرف بالالوان الواحد تلو الاخر ، وعينه على ضيوفه ، يشجعهم ويحرضهم على الهجوم . - خوش جباري يا افندي امين . من صيد اليوم . لا تزهد بها . . . اذا كنت لا تتكلم يا حضرة الكسبائي افلا تأكل ؟ . . . افنان لا يحتاج الى من يغريه بشي .

وكان الكسبائي امين على علمه وادبه وسياحاته في الارض - وسنه - - يجفل كأبنة السادسة عشرة اذا وجه اليه الكلام في مائدة النقيب او مائدة الملك . فيغص باللقمة ويزداد ارتياحاً . قليل الكلام ، قليل الاكل - في المواقف الرسمية . ولكنني والحق يقال رأيتته سكوتاً خجولاً حتى في حضرة السيدات . بيد انه تغلب مرة على حياءه وفحن الى مائدة النقيب فاكثر من اكل الزيتون - اكل على ما اذكر ثلاث حبات ، وهو يمن الى صحراء الشويفات . فجاءنا من مولانا في اليوم التالي جرة من الزيتون واخرى من الزيت . اتبني اوضح من ذلك دليلاً على عجب مواهب النقيب وتعددها ؟ ان القابلية للطعام كمثل غيرها من المحاسن البشرية . بل هي ، مثل الذكاء والكرم واليقظ وحسن الحديث ، موهبة من المواهب التي يهبها الله من يشاء من عباده . وقد خص هذا الرجل الكبير بكثير منها كلها . اني لا انساه حياتي وهو يأكل كالشباب ، ويحدث كالشيخ ، ويراقب من طرفه خفي كالامراة فلا يفوته شيء مما له ومما عليه .

وما كنا في الحديث لندنو من السياسة الا نادراً . اذكر انه مر بالموضوع مرة فقال انه شديد الرغبة في العزلة . ولولا الحاح المندوب السامي وزملائه في بداية الامر ، قبل التوقيع وبمده ، لما كان يقبل ان يدير سياسة البلاد . ولكنه بعد ان وقع المعاهدة واحس ان الفكرة في القصر تزداد صلابة وظهوراً عليه ، وان دار الائتداب تميل تسلاً اليها ، ورأى فوق ذلك ان مقاومة المتطرفين تزداد شدة وعناداً ، تزعج بحكم رد الفعل الى التسلط والاحتفاظ بمنصبه . ولما صدر امر الحكومة الاول بباشرة الانتخابات للمجلس التأسيسي ، فاصدر على اثره احد المجتهدين في النجف فتوى بان الانتخاب مخالف لقواعد الاسلام ، رأيت فضيلة النقيب مضطرباً وسمعتة غضوباً :

— في البلاد وطيون كثيرون وكلهم رجال سياسة . ولكن ليس في رؤوسهم عيون تراهم ما هم فيه . اين هم من البلاد ، واين البلاد منهم ؟ كانوا امس تحت اقدام الترك ، واليوم يبيعون البلاد من الترك بفلس لينتقموا ممن يظنونهم اعداءهم . نحن اخذنا الامر على عائقنا ، ولا نسأل التوفيق من غير الله ، ولا نتوكل الا عليه سبحانه وتعالى أما اجتمعت بالوطنيين يا افندي وسمعتهم يتبححون ؟ غداً تجتمع بكبارهم في كربلاء والنجف . . . نصف هذا الاجتهاد جهل ، ونصفه عناد .

ذكر في كلامه وتغيظه بالكلمة الانكليزية المأثورة التي قالها الفيلاوف دجونسون فترجمتها لفضيلته : ان حب الوطن ملجأ المنافقين الاخير^(١) . فسرها بها جداً .

— خوش كلام . خوش حكمة . الانكليز يا افندي امين احكم الناس بالرغم عن سيااتهم كلها . هم ينساققون ولا شك ولكنهم لا يسمون نفاقهم اجتهاداً ولا يخطون الدين بالسياسة . هم يجيئون انفسهم ولا شك . ولكن حب الذات يختلف عندهم عما هو عند سواهم . عند الالمان مثلاً حب الذات في بارد لا ثقبه الناس . اما عند الانكليز فهو ناضج وفيه شيء من الابازير

(١) « Patriotism is the last refuge of the scoundrel. » — Samuel Johnson.

هي لبعض الناس مثل السم . عند الانكليز العلم ، وعندهم المال ، وعندهم الحكمة . اما الوطنيون في البلاد فاي شيء عندهم ؟ هل هم يحبون البلاد اكثر منا وهي بلادنا قبل ان تكون بلادهم ؟ واكثرهم لا يزالون من الاجانب
اعد المثل الانكليزي . - حب الوطن اخر ملجأ للمناققين - خوش كلام ، خوش حكمة .

ولكنه بعدئذ ، او انه كان عالماً متجاهلاً ، بان السياسة ، انكليزية كانت او عراقية ، لا تعرف التبات والوفاء . فقد استنصره واستخدمه الانكليز الى ان تمت مقاصد فيه ، الى ان تم توقيع المعاهدة ، وبعد ذلك هجروه . وقبل الهجرة ، عندما اراد السيادة والتغلب ، خذلوه .

عبد المحسن بك السعدون

في النادي العراقي روح اجتماعية وطنية صحيحة لانها مبنية على المساواة والاحاء ، ولانها فوق ذلك مختلطة اي انها عراقية انكليزية . ما رأيت الانكليز قبل اليوم ولا سمعت بهم يخالطون اجتماعياً من يحكومتهم او يساعدون في حكمهم من الشعوب . اما في العراق فالروح الجديدة يستبشر بها . قد تعرف في لعب الورق شيئاً من اسلوب خصمك في السياسة . والذي ادهشني من الموظفين والمستشارين الانكليز في العراق ان اكثرهم يحسنون التكلم باللغة العربية . كنت اجتمع بهم في النادي وارى بعضهم جالسين الى تلك الطاولة الخضراء يحاولون كسب روية من زملائهم العرب .

اجل ان في النادي طاولة خضراء يجتمع اليها الوزراء بعد الظهر ، ساعة الشاي ، ليحافظوا على الموازنة النفسية بينها وبين تلك الطاولة الاخرى في السراي . فقد كتبت لي ان اري الوزراء يلعبون ساعة بالورق ليبددوا هموم الاوراق الرسمية والمعاهدات . وليس في ذلك ما يؤخذون عليه ، بل فيه برهان على ان للفلسفة العملية مقاماً عندهم محترماً .

اما الطاولة الخضراء في النادي العراقي فهي مثل الحكومة العراقية قليلة

الموارد محدودة النفراج ، ولها ان تفاخر غيرها بالكيفية لا بالكمية ، هي يرجالها
تفتخر لا بالعابها واموالها . هالك على رأسها الاخصائي المالي ماسون افندي -
من وكلت الامة اليه امر ماليتها ، يجي . كل يوم ، وهو اثبت في ذلك من قيم
النادي ، ليفادي بشيء من ماليته . ولكنني لم اسمع انه خرج مرة خامراً ، او ان
ارباحه كانت تتجاوز الخمس الروبيات . وكلهم في لعب ال « بريدج » اخصائيون -
الا ان الكسباني امين كان يسدد حسابه في الفندق من حسابه في النادي . لانه
في ال « بريدج » مثله في التحفظ السيامي ، سيد الاخصائيين .

قد ذكرت النادي لاني اجتمعت فيه لأول مرة بزملاء سيدي النقيب ،
بماسون وصبيح ونوري وياسين والسعدون عبدالمحسن موضوع حديثي الان ،
واظنني فضحت نفسي في ما كنت اجمل من امر آل سعدون وما لم من السيادة
والنفوذ في العراق ^(١) على ان من يقابل وزيراً لأول مرة في تلك الحال لا يلام
اذا نسي التاريخ او ناساه . ظننتها جلسة « بوكر » وظننت الاعضاء مثل غيرهم
في نوادي القمار ، فسلمنا وما تحدثنا . بل نسبت الرجل فحجبت بعدئذ مما
كان . ضاع وجه السعدون بين الوجوه العديدة التي كانت تمر صورها امامي
في تلك الايام فلا ينطبع في الذهن منها الا القليل . ثم اجتمعت به مرة ثانية
في نادي الحزب العراقي الحر الذي خطبت فيه ، وكان هو جالساً الى جنبي ،
فسلم علي فسلمت ، وانا اذكر صورة وجهه ولا اذكر اين بدت لي سابقاً . فسألته ،
فاضحكني بلطفه وابتنسامه .

اجتمعنا بعد ذلك مراراً ، وكنت كل مرة ادنو منه اراه بعين التصور
قبل ان اراه بعين الجسم . فيتمثل امامي لايساً العباءة والعقال ، راكباً الهجين ،
قائداً الى الغزو العربيان . اجل ، ان صاحب المعالي عبدالمحسن بك السعدون هو
الوزير الاول في وزارته الذي تبدو فيه العروبة الحققة ، والثاني هو عبد اللطيف

(١) هم من الاشراف وقد هاجر احد اجدادهم منذ اربعمئة سنة الى العراق فاستوطن
البصرة ثم ذهب الى المنتفق تلمز احفاده على عشائرها . والسيادة في اواء المنتفق لا تزال
لهم الى الان .

ياشا المنديل . اما الاخرون ففي ظاهرم مستعجمون . تاجي بك السويدي اتبه
 بمرجل من شمالي اوروبه . صبيح بك نشأت هو في تركيته اظهر منه في عروجه .
 جعفر ونوري من الأكراد ، وساسون افندي حزقيل من العالم — من الاسرائيليين
 في العالم . اما السعدون فمن العراق . من صميم العرب ، ووجهه اصدق اخباره
 الصادقة .

هو رجل في العقد الرابع من العمر^(١) ربح القامة ، اسمر اللون ، حسن
 البزة ، اوروبي حتى رأسه — حتى الاستثنائية اريد . فالرأس اسود الشعر
 قصيره ، ومثل كلة المدفع مستدير ، والعين فيه كالمشعل بين الليل والغسق .
 والنم عدل الا انه قاسر فلما يبسم وقلما يتكلم . ولكنه عند ما يتحرك يؤنس ،
 اذ تسارع اليه نفس جذابة فتمتزج بكلماته القليلة ، وفيها ضاء وليس فيها جفاء .
 رجل سكوت . وكل سكوت لغز لمن لا يعرف شيئاً من سابق حاله . على اني
 الفت السكوت في من سافرت معهم من العرب ، فكنا نسير ساعات في النهار
 جنباً الى جنب دون ان نقوه بكلمة واحدة . وكنت غالباً اعجب بما يخبئه السكوت
 فيهم من شمم وكرم وذكاء .

وهوذا السعدون عبد المحسن العربي السكوت ، ويحق لي ان اقول الان

(١) ولد سنة ١٨٧٩ م في الناصرية مركز لواء المنتفق ، وكان يومئذ والده فهد باشا
 حاكماً في اللواء واهيراً على جيم عشائره ومقرباً من المايين . فطلب منه السلطان عبد الحميد
 ان يرسل ابنائه الى الاستانة ليتعلموا في المدرسة التي كان قد انشأها خاصة لابناء رؤساء
 العشائر . فارسل فهد باشا ابنه عبد المحسن وعبد الكريم . وكان عبد المحسن يوم سافر الى
 الاستانة في الثالثة عشرة من سنه فتخرج من المدرسة المذكورة ، ثم دخل واخاه المدرسة الحربية
 العالية فتخرج منها ضابطاً في الجيش العثماني ، فاخترها السلطان عبد الحميد مرافقاً له في
 المايين ، وبقيا في تلك الوظيفة الى اعلان الدستور ، وترقيا اثناء ذلك في الجندية الى رتبة
 بكباشي . على انها استقالا من الجندية بعد سقوط عبد الحميد ، فرجع عبد الكريم الى وطنه
 ليهتم باملاكه التي في البصرة وفي المنتفق ، وبقي عبد المحسن مقيماً في الاستانة . ثم انتخب
 نائباً في مجلس النواب العثماني عن المنتفق وطل كذلك الى بداية الحرب العظمى ، فرجع
 اذ ذلك الى وطنه العراق وتقلد بعد وصوله منصب وزارة المالية في الوزارة التقيسية
 الاولى ثم وزارة الداخلية في الوزارة الثانية التي استقالت في شهر آب سنة ١٩٢٢

السكوت العزوم . فقد برهن في وزارته التي استمرت سنة^(١) على انه فعال لا قوال ، وعليم في ما يفعل حكيم . كانت نفسية البلاد من حيث المعاهدة ، التي رفعت منها لفظة الانتداب ولم تمس قيوده ، كما وصفت في الفصل السابق ، عند ما استلم زمام السياسة العراقية . فاقدم السعدون على عمل يعد من اهم اعمال وزارته ولسان حاله يقول : لا نضحك من الامة فنصور لها الانتداب خيالاً زائلاً ، ولكننا نخفف عليها ثقل القيود . فتم عقد الملحق بين حكومة العراق وحكومة ملك بريطانيا العظمى الذي بوجه أنزل مدة المعاهدة من عشرين سنة الى اربع سنوات^(٢) .

ولتلك المعاهدة ملحقات أخرى تتعلق بالجندية والمالية والقضاء وبشروط استخدام الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية . فتوقفت وزارة السعدون الى عقد الملحق الذي يتعلق بالقضاء ودرست الملحق الذي يختص بالموظفين البريطانيين ، فقدمت به لائحة فلم تقبلها حكومة الانتداب . وسعت في تحسين الصلات بين العراقيين والانكليز فكان سعيها مبروراً وان لم يكن مثمراً . وجاهدت في سبيل الميزانية فأفلحت ، اذ اعادت اليها التوازن بالرغم عن التخفيض الذي اجازته في رسوم الاراضي الاميرية ورسوم المواشي والتخيل . ولكن هناك صحرة اصطدمت بها فحملها ذلك على الاستقالة .

يذكر القاري ، ان في المعاهدة بنداً يوجب على الملك ووزارته وضع دستور اساسي للحكومة العراقية ثم انتخاب المجلس التأسيسي للنظر فيه وتنفيذه . فقد وضعت وزارة سعدون الدستور واصدرت قراراً يوجب مباشرة الانتخاب ،

(١) تألفت في كانون الاول سنة ١٩٢٢ واستقلت في تشرين الثاني سنة ١٩٢٣

(٢) هذا نص البروتوكول اي الملحق بالمعاهدة .

قد تم التفاهم بين الفريقين الساميين المتعاقدين على انه مع وجود نصوص المادة ١٨ يجب ان تنتهي المعاهدة الحالية عند دخول العراق عضواً في جمعية الامم وعلى كل حال يجب ان لا يتأخر انتهاءها عن اربع سنوات من تاريخ عقد الصلح مع تركة . وليس في هذا الاتفاق ما يمنع عقد اتفاق آخر لتنظيم ما يكون بعد ذلك من العلاقات بين الفريقين الساميين المتعاقدين . ويجب الدخول في المفاوضات بينهما لاجل ذلك الفرض قبل انتهاء المدة المذكورة اعلاه .

فاعترضها في ذا السبيل ما اعترض الوزارة السابقة من مقاومة علماء الجعفرية أي الشيعة . ولكنها تغلبت عليهم بعض التغلب اذ قد تم في عهدها انتخاب المنتخبين الثانويين ولم يبق سوى انتخاب الاعضاء .

هي ذي العقبة الكوود . قد سمعت ما قاله النقيب عند تغيظه في هؤلاء الاقوام ، واكثرهم من الاعجام . ان سياستهم الوطنية اصولاً ونزعات كلها او جلها ولا شك مذهبية ايرانية . وان لعلمائهم في العراق نفوذاً يفوق نفوذ أكبر المقامات الرسمية العالية ، وفيهم المجتهدون الذين « يجتهدون » دائماً ان يعرفوا مساعي الحكومة . ازعجوا السعدون كما ازعجوا سلفه النقيب . فاصدروا الفتاوى الدينية ضد الانتخاب والانتداب . وفي العراق مليون من الشيعة يسمعون فتاوى المجتهدين فيطيعونها ويعصون الحكومة .

هاك ما حمل السعدون السكوت العزوم ، بالرغم من تردد الملك والمندوب السامي ، على العمل الذي يعد من أكبر اعماله ، اذا اعتبر فيه العزم والتجاعة ، فنتى الى الحجاز آية الله الشيخ مهدي الخالصي احد مجتهدَي الكاظمية (١) واكبر مجتهدَي العراق ، فاحدث ضجة في البلاد ظن انها ستفضي الى ثورة ثانية . على انه لم يكن من نتائجها غير احتجاج نذر من العلماء فاسافروا الى ايران مغضين .

اما جلالة الملك فقد كان يؤيد في البدء قولاً وفعلاً سياسة وزارته بالرغم عن احتجاج الشيعة في البلادين ايران والعراق . وبما ان أكثر اهل الشيعة في العراق من الشيعة الايرانية ، وهم تابتون فيها ، فقد اصدر منشوراً طلب منهم فيه ان يتجنسوا بجنسية البلاد ليحق لهم التمتع بالحقوق التي يتمتع بها العراقيون . فزادهم المتسور سخطاً وتمرداً . وقام اولئك الذين ظننوا الى ايران يتقدمون الشعب الايراني في التظاهرات على الملك فيصل ، وعلى المندوب السامي البريطاني . ثم اعلنوا مقاطعة البضاعة الانكليزية .

(١) زميله هو السيد حسن صدر الدين . راجم الشرح في صفحة ٢٧٣ من هذا الجزء .

قد احتجت كذلك حكومة طهران الى حكومة العراق فاحس بعض
الخاصة في الدواوين بسلك كهربائي انكليزي في ذاك الاحتجاج . كيف لا
وقد هزّ دار الائتداب في بغداد فتأثر القصر والمجلس ، فقال جلالة الملك
بعد المذاكرات ما قاله نغامة المندوب . ولكن العلماء استمروا مكابرين
معاندين فقالوا انهم لا يرجعون الى بلادهم الا اذا نفذت اربعة شروط ، وهي :

١ - اخلاء الانكليز للقطر العراقي ، ٢ - استقالة الوزارة الحاضرة ، ٣ - تعيين
زمن الانتخاب ، ٤ - ادخال عدد محدود من الشيعة في المجلس النيابي ، فقال
لمندوب السامي . . . فقال الملك فيصل . . . فقالت الوزارة : الوداع .

وما اجمل التغيظ في الرجل الجريء العادل . قد جاءني من معالي الوزير كلمة
بعد استقالته يقول فيها : « احببت ان اسعى لرفع الغشاوة الفكرية عن اخواننا
الشيعة وازارة بصائرهم بالحقائق . فبينت لهم ان الموكل موهوم والموكل كل غشوم .
لقد قت بهذا الامر في هذا المحيط وهذا الزمان وتحملت من الاعباء ما تحملت
لافتح طريقاً لآخي الوزير الشيعي فيتم ما بدأت به . وحينئذ يبدأ بتغيير عام
يطرد جيوش الرياء والالوهام ، ويفتح في صور الاخاء والمساواة ونتم نبوة اشعيا
الفيلسوف حيث السباع والغنم يرتعون سوية ، ويسود سلام في العالم وسلامة
الضمير في بني الانسان » .

هوذا عربي كبير يحلم مثل النبي اشعيا الاحلام وينشد المثل الاعلى في
العالم . وهو في موقف العمل كما تبين بفقده حقائق الحياة الوضعية وما بينها
كلها من صلة العقل والخيال . وان السعدون صريح اذا قال ، مخلص اذا مال .
سألته عن رأيه في السياسة العراقية الوطنية وما هي عقيدته تجاه الانكليز .
فاجاب بما لا يقبل التفسير والتأويل « اني اعتقد ان منفعة الوطن تقضي
علينا في الوقت الحاضر بان نكون في سياستنا تجاه الانكليز مصادقين لم لاننا
محتاجون اليوم اسد الاحتياج في نهضتنا السياسية الحاضرة الى يد مساعدة ودماع
راقر لسترشد به . ولا نجد في هذا الباب خيراً من الانكليز . ولكن على شرط
ان لا يجحف ذلك باستقلال البلاد او بمنافعها » .

جعفر باشا العسكري^(١)

زرته اول مرة في وزارة الدفاع التي كان يوشئ وزيرها . وكان الحر شديداً ، فدخل والعرق يتصبب من جبينه يحرق ما فرضه الله عليه من وزر السمن ، كأنه مدفع يتحرك بنفسه ، او كأنه في ساحة القتال حيث لا ترسم ولا تجعل . جعفر باشا لا يكذب اسمه ، فهو اولاً وآخرأ عسكري ، يسرع ولا يتكلف في ما يقول وبمعل . سلم سلام الاحباب وتزع « سا كوه » وجلس في الكرسي وراء منضدته وهو يروح بمروحة من القش ويتكلم . فتمثل امامي رجلاً اميركياً ، رجل عمل واهلية ، من اولئك الذين يديرون ادارات كبيرة بالضغط على زر كهربائي . اما وزير الدفاع في الحكومة العراقية فكان يصفق كفاً على كف ليعطي اوامره . وهذا لا يهم عند روح العمل الجديدة التي لتمثل في جعفر وزملائه — روح العمل العصرية المجردة من خزعبلات الابهة الشرقية وسخافات اللياقة كلها .

(١) هو مثل سلفه السعدون في المقعد الرابع من العمر ، وقد تلقى العلوم مثله في المدرسة الحربية في الاستانة ، فخرج منها ضابطاً ثم سافر الى ألمانيا ليتعلم دروسه الفنية . وقد بدأ من بوفه لانور باشا في الحرب العظمى ماحله على ترقيته الى رتبة باشا وارساله على خواصة الى بنغازي لقيادة متطوعي العرب الذين كانوا يقصدون الزحف على البلاد الداخلة في المنطقة الايطالية . فقادهم جعفر وحدث على الحدود المصرية قتال بينهم وبين الجيش البريطاني فجرح في المعركة ، فاعتنى به رجال الصليب الاحمر ، ونقل بعد ذلك الى القلعة في القاهرة . فحاول التثقل من الامر فوقع فاندكسرت رجله فلزم الفراش ستة اشهر . وكانت يومئذ الثورة العربية في بدايتها والاضطراب العرب ينضمون اليها ، فكاتب لجعفر ان يكون منهم ، فجهه سنة ١٩١٧ الى مكة ثم الحق بالجيش العربي الذي كان مرابطاً حول المدينة . ثم ارسل الى النجدة فعين قائداً من قادة جيش الشمال . وبعد فتح الشام تعين معشاً عاماً للجيش العربي في سورية ، ثم حاكها عسكرياً لولاية حلب ، ثم رئيساً لحجاب جلالة الملك ، وسد واقعة يبسلون عاد الى بغداد ليسانح في تأسيس حكومة وطنية ، فعين وزيراً للحربية في الحكومة المؤقتة اي قبل التسوية ، ثم في وزارتي التقيب الاولى والثانية . ولما دعا المستر تشرشل رؤساء حكومات انكلترة في الشرق الاذن لمؤتمر القاهرة كان جعفر باشا من رافقوا مندوب العراق الاسامي وشاركوا في البحث في امور العراق المالية والعسكرية وفي شتاء ١٩٢٢ — ١٩٢٣ كان مندوباً للحكومة العراقية في لندن فجهه منها الى لوزان باسم العراق ولكنه لم يشترك في ذلك المؤتمر .

— والله يا استاذ عتدنا رجال وعتدنا وطنية - ولكن الادارة مفقودة والمال ،
 اين المال . مثلنا ، او بالحري مثل الحكومة التي تولت سيف البدء امرنا ، مثل
 شاب وورث ثروة من ايده تخسرها في القمار . بذل الانكليز في سنة واحدة من
 المال في البلاد ما يكفي جيشاً وطنياً كبيراً خمس سنين . ولا اثر ولا نتيجة لما
 بذلوه . والان ونحن في اشد حاجة الى المال هم ينفضون ايديهم ويرونا حكياً
 فارغاً . مبدئي الوطني وامل و عملي نتوقف كلها على تنظيم الجيش العراقي . يقول
 لنا الانكليز : ساعدوا انفسكم نساعدكم . وهذا صواب ولكنهم افسدوا علينا وهم
 لا يدرون موارد المساعدة . عندما تكون البلاد في هياج سياسي يصعب على
 الحكومة فيها اية كانت ان تجبي اموال الخراج .

— وما هو عدد الجيش العراقي الذي باثرتم تنظيمه ، وما هي حالته ؟
 — عدده خمسة الاف وحالته المنحوبة دون ما تروم . لا تظن ان السبب
 في ذلك نقص في الوطنية . لا والله . انما هو دليل من احد الوجوه على الوطنية .
 وهذه هي الورطة التي نحن فيها الان . ندعو شبان البلاد الى التجنيد فلا يلبون
 واذا لبوا فيجيئون بمرجون ولسان حالهم يقول : اذا كان الانكليز يبعوث
 الاقامة في البلاد فليدافعوا هم عنها . ومن وظيفتي انا ان اقنعهم بان الانكليز ،
 وهم في البلاد ، غير مقيمين فيها ، وانهم وهم الاغنياء بالمال والرجال ،
 لا يستطيعون الدفاع عنها مع رغبتهم فيه . هل تعرف وزيراً في حكومات العالم
 اليوم هذا موقفه في السياسة والمنطق ؟

جعفر باشا حر الكلمة صريح الاشارة والعبارة . سألته رأيه في احد
 رجال السياسة العراقيين الذي كان يومئذ من الموجهين لرئاسة الوزارة فقال :
 اي رجل اخر احسن منه . درهم من الاهلية يا استاذ خير من قنطار مقامات .
 البلية الكبرى في هذه المقامات التي ليس فيها غير الادماء والسخافة .

وهو ان رفعته الجدارة الى اعلى المقامات لا يكفي بمساعدته من خبرة
 وحكمة بل يسعى دائماً في ما فيه زيادة وتحسين . قد اخبرت القاري في مطلع

هذا الفصل بان حسين افنان سكرتير مجلس الوزراء هو استاذ في علم الاقتصاد ، ولا فرق في مصادر طلمه اصلية كانت او منتحلة . فكنت ارى الحسين مكيًا على ترجمة آدم سميث^(١) وغيره من اسانذة هذا العلم واعجب باخلاقه ، وبقوله : خير لي ان اترجم عن الثقاة من ان اجيئهم بما يجلب اللعنات . انك لترى الفقيه والاديب والوزير في من يحضر تلك الدروس الاقتصادية ولست مبالغًا في ما اقول .

دهشت يوم اخبرني جعفر باشا يانه يحضر دروس السيد افنان وازددت اعجابًا بمعاليه . اطلب العلم من المهد الى القبر . ليس اشرف من الحديث النبوي غير الحديث النبوي المتجسد في وزير من وزراء العرب وهو تلميذ من تلاميذ كاتب مره . جاء جعفر باشا يزورني يومئذ في البيت ويدعوني للعشاء في بيته .

— لا نظنك تؤاخذنا ونحن لا نزال في ما هو اتبه بالكوخ . ولكنه خارج البلد فنمر في طريقك ببساتين يروقك منظرها .

ثم تطرق في حديثه الى الانكليز ، وهو معجب بهم متخوف منهم . الانكليز وجعفر مثل الحية والعصفور . ولكن الوزير العراقي وان وقف امام الحية مسعورًا ، فلا يمكنها منه . اسمع ما يقول :

— يجب ان نتفاهم واياهم ونتفق . وخير البر عاجله . الانكليز يختلفون عن بقية الناس . هم وخدمهم يا احي — ممتازون ! نزلوا من السماء في قفة . افلا ترى كيف يسلكون في نهارهم وفي ليلهم ؟ يلبس الجندي منهم البنطلون القصير فيكشف ساقه حتى الركبة — ابن عم البرابرة — ولكنه في المساء ، اذا دعى للعشاء ، تراه في ثوبه الرسمي وفي سلوكه كأنه من الاعيان . فلو كانت هذه الحرية لنا لكننا برابرة في النهار وفي الليل . . . يجب ان ندرس هؤلاء الانكليز ونفهمهم ، ونتفاهم واياهم . هم لازمون لنا في الوقت الحاضر .

وقد حاول في السنة التي تولى فيها رئاسة الوزارة ان يفهمهم ويتفاهم واياهم .
- قد درست وزارته ملاحق المعاهدة الثلاثة الباقية اي تلك التي تتعلق بالجندية
والمالية والموظفين الانكليز . واتفقت مع حكومة الانتداب عليها . ولكن المجلس
التأسيسي ، او بالحري اللجنة التي حينها المجلس لدرس تلك الملاحق والاتفاقيات ،
رأت ان الشروط فيها فادحة فتفاقت على الوزارة الاحتجاجات ، فاستقالت .

ياسين باشا الهاشمي

كان ياسين باشا^(١) من المفضوب عليهم في دار الانتداب يوم كنت في
بغداد ، وكانت المس بل مع ذلك تعجب به وتحترم اراءه . وقد يصح فيها وفيه
ما قامت في جعفر باشا والانكليز . هما مثل المصفور والحية . على ان الاية تعكس
ها هنا ، فلا تنحصر الحكمة والجاذب في المرأة .
كنت اجتمع بياسين باشا في النادي فاسمعه يجهر برأيه ضد الانكليز
او بالحري ضد حكومة الانتداب . وكانت المس بل تدعوه لمائدتها فيجنيء في
ثوبه اليوحي وبآرائه التي هي مثل ثوبه طليقة ، لا تقيد فيها ولا ادعاء .
وكان على الدوام كثيرًا . وكانت الكآبة بليغة مستحبة ، تنظر من عينه

(١) ولد ياسين باشا الهاشمي في بغداد سنة ١٣٠٣ هـ وتخرج في المعاهد التركية فيها
ودخل بدمشق في المدرسة الحربية بالاستانة وتخرج منها في سنة ١٣٢٠ مالية برتبة ملازم ثان
وبعد ان درس سنتين في مدرسة ضباط اركان الحرب تقلد عدة وظائف في الجيش التركي
الى ان اعلنت الحرب العامة وهو وقتئذ رئيس اركان حرب . وقد اشترك في مواقع
غالبها وغيرها وكان في رأس الملق الثامن لما انهزم الترك في سورية فانخرط صاحب
الترجة في الجيش العربي وعين رئيس اركان حرب حاكم سورية العسكري ورفع الى
رتبة امير لواء وعين رئيساً لديوان الشورى ونفي سبذلك . وبعد رجوعه من المنفى احتل
الفرنسيون سورية فقاد الى مسقط رأسه بغداد سنة ١٣٤٠ فعين متصرفاً للمنطق . وبعد
ان تولاهامدة شهرين عين وزيراً للاشغال والمواصلات في وزارة عبد المحسن بك السعدون .
ثم انتخب نائبا عن لواء بغداد في المجلس التأسيسي وكان فيه نائباً ثانياً لرئيس المجلس .
وكان رئيساً للجنة تدقيق المعاهدة العراقية البريطانية ولجنة قانون الانتخاب ولما اتم هذا
المجلس اعماله واعزلت وزارة جعفر باشا العسكري انتدب لتأليف الوزارة الحالية في ٢
آب سنة ١٩٢٤

السوداء اليك كأنها نقول : ان هدوت نفسه ، وحسن وجهه ، وشجا صوته ، انها كلها مني . ظننت تلك الكتابة من خلقه . ولكني علمت بعدئذ ان ابنه الصغير الوحيد كان مريضاً ولا يرجى شفاؤه . فأغلقت في وجهه ابواب الطب كلها ، وانصرف عنها وعن الاشغال يسعى بما عساه يصل الى عرش الرحمة الاعلى ، فيأذن الله بشفاه صغيره العزيز .

لم يستجب الله طلبه عبده . وعندما رحلت اعزى ياسين باشا الذي كان يومئذ وزير الاشغال في وزارة السعدون ، استقبلني هاتماً ولم يأذن بتلك الكلمة المألوفة التي لا تغني فتيلاً . ما شاء الله كان . هو مثل داود النبي لقي في المصيبة ، فيلسوف في الاحزان .

ولكنه في السياسة لا يستسلم دائماً الى الاقدار . اما هو الان رئيس الوزارة التي خلفت الوزارة الجعفرية ، وكان رئيس اللجنة ، لجنة تدقيق المعاهدة ، التي عينها المجلس التأسيسي ، فماذا عسى يكون موقفه في سياسة اصبح لا يملك غير طرف واحد منها ؟

جاء في تقرير اللجنة ان في بنود المعاهدة والملحقات او الانفاقيات ما يتقل كاهل العراق فلا يمكنه القيام بتعهداته . ثم تطلب اللجنة التعديلات الاتية :

- ١ - التصريح باستقلال الدولة العراقية .
 - ٢ - التصريح بالفناء الامتيازات الاجنبية قضائية كانت او اقتصادية .
 - ٣ - الحكومة العراقية حرة في تنظيم ميزانيتها السنوية .
 - ٤ - التصريح بان الحكومة العراقية ستصبح حكومة حرة مستقلة ذات سيادة تامة عند دخولها في عصبة الامم او عند انتهاء الاربع سنوات .
- وهناك تعديلات فرعية تتعلق بالانفاقيات المالية والعسكرية .

فهما قيل في وجوب هذه التعديلات كلها لا اظن معالي الوزير الجديد يسعى في نقض قاعدة مالية اجمت الامم على صحتها . يقول العراق لبريطانية العظمى : يجب ان تسحب قواتك من العراق ويجب ان تقرضيني مالاً لانثي . جنداً وطنياً يقوم مقامها . فتقول بريطانيا للعراق : يجب ان تعطيني ضماناً على

المال وستبقى بعض قواتي في البلاد الى ان تسدد الدين .
هوذا المشكل الذي يربحى حله في عهد الوزارة الهاشمية خصوصاً لان فيها
اخصائي في التجنيد هو رئيسها واخصائي مالي مشهور هو ساسون افندي (١) .

جرتود بيل (٢)

النادي العراقي مختص بالرجال دون النساء . ولكنني سمعت يوماً صوت امرأة
في غرفة القراءة ، فدخلتها فاذا هناك المس بل واحد الوزراء يتجادبان اطراف
الحديث كما يقال . وكنا يوماً مدعوين انا والسيد افتان لمأدبة فمررنا باحد
المستشارين ظناً منا بانه وزوجته من المدعوين فقال المستشار : انا اراقمكم اما
الست فلا . يظهر ان الليلة مختصة بالرجال . فقلت : قد سمعت ان المس بل
ستكون هناك . فقالت السيدة زوجة المستشار : ولكن المس بل ومكثت .
نعم ، ان المس بل في صفتها الرسمية لمن الرجال ، فهي لا تقيد نفسها بما يقيد
بنات جنسها . وهي تغضبن لان الحرية التي الفتها لا تأبه للاصطلاحات العقيمة .
على ان الوظيفة تضطرها احياناً الى ما يظنه الناس تعمداً في الخروج عن المؤلف .
وهي في صفتها الرسمية تعمل عمل الرجال فتستحق ان تذكر مع الرجال . بل هي
شبه وزير دار الانتداب فينبغي لي ان افسح لها في هذا الفصل مجالاً . ولا اخن
اصحاب المعالي الوزراء يستنكرون او يعترضون .

(١) هو الوزير الثابت في الوزارات العراقية لان ليس في العراق من يضاهيه في علم
الاقتصاد والتضلع من ادارة الشؤون المالية . ولد ساسون افندي حزقيل في بغداد في ١٧
اذار سنة ١٨٦٠ وتلقى علومه في بغداد ولندن وتخرج في الحقوق بقينا عاصمة النساء . وقد
شغل عدة مناصب ادارية في الحكومة العثمانية الى ان انتخب نائباً عن بغداد في مجلس النواب
العثماني من سنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨ وكان رئيساً للجنة الميزانية في ذلك المجلس سنين
عديدة . وعين مستشاراً لوزارة التجارة والزراعة في الامتانة . ولما تألقت الحكومة المؤقتة
في العراق في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ عين وزيراً للمالية وبقي في الوزارة المذكورة
ثلاث سنوات اي الى ان استقالت وزارة السعدون . ولما تألقت الوزارة الهاشمية في شهر
آب سنة ١٩٢٤ اسند اليه المنصب نفسه .

(٢) راجع صفحات ١٦ و ١٦ و ١٨ من هذا الجزء

ان السيدة جرتود بل كاتبة اسرار المندوب السامي في الامور الشرقية او رئيسة القلم الشرقي في دار الانتداب^(١) لمن اولئك الانكليزيات القليل عددهن اللواتي يستشرقن او يتعرّبن لدافع فيهن اولاً نفسي بل روحي يصعب تعليقه على ما اظن بغير تاموس التناسخ او الوراثة البعيد الاسرار والاسباب . ان امرأة عالمة ، نشيطة ، حسيطة ، ذات عزم ومضاء مثلها ، لتجد في بلادها من دواعي العمل والشهرة والفخار ما يرغبها عن البلدان الاجنبية ولكن نزعة فيها الى الشرق ، الى العرب ، تغلبت على كل آمالها ومطامعها ، فجاءت الشرق الادنى سائحة ، طالبة علم ، وجالت في البلاد العربية ، فقطعت الصحراء الى جبل شمر وحائل ، وآخت العربان ، وكتبت في ما كتبه كتباً عن العرب والبلاد العربية والسورية فيها العلم مقرون بالعطف والاخلاص . ثم جاءت ايام الحرب الى بغداد فكانت للقيادة العامة والوكلاء السياسيين عوناً كبيراً في ادارة شؤون البلاد .

ان المس بل لتعلم من امور العراق وعشائره ومشايخه واشرافه وتجاره والسياسيين فيه ما يندر ان يعلمه سواها . وهي تتكلم العربية بلسان عربي مخفف اللسنة فيه وتجالس العرب فتستأنس بهم ، ولا تكلف ولا عناء ، كأنها تجالس من تحب من ابناء جنسها ، بل كأنها عربية بنت عربي .

امرأة طويلة نحيلة جلييلة ، تكاد تكون مجموعة اعصاب وافكار ، هادئة الاشارة واللهجة ، هادئة البادرة ، يتغلب في حديثها العقل ، وتتغلب في عقلها السياسة . وهناك شيء من القلب ، بل اشياء ناصحة مستوية ، تزاحم العقل والسياسة احياناً فتجبي تارة عفواً وطوراً نتم على اجتهاد وعناء .

حدثني احد المستشارين قال : طريقة المس بل السياسية قديمة ، وهي مع ذلك لا تركز في الامور لا لعقلها دائماً ولا لقلبيها . وقال آخر : الناس يابون التاديب سواء كانوا عراقيين ام انكليز .
ولكن المس بل لا تحبه العراقيين دائماً بالقاعدة والقضيب كالمعلمة المرشدة .

بل تحييتهم مراراً وهي تحمل هدية بدل القضيبي . هوذا قلبها عربون اخلاصها
 ايها الزعيم الوطني . هي ام المؤمنين يقيناً . واذا رفضت الهدية والمشورة ، اذا
 ابيت النصح والامتثال ، فهوذا السجل وفيه سيرة حياتك منذ دبيت ودرجت الى
 يوم وقفت مستعظماً او محتجماً في دار الانتداب .

لذلك لا يبادلها العراقيون الحب والوداد . ولكنهم يحترمونها ، ويعجبون
 بها ، ويودون لها ما يوده المرء لعخته او الفتاة لخالتها . لا تحبيننا كثيراً عافاك الله
 ولا نتدخل كثيراً في امورنا .

الفصل الخامس عشر

اصحاب القوافي

السياسة والمقاهي — الفرج في التدخين — الشعراء — معروف الرصافي في الفريكة —
في الاستانة — الرحالة والشاعر في بغداد — الشاعر الناظم علي الجمي —
المس بل تحافظ على اللياقة في الصحافة — الشاعر يؤنبها — غضب المرأة الراقية —
لا منفي للشاعر — ذنب الحرية — عقيدته في الدين — اناربه في العالم — شيء
من شعره في الشعر —

من ذا القادم من المرة راحكاً حاراً ابن امين ؟ — وصف الزهاوي — شيخ
زاهد — ليلي الاخيلية تمسح دموعه — شكايه الشاعر الفيلسوف — قصة شاعر
الملك — « لا امدح بالاجرة » — المبتذل في شعر الزهاوي — « نوافذ
الشيطان » — حقائق رائعة — « يا شرق ويا غرب » — الشعر الحقيقي —

او تلك الذين يكفرون الناس — تقيق الضفادع — الاعظمية والكاظمية وراهب
كبوشي كرملي — التقليد والتقييد والتعقيد — شاعر لا قلب له — اوهام القبرية
والاحسان — الدجيلي شاعر القوة العهرة — هيتلي وبتشي — شيء من شعر
السجيلي — الـ « ريباليزم » realism في شعره — مادي يهتم بالأرواح —
وطني يفرغ ابناء قومه ومذهب —

رابم الكفرة — ان الكرام قليل — « الفخر يشيمهم من الديوان الى البيت » —
مجيد الشاوي — في وجهه شيء من الاسد والحمر — وايس علي صدره نيشان —
ولا يعرف الرسم — الى من ينتسب — ابن عمي — المعري والحليم — في مجلس
السيد محمود النقيب — جدال في حلم النبي وحنانه — وما ذنب النساء في الحروب ؟ —
دائرة معارف الادباء في العراق روفائيل بطي — مثال من شعره وشعره المشهور .

لولا الشعراء في العراق لسئمت السياسيين ، ولولا السياسيين لفررت هارباً
من الشعراء . وبكلمة اوضح لولا الفريقان حولي لكنت من المالكين . بيد اني
مشيت مثل البهلوان على حبل الاحتفالات والتكريم ، احمل بيدي خيزرانة
التوازن وفي احد طرفيها اكرة السياسة وفي الاخر فيشاره الشعر . تباركت الامة
التي يتوازن فيها الشعر والسياسة .

ليس في ام الارض على ما اظن من يهتم بالسياسة اهتمام الامة العربية .

وليس في الاقطار العربية كلها من يشغفون بالسياسة شغف العراقيين . في مدينة بغداد مثلاً ثلاثئة مقهاة وفي كل مقهاة عشرون سياسياً في الاقل يدخنون الارجيلة ليل نهار ويديرون شؤون العرش والانتداب . ولكل سياسي لو حدثته رأي في السياسة الدولية وسياسة العراق غير رأي زميله وجاره . الا انهم لحسن الحظ يدخنون وينسون . ان في الارجيلة لتعتصم الامة .

معروف الرصافي

ولكن في هذه الامة اناس ممتازون يدخنون ويكتبون ، فيجمع البراع احلاماً يولدها التنباك وهددها ، ويحفظ القرطاس من التفات والتفات ما لا نعددها . هم الشعراء . واكثرهم بل كلهم في العراق اليوم سياسيون ينظمون ، او نظامون يعالجون السياسة كرماء منهم ، وفي مقدمتهم شاعر تجاوزت شهرته حدود الجزيرة ، فرحبت بها سورية ومصر والامتانة ، واجلسها على ديوان الفخر والاعجاب . وقد وصلت هذه الشهرة الى الفريكة في شخص صاحبها المحبوب معروف الرصافي يوم كان عربياً — بدوياً — في قلبه ولهجته ، وفي نظمه وقياقبه . نام معروف الرصافي يومئذ في خيمة الناسك المشرفة على الوادي ، واكل من جفنته ، وشرب من ابريقه . ثم سافر الى الاستانة اولاً وتانياً ، وكان فيها من المرشدين الواعظين ، وعاد منها يلبس الطربوش والتياب الافرنجية ، فاصحح ذا التطور الظاهر عما خفي منه فيه . اجل ، قد افسد الاثراك او بالحري مدينة الاستانة — وهي في هذا الباب اشد وامرع فعلاً من مدينة باريس — قد افسدت شيئاً من السذاجة الجميلة في شاعر عربي مجيد . احترقت حواتمي تلك السذاجة ، فتغير لونها وطعمها ، وصار الشاعر سياسياً ، وصار العربي مسلماً . او بالحري صار الشاعر في سياسته وفي اسلامه تركياً من اترك ذلك الزمان .

على ان الرصافي وهو ممن خصهم الله بشعلة النبوغ — والنبوغ طاموح ، والطاموح جهاد مستمر — لم يقف في التطور عند حد يريب ويعيب ، بل ظل يشتغل في الادب والتعر حتى امست السياسة التركية الاسلامية بعيدة عنه ،

تكاد لبعدها لا ترى ، وحلت محلها سياسة عربية قومية ، مجردة من كل نزعة دينية ، وكل صبغة مذهبية . وكأني بمعروف قد عاد الى تلك الخيمة ، خيمة الناسك ، قد ذكر فيها الجفنة والابريق ، وعقيدة الاخ الصديق ، الذي كان مثله هدفاً لعوامل التطور الشديدة . فقد صار ناسك الفريقكة رحالة ، فراح يجول في الارض غرباً وشرقاً ، حتى اجتمع بعد سنين بصديقه الشاعر في بغداد وهو يشغل وظيفة صغيرة في وزارة المعارف .

وكان معروف اول المرحبين ، واول من قال شعراً فيه زججرة وفيه انين -
شكا الى صديقه القديم حالاً هو فيها فقال :

اقت يبلدة ملئت حقوداً	علي فكل ما فيها مريب
امرٌ فتنظر الابصار تذرأ	الي كأنما قد مرّ ذيب
وكم من اوجه تبدي ابتساماً	وفي طي ابتسامتها قطوب
سكنت الحان في بلدي كأنني	اخو سفر نقاذفه الدروب
وعنت معيشة الغرباء فيه	لاني اليوم في وطني غريب
وما هذا وان آذى بدائي	ولا هو امره امر عجيب
ولكنني اري ابناء قومي	يدبر امرهم من لا يصيب

وحمل على السياميين في العراق ، الوطنيين منهم والانكليز ، وحمل كذلك على الاغنياء والاعيان ، وشكا الدهر والزمان ، كأن صديقه الرحالة يحمل في حقيبته دواء لكل ادواء الانسانية ودرياقاً لسوم الحكومات الانتدائية والاستعمارية .

أمين لا تغضب علي فاني لا ادعي شيئاً بغير دليله
من اين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عنده جبانه والمسال عند بجيله
والرأب عند حريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله
ما كنت لاغضب على صديقي الشاعر لو لم اكن جئت العراق من قطر عربي
ليس فيه جزء صغير مما في العراق من دلائل الرقي وطلائع الادب والعمران .

الا ان غضبي عتاب اخوان ، ولعب صبيان ، اذا قوبل بغضب اصحاب المناصب
العالية ، والسيادات الدينية البالية . وليس غضب هؤلاء وهم رجال بشيء اذا
قيس بغضب سيده سائدة ، لها الامر وهي اجنبية ، ولها نفوذ يمتد حتى ادارات
الجرائد العراقية .

قد اغضب الرصافي المس بل فحالت دون نشر قصائده في الجرائد . وهذا
قليل من كثير جاء منها بالاساليب الدقيقة الخفية ، لانها وهي امرأة راقية وهي
فوق ذلك سياسية ، لم تناصبه العداء بالطرق الاعتيادية . ولا اخطأت كما اخطأ
سابقاً دار الانتداب في نفيه الوطنيين الاحرار . كأنها قالت في نفسها : هو شاعر ،
والشعراء يلتذون بالسجن ويفتخرون بالمنفى . كيف لا وفي الاثنين ما يكفيهم
مؤونة العيش والعمل فيضمن لهم خبز يومهم والمزلة للنظم والتأليف . دعت
المس بل معروفاً وشأنه ، ولم تلجأ في توبيه الى غير الدقيق الخفي من اساليب
النقمة عندها . وكان معروف يومئذ نائماً على العراق كله كما تقدم وعلى كل
ما فيه ومن فيه .

سأنصب للهواجس حر وجهي يعود الى الشروق به الغروب
واضرب في البلاد بغير مكت اجوب من المهامه ما اجوب
الى ان أستظل بظل قوم حياة الحر عندهم تطيب

وكان امله ان المس بل ، وهي ولية الامر ، تسمع في الاقل هذه التسكوة
منه ، فارسل اليها كتاباً يقول فيه انه يحترمها لانها عالمة ولكنها في الامور الوطنية
ليست اعلم منه ، وانه اذا احسنت العمل يتخذ ذكرها في التاريخ والا فلا رادع
لشعره عنها « واني ارجو ايتمها السيدة ان يكون لغضبك نتيجة ظاهرة . »

سكنت اخان في بلدي كأني اخو سفر تقاذف الدروب
وعشت معيشة الغرباء فيه لاني اليوم في وطني غريب

أفلا ترثي المس بل لحاله ، وقد سئم الإقامة في بلاد لا خير ولا ما يتبه
الخير فيها ، لتسعى بابعاده او بسجنه او بنفيه ؟ انما الغريب في امر هذا الشاعر انه
لم يفقه عقلية المرأة المهذبة ولا ادرك السر الاول من اسرار قلبها . فهو يطلب

حنها كالصبي ما ينبغي حقيقة ولا ينبغي غرضه او ميوه به . فلو قال لها : اني افضل زاوية مظلمة في مرداب من مراديب بغداد على قصر في الاستانة لكانت سعت ولا ريب بابعاده حالاً عن العراق ، بل بتسفيره الي الاستانة .
اما العلماء الناقمون على الرصافي او بالحري الناقم هو عليهم فانهم يجدون قصتهم في بيتين من شعره :

لقد مزقوا احكام كل ديانة وخاطوا لهم منها ثياب رياء
وما جعلوا الادبان الا ذريعة الى كل شغب بينهم وعداء
ولا همهم أأبعد الرصافي عن العراق ام لم يُبعد ، فهم يعلمون ان الشاعر المجيد الحر الذي تناسخ وتناقل اشعاره الناس قبل ان تطبع يستطيع ان يضربهم اينما كان . وقد تجيء الضربة شديدة بالنسبة الي بعد مرماها . لذلك اقتصرنا على تكفيره في بلده وشرعوا يشنعون به لدى العامة حتى صار يُنظر اليه اذا ما مر « كأنما قدر ذيب » وهو والحق يقال ذئب الحرية بغي العراق يشب على كل من يحاول قتلها او تقييدها .

لمعروف الرصافي عقيدة في الدين والاخرة تكاد تكون مادية . ولكنه ، وهو الحكيم المدرك حدود علمه ، قلما يفصح عنها تفصيلاً وتأكيذاً في ما يكتب وينظم . وعندني انها في هاته الحال السديمية اشد تأثيراً في ما يقصد بها من اصلاح العقائد والتقاليد . قال لي مرة : لا تصطحح البلاد العربية وتوثقي الا بالكفر . وانا افهم وهو يفهم ما يريد بما قال . فلو نطق كعالم بموجب قياس العلم والمنطق لما كان يؤثر في الناس كفره المزعوم .

ولرب قائل يقول : مالك وانت تكتب عن شاعر عبقري تقدم في شعره السياسة والدين ؟ الجواب : ان الباحث اليوم في احوال الشرق عموماً والعرب خصوصاً يرى ان للسياسة والدين الشأن الاول والاعلى في امورهم كلها . اجل ، ان في مصبفتي السياسة والدين تصطبغ الاقوال والاعمال والامال ، فيسند الشعر الصافي والنثر الادبي في ما ينظمون ويكتبون . وعند ما اجد في ثمرات العقول الكبيرة الحرة ما يعارض التعرّات المبتذلة الذميمة بنزعات جديدة في

الفكر والاعتقاد اقدمها عملاً باهميتها على غيرها . كذلك سلكت في تشریح جزء من شخصية صديقي الرصافي الممتازة .

اما الشاعر فيه المجرد من نعرات الناس ، ومن النزعات السياسية كلها - الشاعر الذي لا يعرف في الحياة غير الشعر والجمال والحقيقة العلوية فيهما - فهو دائماً فوق الجماعات والاحزاب ، لا يعتبر في الانساب غير النسب الذي بينه وبين الببل ، والعواصف ، والكواكب ، والازهار . ولا وطن له غير وطن الفصكر والعلم والحرية . فهو اذا سأله : ما الشعر ؟ يجيبك قائلاً :

وما الشعر الا كل ما رآح الفنى	كما رآحت اعطاف شاربها الخمر
وحركه فيه ساكن الوجد فاغتندى	مهبجاً كما يستن في المسرح المهر
فمن نفضات الشعر يجمع حمامة	على ايكمة يُشجى الحزين لها هدر
ومن شذرات الشعر حوم فراشة	على الزهر في روض به ابتسم الزهر
ومن ضحكات الشعر دمنة عاشق	بها قد شكا للحب ما فعل المجر
ومن جمرات الشعر رنة ثاكل	منجعة اودى بواحدما الدهر
ومن نفضات الشعر ترجيع مطرب	تعاود مجرى صوته الخفض والنبر
وان من الشعر ائتلاف كواكب	يجمع الدجى باتت يضاحكها البدر
وان ابتسام الغيد عن كل اشنب	ليطرب نفسي فوق ما اطرب الشعر

هوذا الشاعر الحقيقي . هوذا الرصافي ينطق بلغة زملائه واقاربه في البساتين

وفي السماء .

جميل صدقي الزهاوي

وللرصافي زميل ونسيب من الناس يشاركه الاقامة في العراق كان ينبغي لي ،
لو اعتدّ به السن والعلم في الشعر ، ان اقدمه عليه . ولكن الشاعر هو شاب ابدأ
والعلم في الشعر يكسبه حكمة ولا يزيده جمالاً . على ان لجميل صدقي الزهاوي
منزلة في الشعر العربي اليوم لا يشاركه احد بها . فهو في علمه ، وفي ادبه ، وفي
شعره اقرب نوايغ العرب الى المعري ابي العلاء . واذا صح مبدأ التناسخ والحلول
يكون « رهن الحبسين » قد طاد الى هذه الدنيا بعد الف سنة فالتخذت روحه
الزهاوي مجسماً جديداً ، ومعقلاً من الفكر مجيداً . أو ليس شبيهاً بصوت صاحب
اللزوميات صوت من قال :

« ثم بعيداً في خلوة الاجداث من رضاء الخطوب والاحداث

انما الموت خير ما خلفته لبنيتها الالياء من ميراث »

وما كان المعري في هذا التجسد الجديد موفقاً في الصحة والعافية ، لان
شلالاً في رجل من حل فيه يمنعه عن المتي . جاء في اللامية الزهاوية :

« وقد احاول ان أسعى فتعنتني رجل رمتها يد الايام بالشلل »

فاضطرت له اذا خرج من البيت الى الركوب ، وكان اختياره في المركوب
اختيار الشاعر الفيلسوف . هوذا الشاعر الفيلسوف راكباً اثنائه البيضاء كأنه من
مدينة المأمون المدورة لا من بغداد الجديدة . ولكنه يلبس الطربوش لا العمامة ،
فيبدو شعره من تحت خصلاً منثورة ساردة ، لكل منها يد من الهواء تداعبها
فتبعدها عن اختها . وقد يتصل بعضها بشعر لحيته التسطاء « البشفية » التي لا
تخضع حتى لتسطر من السيادة او لمقراض . وهي تظهر في اشد المظاهر الفوضوية
في الشوارب منها التائرقة على كل نظام وكل ظلام . وقد اختبأ تحت التوارب جل
ذاك القم البليغ الذي هو ختم الغم اذا مكث ، وباب الصواعق والاضاحيك اذا
تكلم . اما الانف فتنبسط الاطناب مستريح تحت عين دامة تشكر النظارات على
ما تجسمه وتوحده لها من الوان الحياة . وبشرف على هذه الايات في التكوين

المنثور جبين رفيع نصيب متيع .

اما ثيابه فاخرنجية ، ولكنها كذلك حرة اية ، لا يههما الشكل والزي ، وقلما تلفت الاناقة فيها النظر . بنطالونه كالكيس حول الساق ، قميصه مفكوك الزر عند العنق ، ومستقلة في بياضها - الغير الناصع - فلا يحتل قسماً منه شيء مما تدعوه قطعة او ربطة رقبة . شيخ زاهد بكل شيء سوى بالعلم والحربة ، وليلى الاخيلية . اجل انت الزهاوي ليلاه ، تطرد من نفسه الظلمات ، ومن قلبه الشبهات ، ومن بيته الطالبات . هي عروس شعره ، عروس حياته ، عروس افكاره واحلامه . وهي كذلك رمز سياسته .

« كان يهوى ليلي ابن عم ليلي فابتغاهما من اهلها كخطيب

ولقد اخبروه من بعد حين ان ليلي قد تزوجت بغريب »

وان هذا الشاعر في عشقه لكلاً باحى في بعض الاحابن يشرك بحب ليلي

كل عاشق حزين . هي ليلي الاباحية التي يخاطبها فيقول :

« ليلي أطلبي على العا شقين ليلي أطلبي

تري اعزة قور مطأطين بذل

تري صدوراً من الشو - ق والصابية تغلي

عدي وان كان وعد ال - حبيب رهناً بمطل »

ثم دخلت الشاعر من يدَي الوطني والفيلسوف ، ويركب وعروسه الاتان

البيضاء ، الى الصحراء ، او يختلي بطيفها في داره ، فيسمع من الشعر الرقيق

المنسجم ما يقارن اجمل نقات « المحنون » .

« ابيت في الدار وحدي معاتباً خيالك

قد عرفني انه كا ن باسمك كئناك

لا تسألني عما اصابني بعد ذلك

ما زلت اضمحجاً مناسباً لجمالك

ايبع كل حياتي بساعة من وصالك

اني بحبك يا ليل لي لا بحالة هالك

فهل سأخطر يوماً اذا هلكت بيالك ؟ ٠٠ »

جاءني الشاعر الفيلسوف ذات يوم يحمل الي شكاية هي ظاهراً عن ليلى وعشاقها — ما هم والله املأ لها ، ينظّمون الشعر للاخيلية ويقدمون الهدايا للاجنبية . والملك فيصل لا يكثرث ، واذا اكثرث فلا ينصف . أو لم اقل له في قصيدتي :

« لا يرأس الناس في عصر نعيش به الا الذي لقلوب الناس يمتلك »
والشاعر يا استاذ من الناس ، وله فوق ذلك حق على الناس ، في من يملكون او يؤمرون . ترانا نحمل المار بايدينا الى امة تكاد من الدنق تموت ، فيوقفنا في الباب اتاس لا يساوون فلامة ظفر منا . »

هي الحقيقة في كل قطر من الاقطار العربية . ولكنها في العراق مجسدة في كبار شعرائه . اعجب بشعراء غاضبين شاكين ، وقد تنازلوا عن مكافحة الزمان الى مكافحة الاسان . الا انهم يختارون ولا شك الاقران ، او من يدنو من الاقران . حمل الرصافي على سيدة اجنبية من اجل ليلى وعشاقها . وجاء الزهاوي يشكو من مدحه بالامس وكانت لا تزال قوافيه ترن في البلاد .

— سألوني يا استاذ ان اكون شاعر الملك وعينوا لي راتباً شهرياً . فقلت : لا امدح بالاجرة . واني اقبل الوظيفة بشرطين ، ان لا اقول الا عند ما اري المدح واجباً وان يكون الراتب لوظيفة غير المدح .

ففضب جلالتة ، وكان لي على بعض الاصحاب السائدين حق المساعدة فاعتنموا فرصة غضب الملك وانقلبوا علي . والله يا استاذ ما قبلت ان اكون شاعر الملك الرسمي الا بالشروط التي ذكرت معاذ الله ان اصير في اخر هذا الزمان مداحاً بالاجرة .

هذا نصف القصة سمعته غير مرة في بغداد كما رواه الزهاوي . وسمعت كذلك النصف الآخر . اما جلالة الملك فيصل فقد كان بين النصفين ، نتجاذبه كثير من ارادتين . واني اروي القصة كلها لما فيها من نور بضيء . بعض زوايا ملك الجديد . اتنا نرى في البداية جلالة الملك بين شاعرين هما صنوان ، هما

شاعرا العراق الاولان . وللشاعرين اصحاب من ذوي السيادة والتفوذ في المدينة وفي البلاط . وبين الشعارين ، بل بين الشعراء على الاطلاق ، منافسة دائمة تكاد تكون طبيعية . قد فات ذلك بجلالة الملك فأغضب في انعامه الشعارين معا .

ولو كان ممن مارسوا الشعر وخبروا طبائع الشعراء لاختار لهذه الوظيفة احد ابناء الطبقة الثالثة او الرابعة لانهم يحسنون المديح أكثر من سوامم ، ولكن كفى نفسه عداء شاعري العراق الكبيرين بل كانت في استطاعة جلالاته ان يعمل احسن من ذلك ، فيقول لمن حببوا اليه « الشاعر الرسمي » ، انا في بداية امرنا ، ولا حاجة لنا بمدح مأجور . او انه يقول : شاعر البلاط من كالات الملك ونحن اليوم احوج الى الضروريات . أفلا تظنه مقلعاً لو اتخذ هذا المسلك ورفض ان يعين شاعراً رسمياً ، فيصير شعراء العراق كلهم شعراء البلاط — وبدون اجرة ؟

— ظلمت والله يا استاذ . انا لا ابغي اجرة على المديح اذا مدحت واني لا امدح دون ما فكر او نصح . ألم اقل ليفصل :

« تلقي اعتمادك لاستتمام نهضتهم على الدين بنهيج الحق قد سلكوا
على اناس لصدق القول قد لزموا على رجال لغل النفس قد تركوا
على الألى عرك الايام اظهرهم عركاً طويلاً ولللايام قد عركوا »
احل ، ومن ياترى عركتهم الايام مثل الزهاوي ؟ ولكن الشاعر يخدم بلاده في ما لا يحسن الخدمة احد مثله . قد تقلد الزهاوي مناصب في الدولة كثيرة وكانت يوماً له ويوماً عليه ، وكان في ذلك واحداً من كثيرين . وقد تعددت صفاته في فنون الادب ، فشغف بالعلوم الطبيعية ، وألف كتاب « الكائنات » وكتاب « الجاذبية وتعليلها » وكان فيها واحداً من مئات الغواة . ومن غرائب اجتهاده وتنوع علومه انه كتب رسالة في سباق الخيل وكتاباً في علم الداما . وفي هذا الكتاب العجيب ذكر الف لعبة من مخترعاته ! فلو لم يكن الزهاوي شاعراً وطنياً لقلنا ان في تعليم الامة لعب الداما وظيفته

الكبرى . ولكنه شاعر كبير بالرغم مما في شعره من مبتذل القول مثل :
« العلم ثروة امة ويسار والجهل حرمان لها وبوار »

« ان التوقف في زمان حازم فيه تقدمت الشعوب آمار »

« من راح يمشي في طريق مسنور أمين العثار فما هناك عثار »

ومثل قوله في مطلع قصيدة « الجهل والعلم » :

« الا ان ليل الجهل اسود دامس وان نهار العلم ابيض شامس

تشقى حياة ما لها من مدرّج وتشفى بلاد ليس فيها مدارس »

هي حقائق لا ريب فيها . ولكنها من الحقائق المعروفة المبتذلة ، وقد اصبح
الاعتقاد بها عند الغربيين من باب الاعتقاد بوجوب الرياضة مثلاً او الال .
اما عند العرب فالامر غير ذلك . وانه ليغتر للشاعر في امة تطرب للتعرب
الغربيين للموسيقى اذا وضع لها حقائق كل يوم - حقائق ايام السغل - في
قوالب شعرية .

من مزايا الشاعر الحقيقي ان البؤس في الامة يحزنه حتى الالم ، فيصبح كأنه
هو الامة البائسة الموحوجة ، فيسمع صيحته من قد خشت او تحدرت من الآلام
اعصابهم ، فيستيقنون طالبين الدواء والشفاء . هذه هي وظيفة الشاعر الكبرى
في امة كان للعلم فيها ربوع زاهرة امست كالقفر الياب .

ولكن في شعر الزهاوي غير هذه الحقائق - حقائق ايام العمل . ان فيه
كثيراً من حقائق الآحاد ايضاً والاعباد . هو الشاعر الذي يبهجه اريج الازهار ،
وبريق الانوار ، فيود لو كان باسكانه ان يداوي بها البؤس والظلام - البؤس
الذي منشأ الخمول ، والظلام الذي هو الجهل .

انا تقديس مرأ في الاكوان . فحبذا ما تقديس دواء لما تقاسيه . حبذا
الحياة ، حياة النمو الدائم والتعدد الدائم . ولكن الجهل عدو هذه الحياة وعدو
الله ، والمتاجرون بالجهل رؤساء الاديان ، ورؤساء الاديان في كل بلد لا يحفّ

شرم الا بمثل الزهاوي والرصافي وشعرهما . وما هنا في هذه الامة الجديدة سبب
التغيظ الجديد ومصدره . اولئك الجامدون في مكانهم وفي علومهم يكفرون
الناس فيدفعون ذوي النبوغ فيهم الى الكفر بالله . ان وجودهم في المجتمع
الانساني امياداً لما يضعف الثقة بالعقائد الدينية كلها ، فيخرج الزهاوي اذ ذلك
من المبتذلات ، ومن الوطنيات ، وينظم ديواناً كاملاً في « نزغات الشيطان »
فيسمعك من الحقائق التي هي كالنصل الباني وكالمدفع الالمانى . ويسمعك بعد
الزجره ضحكة لا تنسى زمانك صداها وصدى التهكم فيها .

« توقفت لا ادري تجاه الحقائق أأني خلقت الله ام هو خالتي »

ان الزهاوي في « نزغات الشيطان » مثل ابي العلاء في « رسالة الغفران »
وقد يفوق معري اليوم معري الامس جسارة وبريقاً . فتصل يد شيطانه حتى
الى العرش الاقدس ، وحتى الى الحية صاحب العرش . على انه بعد التطاول
والتجديف يستغفر الله ويعود الى عمل كل يوم فيرى الغرب في الشرق فاعزاً
فاه ، ضارباً بعصاه ، فيزجره بالمبتذلات ويهدده :

يا ايها الغرب ان الشرق مضطرب

يا ايها الغرب ان الشرق معتصب

خفف من الوطء فالايام تنقلب

الشرق يشبه يركاباً به حمم

اخاف من انه ياغرب ينفجر

يا سرحة الماء انت اليوم وافرة

وانت ناعمة خضراء ناضرة

لا تأمني الدهر فالايام قاهرة

يا سرحة الماء ان جاء الخريف غدا

فانما هذه الاوراق تنتثر

ثم بين التجديف والتعنيف يسمعنا الشاعر من نغماته الناعمة الصافية ما هو
من صميم الشعر الذي يستأثر بعناه الایماء ، فالسكوت ، فترى الدمعة فيها تروي

الابتسامة ، وثرى الابتسامة تحضن الدموع كما يحضن ورق الورد الندي . من ذلك قوله مخاطباً مباء العراق :

« انظريني اذا العنادل غنت سحراً فوق منكب الشجراء
انظريني ليلاً اذا الشمس غابت بعيون النجوم في الظلام
انظريني اذا الطبيعة اصفت في الدياحي الى خير الماء
انظريني اذا الحوادث رامت هداة في الصباح او في المساء
انظريني اذا الخريف تراءى آسياً من اشجاره الجرداء
انظريني اذا غدا الروض خلواً من زهور او زهره من رواء
انظريني من الفروج خلال الـ سحب مرأ بعينك الزرقاء
انظريني اذا نظرت بعيني وهي شكري اليك عند البكاء »

كاظم الدجيلي

ان في العراق من العلماء من لا يزال في المعتل الذي مات فيه « ملفان » الكنيسة الميحية يوم قضي على ما كان للكنيسة من سيادة ادبية في العالم . وعهد « الملفان » ليس بعيد . بيد ان وظيفته في مراقبة اداب الدنيا والدين لم تكن لتتخصص بالكنيسة الكاثوليكية ، بل تجاوزتها الى علماء اكسفورد^(١) البروتستانتين الذين كفروا في النصف الاخير من القرن الماضي دروين واصحابه لقولهم ببدايش النشو والارتقاء . على ان زمن ال « ملفان » في المسيحية قد ولى ، وكذلك ال « دون » فودعهما التاريخ شاكرآ مسروراً .

اما في الاسلام ففي بعض الاقطار كالعراق مثلاً لا يزال العالم يحمل سهام التحريم والتكفير ، يرمي بهما من خالفه رأياً او نشر ما يخالف عقيدته في اداب الدنيا والدين . ولا يحق للتسعة وحدها ان تفاخر بمثل هؤلاء العلماء وان اكثر صدهم عندها . فان عند السنة منهم من يسود الوجه حتى يخفى على « ملافين » كربلاء والتجف .

(١) اكسفورد اكبر جامعات انكلترا وهي المدينة التي تسمى بهذا الاسم . والملفان يدعى في اكسفورد « دون » Don .

وهناك في تلك البقعة النائبة عن دوائر العلم الغربية بعض رجال الدين المسيحيين الذين ينقون تقيق الضفادع كل مرة يسدح في البلاد صوت حر كرم ، فيصدرون الفتاوي بالتحريم والتكفير اقتداءً بفضيلة الشيخ الاعظم و « آية الله » الأكبر . وما الفرق يا ترى بين ثلاثة هم واحد تجاه الحقيقة ؟ انهم وان اختلفوا اسماً ومذهباً لأعداء الحرية . بل هم الأحرار على انصارها . الا ان الكرمل والالوسي والقزويني لثلاثة رؤوس ، هي التقليد والتقييد والتعقيد ، على جسم واحد ، هو التعصب . وكلهم لادام فضلهم من فضلات السخافة والخرافة في العالم . بل من آيات السقم والمقم والادعاء والرياء ، ان كان في الكاظمية^(١) او في الاعظمية^(٢) في النجف او في بغداد .

وكلهم يكفرون الزهاوي والرصافي والدجيلي ، ثالث المغضوب عليهم هناك . على انه في الساهل والصحراحة والجرأة الادبسية علم من الاعلام وقلما يُعد احد قبله . الشيخ كاظم الدجيلي فيلسوف ينفر من الخيال ، وشاعر يهوى صدق المقال ، وليس في ظاهره ما ينبيء بوجود الشاهر فيه او الفيلسوف . ليس في طلعتة او في صوته ما يستميلك اليه او يستوقفك وانت غريب . بل في وجهه المخروط الضامر ما يشير الى النزق والتسرع ، اللهم اذا قسنا التكوين الالهي بمقياس الفن الالساني ، فنقول ونستغفر الله : قد ارتجفت يد المكون في تكوينه ، او ان الناظم اخل بالنظم فلم يك موزوناً . هالك وجه الدجيلي . عيناه بعيدتان الواحدة عن الاخرى ، فمه وانفه كبيران بالنسبة الى صفحة وجهه ، شعر رأسه وهو دائماً قصير يظهر انه ملتصق بجبينه . ا.ا الرأس فقيه من الاذن الى القمة طول يحالف ايضاً قواعد التناسق ، وهو الدليل الظاهر الوحيد على ما في الرجل من قوى التفكير والحكمة . وليس في صوته اذا حدثك ما ينسبك ظاهر صاحبه ، او يستغوي الغرض فيك ، فهو دائماً عالٍ رفيع لا منخفضات فيه

(١) الكاظمية مدينة على الساحل الغربي من دجلة على مسافة اربعة اميال من الكرخ واهلها من الشيعة وفيها جامع جميل مدفون فيه الامامان موسى الكاظم ومحمد الجواد .
(٢) الاعظمية هي قبالة الكاظمية على الساحل الشرقي من دجلة وفيها قبر الامام الاعظم ابي حنيفة .

ولا منعطفات . تنفر منه لاول وهلة ولا غرور . الا انك بعد ان تألفه ترتاح الى الوتر الواحد فيه . وقد تكون المادة التي يحملها ويرمز اليها السبب في ذلك . انما هي لب الرجل وكنهه ، هي حقيقة وجوده .

ان الدجيلي عقل كله ، عقل صافٍ لا يمازجه شيء من الروح والقلب . فيه نور الشمس ونارها ، وليس فيه ظل او خيال . وهو في حرته مثل نور الشمس يحرق وينير ، ويحرق احياناً نفسه قبل ان يحرق سواه . ما اجتمعت في البلاد العربية برجل مثله في صراحته وجرأته واخلاصه . وانك في الشرق ، حيث اللطف ضارباً اطنابه والتجمل حامل ابداء محرقة الطيب ، لتعجب بالدجيلي ضعف اعجابك بمثله في اوروبة او في اميركة . وما تأثير الظواهر بعد ان ينكشف النقاب عن هذه العقلية الباهرة .

رجل ولد في مهد التقليد والنقييد والتعقيد وهو اليوم مطلق منها كلها ، ينبذ المذاهب الدينية ، ويحمل عليها ، ولا يحتفظ بغير اللب من الدين . له في الحياة عقيدة مادية يجهر بها ويناضل عنها ، شغف بالقوة القاهرة وهي عنده الحق ، لا يرثي للضعيف ، ولا توقفه زخارف التلطيف واوهام الغيرة والاحسان . هو في شعره اقرب الى شعراء الجاهلية من حيث انه لا يرى الا ما يرى من حقائق الوجود . ولكنه في ذلك عصري ، ابي انه اتخذ هذه الطريقة لانها تساءد اكثر من سواها في تجريد الاداب من توهاتها ، والادبان من خزعبلاتها ، والاسان من اوهامه كلها .

يذكرني الدجيلي بشاعر انكليزي من شعراء التطور الاخير من القرن الماضي جرد شعره من حلي النقايد الصناعية كلها — من زخارف الخيال ، من اوهام الآمال ، من مصقول المقال ، فجاءت قوافيه كالبرق يشق الظلمات ، وكلماته كالصلصال وقد جردت من الانغماد . هو الشاعر الكبير شعراً لا شهرة ارنست هنلي^(١) القائل :

ولو احيقت بي الظلمات والاعصار ،

وكان الليل من القطب الى القطب كالتقار ،
فالى الامام ولا اندحار ،

اخي ريان هدم النفس ، ابي سيد الاقدار .

وكان هنلي وقد كان معاصراً لنيثشي^(١) الفيلسوف الالماني الشهير يردد شعراً احدى كلماته الملتهية او شيئاً من فلسفته المكهوبة . - الارادة الارادة . العزم العزم . الاعتقاد على النفس . التدرع على الضعف فلا تمسكته منك . والقوة اولاً واخراً . خذ هذه الفلسفة نظماً من شاعر عربي عصري من « هنلي » الشيعة من « نيثشي » العراق . قال الدجيلي في مطلع قصيدة « الحياة الاجتماعية » :

حديثك عن غير القوي حرام	وسعيك في نصر الضعيف اثم
تحدث بمجد الاقوياء فقيهم	تعود باحكام الوري وقيام
يوهله مذ صار ابن آدم قوة	وما الكوث الا قوة ونظام
اذا كنت بين العالمين اخا قوي	رعنك عيون الناس حين تمام
حى الغاب بأس الليث من كل طارق	ولم ينبج من فتك البزاة حمام
يقولون ان الحق من فوق قوة	وما الحق الا مدفع وحمام

لولا ما في هذه القصيدة مما لا يخلو شعر عربي منه ، اي العادي المبتذل من الفكر والتعبير ، لجاءت في تجردها ، مثل شعر هنلي من اوهام الخيال وزخرف الآمال ، فريدة في بابها . وقد تطرق الشاعر فيها الى ذكر الاديان فقال :

حكاية اديان الانام عجيبة	تجمع فيها فرقة ووثام
تريد الهدى والخير للناس كلهم	وكم ثار منها فتنة وخصام
وغايتها القصوى عبادة واحد	حقيقته ما انت ترى وتراه
عظيم لديه يصغر الحق كله	وتستصغر الاجرام وهي عظام ^(٢)

(١) Frederick Nietzsche

(٢) وان عظموا كيوان تظلمت واحداً يكون له كيوان اول ساجد

مهما كان من تززع عقيدة الشرقي فلا يحمده ذلك على الالحاد . بل يظل
مؤمناً بالله في ما صفا وتمكر من امره وخمره . وعلى ذكر النمران للدجيلي اسهماً
في شركة الخيام وابي النواس كما له في شركة ابي العلاء المعري . فقد وصف
النمر ومدسحها وذمها كذلك بعد الاختبار فكان في الثلاثة صادقاً .

الم بك ما نظمت بها صحيحاً ؟ فلي فيها تجارب واختبار
وقد جاء في قصيدة له عنوانها « بوليس بغداد » وهي احدى « منظومات
السجن » :

ادرها علينا بالكبير فاننا كيار ومن شأن الصغار صغيرها
متي يهدر الا يريق عند انساكها طينا يزدنا من هواها هديرها
وفي هذه القصائد من التجريد ، ومن القول الصريح الشديد ، ما يميز المقابلة
بينها وبين « منظومات المستشفى » للشاعر الانكليزي الذي ذكرت

الى ان وردنا السجن والسجن ضيق وقاعته محدوديات صغورها
يشم حديث العهد منها نثانة يزيد اذا اشتد الهجير ظهورها

وفي الصبح ساقونا الى متحكم باحكامه غر سحاه غريرها

وطاقتنا كلاً بعشرين جلدة فجيء باسواط دقاق سيورها
في آداب الافرنج وفنونهم طرائق شتى تشعل اغراض الحياة وطبائع الناس
كلها . منها ما يدعى « ريباليزم » Realism وهي طريقة من يلتزم في ما يصف
او يفصح عنه الحقيقة المجردة ، دون مبالغة ودون تهيب . وقد يجوز اهمال بعض
اجزاء فيها خشية ولياقة ، الا يتقزز القارىء ولا ترتعد فرائضه . وهناك
طريقة اخرى نشأت بعد الطريقة الاولى لتسد فراغاً مزعوماً فجاء اصحابها وفي
مقدمتهم اميل زولا بكل ما هناك من هول الحقائق الواقعة ومرعبات الوجود ،
وفي شعر الدجيلي شيء من الطريقتين .

يا لك من آمرة ناهية احكامها نافذة ماضية

جامعة الاضداد شيطانة الالهة رشيدة غاوية
قاسية رفيعة الحاشية مافلة عالية راقية
خبثثة شريرة باغية طيبة طاهرة زاكية
يدفعها النفع على حب من ينفعها ولو الى الهاوية

ليست المرأة من يصف بل هي ٠٠٠ النفس التي حيرت افكار ارباب النهي
السامية - وقد قال فيها ما لا يخرج عن الحقيقة ، فكان في هجوم صادق ولكنه
جائر - والجور من شيمة الـ « نيتشين » وقد قال في عبادة الناس لله :

عبد الناس الها ما راوه ورآهم
طمعاً فيه وخوقاً منه . هل يخفى هوام ؟

بل قال اكثر من ذلك ولم يستثن حتى نفسه او يتناساها :

ارى حياة الورى جهاداً في معرك دائم النضال -
يخضع فيه الفتى اخاه والحدع قد جاز في القتال
كل امرىء ناصب حبالاً حتى انا ناصب حبالى

ان ادب الشاعر الحقيقي وان افقره ليقينه من حبال مثل هذه الحياة ، وان
علم العالم واخلاقه ليرفعانه عليها فيسلك مسلكاً ينفي به ما يسجله على نفسه - هذا
لعمرى فضل الادب والعلم حتى في من كانت عقيدتهم بالحياة مادية دهرية -
والشيخ كاظم الدجيلي بعيد عن التعصب العلمي بعده عن التعصب الديني - سألتني
مرة رأيت في الارواح واستحضارها فقلت : لا اصدق ولا انفي - يهمني درس
الموضوع ولا يلذ لي التشيع - فقال : وانا من رأيك - الحياة اضداد - وقد نتخذ
الارواح لها جسماً من الكهرباء في القضاء - وقد تكون الكهرباء البحر الذي
تعيش فيه الارواح بعد الموت كما يعيش السمك في الماء - بل قد تكون هي
مصدر الكهرباء وكنهها فيمتزج بعضها بعد الانفصال عن المادة في الفيض العام ،
وبعضها تظل مدة على كونيتها الارضية فتزورنا اذا رغبتنا بزيارتها وتبليبل افكارنا -
هذا مثال من عقلية الرجل العلمية - اما عقلية الوطنية فالحدة تغلب فيها ،
بل هي غالباً في حالة الاضطرام - اذكر يوم كنا في كربلاء انه تكلم في مجلس

غص برجال الشيعة اخوانه وكانت الصراحة تسابق التسخط في حديثه فاشفت عليه من نقمة المتعصبين . سمعته يمدح الامة الانكليزية لما فيها من علم وادب ووقوة ونظام ثم صاح بهم قائلاً :

— واين العلم واين القوة واين النظام عندنا ؟ افي حكوماتنا العربية والعصر الماضي الذي تسعونه مجيداً انما كان عصر السفاحين ؟ افي مدارسنا وقد عثش الفساد حتى في انكتاتيب ؟ افي بيوتنا وقد تراكت في زواياها وفي صحنها اوساخ التقاليد وعفونة العادات القديمة الدميعة ؟ افي ديننا وقد حلت الخرافات والقداسات المزعومة محل اليقين والعمل المفيد ؟

هوذا الدجيلي يقرع ابناؤه قومه ، ابناؤه مذهبه ، فلا عجب اذا اتقى المجتهدون غير مرة بتكفيره .

مجيد الشاوي

ها قد عرفتك ايها القاريء العزيز الى ثلاثة ممن يكفرونهم في العراق . وتذكر اني قلت انهم اربعة . اليك اذن يسجل الكفرة كله . ان الرابع في السجل الكريم عربي تجاوز العقد الخامس من العمر ولا يزال فتياً — فتياً برأيه ، فتياً بلهجته ، فتياً بروحه وبواجب راحه . قد شغل هذا العربي مناصب متعددة في الحكومة ، وما خرج من واحد منها اسفاً . هو من اولئك الموظفين القليل عددهم الذين يعطون المنصب اضعاف ما يأخذون منه . فيخلصون الخدمة ، يعدلون ويصلحون ، ولا يكون جزاؤهم غير جزاء من لا يعدل ولا يصلح ، بل اقل . يبدلون من قواهم ومواهبهم خيرها ، ويخرجون من دار الحكومة والفقر يشيعهم الى البيت . على ان النزاهة تراقبهم ايضاً وتلزمهم دائماً فتعزيهم بعض التعزية .

ان الرابع ممن اخص هذا الفصل بذكرهم هو عبد المجيد بك الشاوي ، الشيخ عبد المجيد ، الذي يشبه السيامي الافرنسي الكبير كليمنصو ليس فقط في وجهه بل في ذكائه المتأجج وسلوكه البسيط الشاذ . وقد تكون صورة الاسد

في وجه الشيخ عبدالمجيد اظهر من صورة النمر . الا انه في صوته لا يهدر ولا يزجر .

كنا في بهو الانتظار ننتظر الامر لنصعد الى بهو الاستقبال فنسلم على جلالة الملك فيصل وتقوم بالواجب الآخر الذي دعينا له . وكان في المدعوين للأدبة من الانكليز العسكريين والمدنيين من جاءوا في اثوابهم الرسمية ونياشينهم ثلثاً لاً على صدورهم ، ومن جاءوا يلبسون الاسود القاتم وقد صقلته المكواة وعززت اطرافه وحروفه . ولم يكن بين الوطنيين الذين ارتدوا كذلك الاسود المصقول ، والايض الناصع المكوي ، طوعاً للامر الملكي المطبوع بماء الذهب على رقاع الدعوة ، غير واحد لم يكلف نفسه الطاعة وما تستوجبه مثل هذه الرسميات . جاء في ثوبه الافرنجي اليومي وقد اكسبه الزمان لمعة في حناياه ، وهو يلبس قميصاً — استغفر الله اذا العين اخطأت او الذاكرة — لا تعرف النشاء حتى ولا المكواة . هو عبد المجيد الشاوي ، شيخ المعريين في بغداد .

وكان اول اجتماعي به تلك الليلة فاتحة الحب والاعجاب . لم يزرنني في الفندق ، ولم يسمع الي في غير مكان مثل غيره من الاخوان . ولكنه قال عندما تصالحننا : نحن ابناؤ عم وليس بيننا واجب التجميل واللياقة . فلم افقه مراده ولم اتظاهر بغير ذلك . فقال : انت ابن المعري وانا ابن الخيام والاثنان اخوة . ليس في الانساب اشرف من هذا النسب . اهنتك واهنت نفسي .

واذا انتسبت وقلت اني واحد من خلقه فكفي بذلك تنسياً
اراد المعري بقوله من خلق الله . ونحن فكراً ومبدأً من خلقه اي من خلق المعري .

فقال احد الحضور : ولكن المعري كان منقشفاً الى حد النسك .

فاجاب الشيخ مجيد على الفور : لزوم ما لا يلزم . ونحن كذلك ننكشف الى حد الاضطرار .

فقال آخر : والمعري يذم بنت الخان .

فاجاب الشيخ الذي امسى نقطة الدائرة : والخيام يمدحها . وهي تستحق

الاثنين . الذي ينقص المعري يكبله الخيام . هما خير الرسل ، رسولان صادقان
كريمان سويان - فبأي الاء ربكما تكذبان .

وقد برهن الشيخ عبد المجيد تلك الليلة على انه من اتباع الاثنين الصادقين .
رأيته الى المائدة يحسو من المشمشة الذهبية الكأس تلو الكأس وسمعته يردد من
اللزوميات وهو يميل الى جاره السيد افنان :

رويدك قد غررت وانت حر بصاحب حيلة يعظ النساء
بحرم فيكم الصبياء صبغاً ويشربها على عمد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهان الكساء
ثم رفع الكأس ولم يبق فيها غير النذر فشرب ثم قال :

وقد شرب الدهر صفو الانام فلم يبق في الارض الا العكر
ليس الشيخ عبد المجيد^(١) من اصحاب القوافي الا ان تكون لغيره . وكأني به
لا يضيع وقته في النظم وعنده اللزوميات يستعين بها على الزمان واضاليله . ولا
هو ممن يسودون الاوراق ويبيضون مع انه غزير المادة ، صافي الدهن ، سريع
الخطاظر ، لا يكبو يراعه اذا راح عادياً في مضمار الانشاء . ولكنه مثل مقراط
يفضل الكلمة المقولة على الكلمة المكتوبة . هو عبد المجيد كتاب لنفسه ، يقرأ
منه في المجالس ، ويعيد كلماته ويمكنها حسبما تقتضي الحاجة . لا يداري ، ولا
يحاجي ، ولا يتهيب احداً . هو في صراحته صنو الدجيلي والرصافي ، ولكنه في
سرعة خاطره ونكته وميله الى الاحماض هو اثنى بالنقيب السيد عبد الرحمن .
كنا يوماً في مجلس ابن النقيب السيد محمود فدار الحديث على حروب النبي
محمد وما كان يظهر فيها من حنان صاحب النبوة وحلمه . فقال الشيخ مجيد :
حنان الذئب على الشاة . وابن الحنان وابن الحلم ، رعاك الله ، في تحليله الرق واباحة
النساء لرجاله . كانت حروبه مثل حروب تلك الايام ، ولا تختلف عنها الا
بالدهوة . . . وما ذنب النساء في الحروب ؟

(١) رحمه الله . جيء به مريضاً الى بيروت في صيف هذا العام ١٩٢٧ فما انلاه تغيير
الهواء ، ولا نصح فيه العلاج والدواء .

فاجاب السيد محمود بان النبي صلى الله عليه وسلم اراد بالنساء خيراً حينما كان يجيز سبيهن واسترقاقهن . لانه اذا دخلت جنود الاسلام بلاداً فمن ياب الشفقة على النساء يأخذ كل محارب قسسته منهن فيمولهن ويحمين .

فقال الشيخ عبد الحميد : هذا من باب الاجتهاد . ما اظن في النساء قديماً وحديثاً من ترضى ان تكون عبدة اسيرة خوفاً من ان تموت وهي حرة من الجوع . دفاحك مثل دفاع الذئب عن الشاة عندما وثب عليها ليحميها من الضبع . . . لا تزال متأخرين ، متأخرين جداً ياسيد محمود ، اذا كنا ترى شيئاً من الحق في مثل هذا الدفاع عن مساوي اجدادنا وفضائلهم . . . الغريب في امرنا نحن المسلمين اننا لا نتقدم الا اذا رجعنا الف سنة الى الوراء ، لا نرثي حقاً الا اذا رجعنا الى ابي العلاء المعري . فنبتذ الاضاليل كلها وتنبذ المنتطحين من طلائف الذين يثبون هذه الاضاليل ويثبتونها في الناس

نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باكرام وتصديق

وقد قال ايضاً المعري ونعم القول :

ولا تطيعن قوماً ما دياتهم الاحتيال على اخذ الاتاوات

انت الشرائع القت بيننا احناً واودعتنا افانين العداوات

والاديان والمذاهب بلية الشرق الكبرى :

تألف غي الناس شرقاً ومغرباً تكامل فيهم باختلاف المذاهب

نعم ، وفي قلوبنا منها السم ، وفي عقولنا العفونة . يضحكني ويبيكني صياح

شعرائنا وخطبائنا . يهددون الغرب بنهضة الشرق . ولعمرى يجب ان ينهض

الشرق على نفسه ، قبل ان ينهض على الغرب ومدنيته . ولا نتقدم نحن المسلمون

الا اذا عدنا الف سنة الى الوراء — الى المعري ابي العلاء . (١)

(١) ما اصدقها كلمة ، وما ابلتها ، وما اجدرها بالنقل والترداد . خدوها من الشيخ مجيد واسترحوا له الله . انها لمن الحكم التي تضمن الخلود لاصحابها ، فكم من شاعر وكم من اديب تغلب على النسيان والقناء بكلمة بليغة ذهبتمثلاً او بيت من الشعر تغنت به الرصبيان .

ابن خلكان العراق

وفي العراق من الادباء كثيرين من هم شغفون بالحرية ويروح [الادب الجديد - ولكن هذا الفصل يضيق دون ذكرهم ، وهذا الكتاب ، « ملوك العرب » لا يسمح بفصل آخر اخصه بهم . الا اني افصح لكبيرهم عملاً لاسنا فيقف — ولا كرمي اخر للجلوس — بين من ذكرت .

هوذا دائرة معارف ادباء العراق وابن خلكانهم ، صديقهم الاكبر ، ناشر آثارهم ، حامل لوائهم ، روفائيل بطي . وهو منهم في الصف الاول . فقد حمله حب الاداب العصرية على تأليف كتاب « الادب العصري في العراق العربي » الذي نشر منه الجزء الاول وسيليه ثلاثة اجزاء . هو عمل ادبي كبير ، وهو جدير بالبطي المعروف بنشاطه واخلاصه ، وبذوقه وغزارة علمه . لذلك سميته دائرة معارف ادباء العراق وابن خلكانهم .

وروفائيل اسلوب في الالقاء سهل منسجم حلي ، لا تكلف فيه ولا اغراب . وله في معالجة المواضيع مزية مستحبة ، هي انه يقف عند حد بين الاسباب والاقتراب فلا يطولها على نفسه فيسمل ، ولا يقصرها على القارى . فيضل . هالك مثالا من الكتاب الذي اشترت اليه :

قال في الزهاوي :

« نشأ الزهاوي في بيئة تصوحت ازاهير الادب فيها بعد الازدهار ، ودرست معالم العلم بعد ان ناطحت بعلمها الفضاء ، فراعته الجود الهائل المستولي على الفهوم والاقلام ، واستنكر الطريقة البالية التي يتبعها النظامون مقلدين غير مبتكرين . . . فلم تأنس روحه الناهضة هذه الخطة ، وعز على عقله المتوقد ذكاء ان يبقى مصفداً باغلال التقليد . » (١)

وقال في الرصافي :

هو اول شاعر جاء قومه العرب بما يحبون وصارحهم بما لا يحبون . لم يعرف

(١) الادب العصري في العراق العربي - الجزء الاول - صفحة ٥ .

للتقليد او الخضوع للبيئة معنى لا في صناعته ولا في افكاره . كانت من شعره
صيحات عملت على تقويض معالم الاستبداد الحميدي ، كما انه ما لبث بعد نحية
الدستور العثماني واستبشاره به ان رجع ينعي على القوم تحاذيهم لما شام فيهم
من الرجعة . « (١)

وقال في الدجيلي :

« لو كان للعلم والادب قيمة في هذه الديار لكان للشيخ كاظم الدجيلي
مجال واسع لاظهار مواهبه وجلده على البحث . ولو كان لحرية الفكر حرمة سبغ
هذا القطر لرنت حقائق الدجيلي في شعره رنة تحدث بها المجالس . « (٢)
ان روفائيل ايضاً من الشعراء العاملين في السبيل الذي فيه التحريم والتكفير .
وسيكفرونه ولا شك تكفيراً مضاعفاً لانه يسبى الى اصحاب العقائد والاداب
العتيقة اساءتين في الفكر وفي الطريقة . اجل ، هو من انصار الشعر المنشور . وقد
قال في قصيدة له عنوانها « النابغة » :

وجدتني في مجاهل ارض كل ما فيها يشير الدهش والذهول .
ورأيت نفسي مكبلاً بسلاسل التقليد ، سجيناً في قفص
الاهام ، اسير عادات ، ورهين اوصاب .
حطمت السلاسل ، وكسرت القيود ، وقوضت جدران الوهم ،
وانعنت مما درج عليه اجدادي
فصاح اخواني وضجوا ، واعولوا وبكوا .
رأوني خارجاً عن سجنهم ، اتمتع بحرية هم منها محرومون .
شاهدوني ارفل بصحة وسلامة ، وهم في الامهم يتعذبون
اولئك الذين يتخذون من جهل الشعب علمهم ، ومن ضعفه
قوتهم . —

وقاك الله شرهم يا روفائيل .

الفصل السادس عشر

حجر الزاوية

الشعراء والسياسيون — المدارس العالية — المدارس العامة — بودقة الوطنية — في دار المعلمين — المدارس في العراق — الطريقة التركية في التعليم — الانكليز يقاومون الفكرة اللاطينية — مساهمات الحكومة للمدارس الخاصة — الحاجة الى معلمين — هل السوريون والمصريون اجانب؟ — ساطم المصري — حديث عن المعلمين السوريين — معمل الشوكولاته ودار المعلمين — استعينوا بالسوريين والمصريين .

الاعلانات في الاسواق — « طلب العلم فرضة على كل مسلم ومسلمة » — « لا حياة بغير العلم » — « العلم اساس العمران » — المعهد العلمي مصدر الاعلانات — عميد المعهد ثابت عبد النور يصطدم بعُمة الحياة — لماذا خلق الله الانكليز؟ — لماذا خلق الله الخوانين؟ — اخوان ثابت في المهود — حفلة سوق عكاظ — قف عند السود وائل الالية — ثابت يهندي — عمرة الاعلانات — تدليم الاميين — بعد صودتي من نجد — لماذا خلق الله ثابت عبد النور؟ — يعلم الاميين الالف باء — المدارس الليلية المجانية — دورة التفتيش — ثابت يمشي في الليل ولا يصطدم بعمود واحد — المادى الاجتماعية الخمسة — حجر الزاوية — الملك فيصل يساعد المشروع — هرون الرشيد يزور متكرراً المدارس الليلية .

ليس بالشعراء والادباء يُستدل على ترقى الامة ، ولا بالسياسيين والصحافيين تُسبر العقليّة المدنية فيها . فقد تمتاز امة بتعدد شعرائها وادباؤها ولا تمتاز بوطنيّتها . وقد يدير المحنكون من السياسيين شؤونها ولا يعززونها ، وقد يقود الصحافيون الرأي العام وليس فيه روح مدنية ترفع الامة المفككة الاوصال الى وطن صحيح سالم موحد المقاصد ، موثق العرى .

وقد تكثر المدارس العالية في امة وتكون عليها ، كما هي في سورية ، بلية من بلايا التفريق والشقاق . حتى ان المدارس العالية ، ولو كانت وطنية امماً وعملاً ، تنحصر فوائدها في عدد مخصوص من شباب الامة . وقد لا تُفيدهم الافادة التي تؤهلهم للسعي والفوز في مضمار الحياة . بل هي تخرج شباناً ادباء

يكونون غالباً تكلاء ، فنتألف منهم طبقة الافندية الذين قلما يصلحون لعمل وطني مفيد .

لم يبق اذن غير المدارس العامة نعتمد عليها في تحسين عقلية البلاد المدنية ، وتوليد روح وطنية جامعة راقية عاملة . اجل ، ان المدارس العامة لدليل الرقي الحقيقي في الامة ، لانها تعمم التعليم وتوحد المحجة فيه . هي البودقة التي لتكون فيها الروح الوطنية الجديدة . بل هي سياج الوطن وفيها عز الملك وشرف الامة .

ولكنها لا تكون كذلك ، لا تفلح في التكوين ، الا اذا كانت البودقة واحدة لا تتغير في تغيير المكان والمذهب واللغة . ان امة تعددت شعوبها ، ومذاهبها الدينية ، ولغاتها ، لا يتكون منها وطن عزيز الجانب ، رفيع الشأن ، مها كانت سلطاتها ، مها كان جيشها ، مها كانت ثروتها ، الا اذا استت الحكومة فيها مدارس عامة ، مجانية ، لا مذهبية ، تمشي كلها على برنامج واحد ، ويكون التعليم فيها بلغة واحدة هي لغة البلاد الاصلية .

ماذا في العراق من هذه المدارس اليوم ؟ اني استبشرت يا اول حفلة دعيت للخطابة فيها وكانت في دار المعلمين - فاجتمعت هناك بوزير المعارف يومئذ السيد هبة الدين التهرستاني ومستشاره الانكليزي ومديره الاستاذ ساطع بك الحصري ، ويزهاء متين من المدرسين في المدارس الابتدائية وفيهم نفر من السوريين والمصريين . كانت الحفلة عامرة بالخطباء والشعراء وكان الحديث بعد الحفلة في موضوع المدارس والتدريس ، فتم عن اشياء ثلبتها بعدئذ من مصادر شتى ، وهي مما يستوجب الاسف .

قد اشرت مراراً في ما تقدم الى الاغلاط التي ارتكبتها الانكليز في العراق وهم انفسهم يعترفون بها او ببعضها . فمنها ما كانوا فيها مسيرين ، ومنها ما كانوا فيها متعمدين ، وهم لا يعتبرون هذه من الاغلاط . مثال ذلك التعليم الابتدائي . قيل لي ان النية حسنة فيه ولكن الاعمال دون النيات . وقال آخرون لا النيات حسنة ولا الاعمال .

عندما دخل الانكليز العراق كانت الطريقة في التعليم تركية ، اي ان الدولة اجازت انشاء المدارس الاجنبية الطائفية ، وكانت تخصصها بشي من المساعدة المالية . وفي هذه المدارس كان يعلم التلاميذ دينهم ولغتهم اولاً ، ثم ما لا يضر بالروح الطائفية والجنسية من العلوم . لا يخفى ما في هذه الطريقة من عوامل التفريق واسباب الشقاق . واذا خفي على الشرقيين فلا يخفى على الانكليز الذين تمسوا مع ذلك في التعليم العام على طريقة الاتراك . وهذا مما يؤسف له جداً . كأنهم ارادوا ان يثبتوا الامة في طائفياتها وتقسيمها . ومع ان في العراق من ينصرون الطريقة الحديثة المجردة من المذهبية ، ويطالسون ببرنامج واحد في التعليم وبلغة واحدة ، والامتاز الحصري في مقدمة هؤلاء المصلحين ، فحكومة الانتداب لا تقبل بذلك . وما عذرهما غير عذر الخائف من تسليح خصمه فيخرج عليه متحد القوي .

اما قول الانكليز ان اهل العراق غير مستعدين اليوم لبرنامج يوحد التعليم العام ، وان الحكومة لا تستطيع ان توحد اللغة في الاقل فتجعل العربية لغة التدريس في الموصل وفي كركوك مثلها في بغداد والبصرة ، فهو قول يحتاج الى برهان . لم تقدم الحكومة على ذا العمل ولا الانكليز اذنوا به . قد كانت في امكانهم ان يقوموا في البداية بنصف الاصلاح فقط ، فتمنع الحكومة عن المدارس الخاصة - الطائفية - ^(١) المساعدة المالية وتقدم هذا المال ، الذي لا يزال يبذل في سبيل التفريق ، لوزارة المعارف ، وهي احوج اليه ، لسد نفقات مدارس الحكومة الابتدائية .

ان هذه المدارس تزداد عدداً كل سنة فتضاعف لدى وزارة المعارف الصعوبات في ادارتها . والحقيقة هي ان اقبال الامة العراقية على العلم هو اكثر من اهتمام الحكومة في تخصيص النفقات وتسهيل الاسباب . وقد يكون بعض التبعة عليها اي على الامة . ان عدد التلاميذ تضاعف في السنتين الاخيرتين ،

(١) في العراق من هذه المدارس الخاصة أكثر من ثلاثين مدرسة منها لليهود ومنها للطوائف المسيحية اجنبية ووطنية ، ومنها اسلامية . والحكومة تخصصها بمساعدات مالية .

-صعد من ثمانية الاف الى سبعة عشر الفا - وان عدد المدرسين لم يزد اكثر من ثلاثين بالمئة ، ولم يتخرج من دار المعلمين في السنة الاخيرة غير خمسة وعشرين مدرس . فما السبب في ذلك - هناك اسباب اولها الميزانية واخرها الوطنية العراقية . واليك البيان والبرهان .

ليس في العراق ما يكفي من المعلمين العراقيين لسد الحاجة في ازدياد عدد الصفوف والمدارس . ولم تكن في ذلك النفر منهم تلك الجدارة التي يتطلبها التعليم الحديث . حتى وان كانت الجدارة فدار المعلمين لا تكفي لتخرج العدد اللازم كل سنة . ان خير ما يعملون اذن في حل هذا المشكل هو ان يستميناوا بمعلمين من سورية او من مصر . ولكن الوطنية العراقية تحول دون ذلك .

هب انها وطنية صحيحة ، افستغني العراق اليوم عن المساعدة الاجنبية ؟ هذا اذا عدنا سورية من اوروبا . ولكن القطرين شقيقان لغة ، وجنساً ، وروحاً ، ومذهباً . فبخذا وطنية في التعليم اعلى من الوطنية في السياسة . بخذا وطنية مثل التي في مديرية المعارف . ان الاستاذ اباخلدون ساطع المصري لمن الاخصائيين في علم التدريس الذي مارسه مدة في اماكن مختلفة وحكومات عديدة . وما هو بسوري ولا بعراقي . هو عربي لا غبار على عربيته غير لهجتها . ذلك لانه ، وان كان ولد في صنعاء اليمن ، فقد اقام مدة في الاستانة يخدم الامة التركية . ثم تجرد لخدمة العرب عندما دخلوا الشام فكان وزير المعارف في الحكومة الفيصلية . ثم سافر مع من سافر الى بغداد من رجال النهضة وهو لا يزال في وزارة المعارف يدير ام شؤونها . والاستاذ ابوخلدون من اولئك القلائل الذين حرروا انفسهم وبيوتهم من قيود التقاليد الاجتماعية . اظن مجلسه هو الوحيد في بغداد الذي تستقبل فيه ربة البيت الزائرين سافرة وتشاركهم في الاحاديث .

اول مرة زرت الاستاذ وحرمه الفاضلة المهذبة اجتمعت في بيتها بعدد من المعلمين السوريين الذين يعلمون في المدارس الابتدائية واكثرهم من خريجي الجامعة الاميركية ببيروت . وكانت وزارة المعارف يومئذ هدفاً لانتقاد فريق

من الناس شق عليهم ان يروا بعض التفضيل في معاملة المعلمين السوريين ،
فقاموا يحتجون على وجود معلمين من الاجانب في سلك المدرسين . ظننت لشدة
الاحتجاج ان اكثرهم من الاجانب فسألت الاستاذ الحصري فقال : عدد
المدرسين اليوم سبعمئة وعدد غير العراقيين منهم خمسة وعشرون .

ثم قالت حرمة باللغة الانكليزية : لو كان في العراق دار معلمين ثانية !
ولكن من اين المال ؟ الانكليز لا يساعدون ، والعراقيون لا يستطيعون . وهم
يظنون ان دار المعلمين تعطيم المعلمين بالملئات . ليست دار المعلمين مثل معمل
الشوكولاته يعمل مئة صندوق كل يوم . . . ومن هم الاجانب بين المدرسين ؟
نشكر الله ليسوا باتراك . تأمل يا مستر ريجاني (كانت تكلمني بالانكليزية لانني
لا احسن التركية) انهم ينظرون الى المصري والى السوري نظرهم الى الاجانب .
وليس في السلك كله اكثر من ثلاثة بالمئة وما هم كلهم سوريين ومصريين .
عندنا عشرة معلمين سوريين فقط وستة مصريين وتسعة انكليز . خمسة وعشرون
معلماً اجنبياً ، اذا دعوناهم كذلك ، بين سبعمئة معلم من العراق .

اثان ونصف في المئة كان يجب ان تكون عشرين . ان في فقورنا من
الاجانب الاوروبيين شيئاً من التعصب في بعض الاحابن ، فكيف به اذا كان
يشمل من ليس من قطرنا من البلاد العربية . الاجانب السوريون ، الاجانب
المصريون ، الاجانب الاوروبيون — ان هذه العصبية لشبهة بالذهبية . والويل
لنا اذا كانت تحمل محل الوطنية العربية والقومية الجنسية العامة . ما السوري ،
خصوصاً في دوائر التعليم التي هي غير دوائر السياسة ، الا عربي يساعد في تهذيب
ناشئة عربية ايضاً كانت ، في العراق او في الكويت او في الحجاز . اني اذا ملت
الانكليز لانتخاذهم في التعليم طريقة الاتراك الوم العراقيين اشد اللوم في تضييقهم
نطاق الوطنية الى حد العصبية المذهبية او بالحري القطرية فعدوا السوريين
والمصريين من الاجانب .

ليست دار المعلمين بمعمل شوكولاته كما قالت حضرة حرم الاستاذ ابي
خلدون ، وليس المدرس من يحسن العلوم التي يدرسها فقط ، كما اوضح الاستاذ .

في كتابه (١) . اما وزارة المعارف في مثل هذه الحال ، اي بين عجزين سيفي المال والرجال ، فهي تضطر احياناً ان تعين من ليس فيهم الجدارة ليسدوا بعض النقص في المدرسين . وكثيراً ما يؤدي ازدياد عدد التلامذة بالنسبة الى عدد المعلمين الى الجمع بين صفين اثناء التدريس ، فيخسر في هذا الجمع تلاميذ الصغين . أفلا يجدر بالحكومة العراقية اذن ان تستعين بجارتها ، بسورية او بمصر ، لتتلافى النقص والخلل ؟ —

من يكن في المدن الحديثة يألف نظره الاعلانات في الاسواق فيراها ولا يقرأها ، كأنها جزء من الحائط او نقش على العمود المتصقة به . وتسمي عمدة الاسلاك البرقية وعمد المصابيح مثل الاشجار لدى الفلاح يصطدم بها فيظننها حجراً في طريقه فيسب بقرته او حماره ولا يسب الشجرة . كذلك كنت في بغداد وهي في عمدة مصابيحها ، وفي جدران سوقها الاوحد ، اشبه بمدينة اميركية يجبهك الاعلانات فيها كيفما سرت ، وكيفما نظرت . ولكني ما سببت بقرتي ولا حماري ، بل كنت امشي في ذاك السوق « الجديد » كأنني في الدهناء ، انظر الى الارض تارة وطوراً الى السماء . فتقاضتني الاقدار يوماً ثمن هذه المكابرة . نعم ، نطحت عموداً من حديد ، فاضطرت ان اقف هنيهة ليعود الي صفاء نظري ، فقرأت كرها الاعلان الملصق به :

— طاب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة —

فقلت : والحمد لله . هوذا في الشرق شيء جديد — اعلانات للعلم ! بل اخذتني نازية صدقي الزهاوي فصحت مبهتجاً : ايها الغرب ! تعال انظر ما في الشرق من جديد مفيد . ايها الغرب ! هوذا اعلان يستحيل وجوده في بلادك ، ليس لانه غير لازم بل لانه لا يستشعر مباشرة وليس من يقوم بنفقائه . قرأت الاعلانات ثم قرأته معجباً به مبهتجاً . وصرت بعد ذلك امشي

(١) قد اصدر مؤخراً كتاباً عنوانه : « دروس في اصول التدريس » طبع في مطبعة دار السلام ببغداد .

وناظرني لسبين على العمود . تباركت اليد الطابطة ، واليد الناشرة ، واليد الدافعة المال . وهذا اعلان آخر : اطلبوا العلم من المهد الى القبر . وهالك آية اخرى من آيات النور : لا حياة بغير العلم . وهوذا اعلانات للامة جمعا : العلم اساس العمران . واليك على الحائط قاعدة النجاح والسعادة : تهذب وابتغ ما شئت . والاعجب من ذلك كله هو عند باب ال « سبتا » على اللوحة التي تعلن الرواية الاخيرة . هناك تقرأ الانذار الاخير : بالعلم تحيا وبالجهل تموت !

استطلعت خبر هذه الاعلانات فعلمت ان الحكومة بريئة منها ، وان المحسنين الاغنياء او الاغنياء غير المحسنين لم يسعروا بها . ان في بغداد جمعية ادية اصلاحية اسمها « المعهد العلمي » ، وهذا المعهد العلمي هو مخترع اعلانات العلم ، وهو طابعها وناشرها على ثقته بحاننا لوجه الله . ايها الغرب - العفو يا صديقي الزهاوي - هوذا الشرق ناهضاً ، وقد نبذ النظريات والخيالات والادهام . هوذا الشرق ايها الغرب يحثديك ويقولك في الغيرة المدنية . هوذا اسلوب في الاصلاح عملي - هوذا مثال واحد من مظاهر النهضة الحقيقية في العراق .

سألت عن المعهد العلمي وسددت خطواتي اليه ، فاجتمعت هناك بعميده الاول ، وهو فيه القوة الدافعة المحركة المدبيرة ، ثابت عيد النور . حدثت ثابتاً فابهجني وازعجني معاً . الفيتة شاباً في العقد الثالث ، له من الحسن ما كان ليوسف وعنده من التسخط ما كان لايوب . وهو مع ذلك سليم الجسم والعقل ، براق العين والجبين ، صافي الذهن والصوت ، وطنه فوق مذهبه ومذهب اجداده ، وشرفه اكبر من دينه . شاب رائع تبسم له الحياة بكل ما فيها من بوادر الامل وبوارق السعد والمجد ، وهو مع ذلك مثل ايوب ، بل مثل « دون كيشوت » ، حاملاً رعه على الدنيا ، كشيياً على الدوام .

حدثت ثابتاً فازعجني . سمعته يشكو ويتسخط ويئن ، كأنه اصطدم بعمود في جادة الحياة ولا يزال الشرر يتطاير من عينيه . - لماذا خلق الله الانكليز ؟ لماذا خلق الخواتين ؟ لماذا خلق السادة الاشراف ؟ لماذا خلق الله المنافقين والخونة ؟

وجاء في منه بعد ايام كتاب يدعوني لتناول الشاي في بيته — « فتجتمع بصفوة
 الناهضين او بانموذج منهم في الاقل ، بشبان وطنيين اثبتت التجارب صدق
 عزيمتهم واخلاصهم ، ومقتهم المنافقين وغيرهم من ذوي الالقاب الضخمة والابهة
 الفارغة الذين ما يرحوا يسوقون الامة من سيء الى اسوأ . . . الخ » فنتسي
 ثابت كما ترى « صفوة الناهضين » الذين دعاني لاجتمع بهم في بيته .

هم اخوانه في المعهد وفي الجهاد ، يسلكون في الاصلاح ، اوسع السبل
 واطولها ، سبيل العلم : تعلم يا فتى فالجهل عار . وهو عميدهم المسؤول عن الاعلانات
 في شوارع بغداد . انت في هذا المعهد عقولاً عاملة معترعة فلا مسوغ فيه
 للنفوس المكتئبة . وقد كانت باكورة اعماله واختراعاته انه اعاد الى بغداد
 الجديدة القديمة احدي المفاخر العربية التي خلدتها سوق عكاظ . اقام جماعة
 المعهد العلمي سوق عكاظ في عاصمة العباسيين ، وكانت اول حفلة باهرة فريدة
 بعد الترويج ، حضرها جلالة الملك فيصل فجلس في فسطاط بين النخيل يسمع
 الشعراء ينشدون والخطباء يخطبون . وكان قس بن ساعدة في مقدمة الخطباء
 يثله احد الصبيان الاذكياء ، وكانت الخنساء في طليعة الشعراء تتلو قصيدتها
 احدي الاوانس المسلمات سائرة صائفة .

فاز ثابت وزملاؤه في اقامة هذه السوق التي ستقام بعناية المعهد كل سنة ،
 وحاز فوق ذلك الجائزة الاولى في النثر . وهو مع ذلك يمشي في جادة الحياة
 الضيقة فيصطدم بالعمد فيها . احببت ثابتاً ورافقته مراراً . وكنت كل مرة
 نصل الى عمود في السوق الجديد اقف امامه واتلو الاية فيضحك . العلم
 اساس العمران . ليس في ذلك ما يضحك يا ثابت . ان امركم كله جد ، وان
 من يخترع مثل هذه الاعلانات ويسعى في نشرها لمن اكبر الوطنيين ويحق له
 ان يفخر ويفرغ يديه . بل يجب عليه ان يشكر الله الذي هداه سواء
 السبيل . سرّ عنك ودع المنافقين يتناقون . ان الله في خلقه مقاصد لا يدركها
 الناس . والانكليز واصحاب الالقاب الضخمة من خلق الله .

نعم ، وعظمت ثابتاً ، يسد ان الوعظ ليس من شأني ، ولم اتأسف لذلك بل

مررت بالنتيجة . وكيف لا تظهر النتيجة الحسنة وصدقتي من الاذكياء النجباء
الحكماء . صار يمشي في الجادة الضيقة والواسعة دون ان يصطدم بالعمد فيها .
ثم جاءني ذات يوم يخبرني انه متابع للعمل الذي باشره بالاعلانات : قد فتحنافي
المعهد مدرسة ليلية لتعليم الاميين مجاناً . ثم بشرني بعد اسبوع بفتح مدرسة
اخرى خارج المعهد .

.....

سافرت الى نجد وعدت بعد اربعة اشهر الى بغداد فاجتمعت بثابت عبد
النور ودهشت لتغيير ظاهر فيه - في حديثه ، وفي وجهه ، وفي خطواته . حدثته
فما ذكر المناقنين . مشينا في الشارع فكانت خطواته اكثر تسدداً من خطواتي ،
فلم يصطدم ببشر او بحيوان او بشيء من الاشياء الاخرى الجامدة . سألته عن
مشروعه فقال : نجاحاً باهراً يا استاذ . صار عندنا اربع مدارس في المدينة وهي
لا تكفي . تعال الليلة معي ثراً بعينك .

مشيت وثابتاً في العسق ، في جادات بغداد الضيقة ، وهو ينيرها بانوار اماله
العالية واعماله الناجحة . ومررنا الى مدرسة من مدارس المعهد فدهشت اذ دخلت
بما شاهدت وبما سمعت . في الغرفة الاولى التي دخلناها صف الاولاد وستهم
يتراوح بين الخمس والخمس عشرة ، وكلهم يشتغلون في النهار فيجربون التعلم في
مدارس الحكومة . هم من الطبقة الثالثة في الامة ، من الشعب ، من العمال ،
وفيهم يباع الخبز ، ويبيع الليمون . وفيهم من يساعد اباه الحداد ، او عمه
السنكري . وفيهم من يخدم ليتعلم صنعة من الصناعات . وفيهم الخوذي والبويحي
والكناس عند الحلاق .

وقفت عند صغير الصف فوقف ويده على رأسه يجيب علي سؤالي . اخبرني
بحرية مدهشة انه يشتغل في احد الافران في النهار ، وانه لا يجب الشغل ولا يجب
المدرسة . فقلت : ولماذا تشتغل ؟ فقال : عندي ام وعندها قضيب . فقلت :
ولماذا تجيء الى المدرسة ؟ فاجاب : ابي يقول اذا تعلمت القراءة والكتابة

اتخلص من الشغل في القرن . واخبرني صغير اخر لا يتجاوز الستة سناً بانه جاء
المدرسة من تلقاء نفسه مع رفاقه في الحي . وقد بان لي من مجمل الاجوبة ان
للأم في هذه النهضة الشريفة فضلاً يذكر .

دخلنا الغرفة الثانية في المدرسة فاذا فيها صف الشبان وبينهم الكهول .
جالت عيني في الصف فوقفت عند الكبير فيه ، وهو رجل معتم حسن البزة
بناهن الخمسين . هم بالوقوف ليحيب على سؤالي - النظام على الكبير والصغير -
فاشار المعلم تليظاً ان يقبل رجائي ويظل جالساً . اخبرني انه تاجر في السوق يتاجر
بالسجاد ، وانه والحمد لله ناجح في تجارته مع انه قضى السنين فيها وهو امي . ثم
قال ولكن الزمان تغير يا افندي والرجل الذي لا يحسن الكتابة والقراءة في
هذه الايام يحقره الناس . فمقب جاره على كلامه قائلاً : ويحقره خصوصاً
الاجاب . عار علينا ونحن نطلب الاستقلال ان لا نحسن القراءة والكتابة .
وقال اخر ، انصح الصباغ على يديه بصنمته : انه سمع بهذه المدارس الليلية وكان
دائماً يتوق الى تعلم القراءة والكتابة بشرط ان لا يمنعه ذلك عن متابعة عمله في
النهار ، لانه صاحب عيال وعليه رزقها . ومثله في صف الشباب والرجال كثيرون ،
فيهم الحداد والديباغ ، والساعاتي والطيان ، والبناء والحلاق والفراش . وكلهم
يؤمنون المدرسة الليلية راغبين بجناء ثمارها ، شاكرين القائمين بها .

قطعنا الجسر لنزور مدرسة اخرى في الكرخ ، فعندما وصلت اليها رأيت
عند الباب جمهوراً من الاولاد والشبان يتسابقون ويتزاحمون كأنهم داخلون الى
ال « سينما » لا الى مدرسة القباء الليلية . هاهي ذي امة جنت بالعلم . اخبرني
مدير المدرسة بان عندهم ثلاث غرف فقط للتدريس وفي كل غرفة من الخمسة
وسبعين الى المئة طالب من الاولاد والشبان والرجال ، وانه لو كان عندهم ثلاث
غرف اخرى لامتلأت كلها بلبلة واحدة .

هناك صديقي وزملاءه جماعة المعهد العلمي بنجاح مشروعهم هذا
النجاح المدهش . ومما هو جدير بالذكر انهم لا يصحرون في تعليم الاميين على

الكتابة والقراءة وبعض مبادئ العلوم^(١) فقد وضعوا لمشروعهم نظاماً اقتطف
معناه ما يلي :

قد رأى مجلس ادارة المعهد العلمي في بغداد انه لا يتمكن من تحقيق
مبادئه الاجتماعية اذا لم تستر الاكثرية بنور العلم الصحيح وتلقف
مبادئ الاخلاق الزاوية — تلك الاكثرية التي قضى عليها ان تبقى
جاهلة... ولهذا فانه عزم على مكافحة داء الامية في بلاد العراق... فوضع
نظاماً لهذا المشروع العلمي وقرر اذاعته مع المبادئ الاجتماعية الآتية :

- ١ — حب الوطن من الايمان .
- ٢ — حب النظافة من الايمان .
- ٣ — طلب العلم من المهد الى اللحد .
- ٤ — مقت الكذب واحترام الكاذبين .
- ٥ — حب الخير وعمله .

ويجب على مدير المدرسة ان يلقي الطالب قبل كل شيء هذه المبادئ
الخمسة الاساسية . مدارس ايلية تعلم الاميين ابناء الشعب الالفيا وحب الوطن
والنظافة والصدق — هوذا حجر الزاوية في الرقي الحقيقي الثابت . هوذا الاساس
الامتن في بناء الامة الجديد ، بناء الوطنية الصادقة ، المبنية على العلم والتهديب ،
المثيرة سبيل الاستقلال التام . هوذا حجر الزاوية ، وهو من صنع العراق ، لا يد
اجنبية ساعدت في نحتة ووضعه ، لا فضل لأجنبي فيه .

انه وايم الله لاجمل واعجب ما شاهدت من مظاهر نهضة العرب في الاقطار
العربية كلها . مشروع تعليم بدأ بثلاثين طالباً في غرفة صغيرة من المعهد العلمي

(١) الدروس مقسومة الى ثلاثة اقسام يسونها دورات فيتعلم الطالب :
في الدورة الاولى — القراءة ، الاملاء ، الحساب ، مبادئ معلومات ارضية ، مبادئ
معلومات مدنية .

وفي الدورة الثانية — قراءة ، املاء ، حساب ، جغرافية ، تاريخ ، مبادئ الصرف
والنحو ، معلومات مدنية .

وفي الدورة الثالثة — قراءة ، املاء ، انشاء ، حساب ، تاريخ ، جغرافية ، صرف ونحو ،
معلومات مدنية ، مبادئ هندسية .

فعم في سنة واحدة مدن العراق الكبيرة كلها من البصرة الى الموصل . وان عدد الطلاب الاميين الذين يداومون ويتعلمون ليلاً مجاناً يتجاوز اليوم الخمسة الاف ، وقد يصل الى العشرة الاف غداً بفضل ادارة المعهد المنظمة واماليه المبكرة في التشويق ، وفي جمع ما يقتضيه المشروع من المال . فقد قررت بلديات المدن التي فيها مدارس ان تشترك في نفقاتها .

وهناك عدد من المؤازرين المتبرعين وفي مقدمتهم جلالة الملك فيصل الذي يعطف على المعهد ومشروعه عطف احد المؤسسين ويخصه سنوياً بمبلغ من المال . اجل ، قد اهتم جلالاته اهتماماً خاصاً بمشروع تعليم الاميين ، وزار متكرراً المدارس الليلية فشاهد بعينه ما شاهدته من مظاهر الفلاح . وحبذا التنكر في غير سبيل اللهو والسرور ، حبذا بغداد الجديدة ، وقد جنت بالعلم ، ورشيدتها الجديد ينشطها ويساعدها ، فيطوف ليلاً كاحد عامة الناس لا يحدث الصياد ، ويضحك من العباد ، بل ليقف امام اللوح الاسود ، لوح الالقياء ، الذي سيبيض منه وجه الامة ، فيستطلع خبر المتهافتين عليه من رعيته .

والحق يقال ان جلالة الملك فيصل ، مهما كان من شأنه في السياسة والزمامة ، لمن اكبر ملوك العرب غيرة على العلم ، وله في بث روح العلم والعرفان ، وفي تشجيع الادب والمشاريع التهذيبية في الامة ، الفضل الذي سيجعل عهده ولا شك عهداً ذهبياً مجيداً .

واني اتنى ان يكون في كل قطر من الاقطار العربية مشروع مثل مشروع المعهد العلمي وامير مثل فيصل الاول يعضد المشروع ، فيتمقى بعد ذلك على الامة والجهل في البلاد كلها .

الخاتمة

أو

ثمة البحث في الوحدة العربية

إذا كنت تصفحت هذا الكتاب ايها القارىء او ما جاء فيه من المباحث السياسية تجد من نفسك ميلاً ، مقروناً بالعلم الذي لا يشوبه شائب الغرض والتحيز ، لتتبع هذا البحث .^(١)

قلت في الفاتحة ان البلاد شرقي الاردن هي جزء من الحجاز ، والحجاز جزء من تهامة التي تمتد جنوباً الى الحما ، والحما من اليمن ، واليمن هو الاصل الذي تفرع منه نجران وعسير سهولاً وحزوناً . هوذا شطر من اساس الوحدة العربية لو كانت للجغرافية سيادة على السياسة تدوم ، او لو كان للدين نفوذ في تلطيف مطامع الامراء ، او لو كانت للقومية العربية سطوة في القلوب حقيقية تسوقها في سبيل واحد الى محجة واحدة .

أفستنتج من قولي اذنت ان الدين والجغرافية والروح القومية لا تساعد اليوم في تحقيق الوحدة العربية ؟ ليس من الصواب ان اجيب بلا او بنعم . ان المذهب الديني في شبه الجزيرة لا يزال متغلباً على الدين . وهناك مذهبان هويان عصبية وسياسة لا يقبلها السنيون ، حنفيين كانوا او شوافع . وهذان المذهبان هما الوهاية في نجد والزيدية في اليمن . ومن عقبات القضية ان حاكمي البلادين ، السلطان عبد العزيز والامام يحيى يحكمان حكماً مذهبياً . هما مليكان بفضل المذهب وباسمه ويصح ان اقول ايضاً ومن اجله . هما اعظم ملوك العرب قوة واقتداراً .

(١) راجع خصوصاً الفصل الثامن من القسم الاول والفصلين السادس والاربع عشر من القسم الثاني والفصلين الحادي عشر والرابع عشر من القسم الثالث في الجزء الاول . والفصول السابع والثاني عشر والثالث عشر من القسم الخامس في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

فلو فرضنا ان اكثر الاقطار العربية دانت لابن سعود فيظل القطر اليافعي حاصياً خارجاً محارباً . ولو فرضنا ان الامام يحيى اكنس الاقطار الغربية والجنوبية كلها فبسط سيادته من الحج بل من حضرموت الى الطائف ومن فهران الى جيزان ، ثم تقدم طالباً لتحقيق الوحدة كلها فانه ليجد في نجد سداً لمطامعها عالياً منيعاً .

هذا هو الداء الاول ومكروبه المذهبية . فهل تحقق اماناً في الوحدة او بعضها يا ترى اذا قتل المكروب او عزل في الاقل من السياسة . لا استطيع ان اجيب بلا او بنعم لان نجاح القضية لا يتوقف على هذا الاصلاح وحده . ان روح القبائل لا تزال سائدة في البلاد العربية ومتغلبة في اكثر اقطارها على الروح القومية . فلو فرضنا ان الامام يحيى خرج باسم القومية يجاهد في سبيل الوحدة العربية ، وقد اتخذ لقباً مدنياً وانشأ في اليمن حكماً مدنياً ، فلا نثني نهضته ان السيف سيفها لا يزال سيف قحطان ، وان قحطان لا تزال نازعة الى عصبيتها ، مشيرة في نزوعها العصبية الاخرى . وبكلمة اوضح ان العداء بين قحطان وعدنان عمومًا ، وبين قحطان وربيعه خصوصًا ، لا يزال مستحكماً في جنوبي نجد مثلاً وفي اعالي عسير . فضلاً عن ان نجدًا ، والصولة فيها لا تزال لربيعة ، تأتي السيادة العامة لبس في قحطان فقط بل في مضر ايضاً ومقل مضر لا يزال الحجاز .

هذا هو الداء الثاني ومكروبه العصبية . فاذا تغلب امراء العرب الكبار على العصبية القديمة فيهم وقاموا باسم القومية العربية المحضة الشاملة بينون الوحدة ، فهل يظفرون بها يا ترى ؟ لا يجوز ان اجيب سلباً او ايجاباً لان نجاح القضية لا يتوقف على هذين الاصلاحين فقط .

ان العوامل الطبيعية توجد في شكل اقسام من الارض ونقطيتها ، وفي من يسكنها ، ما يسمى وحدة جغرافية نلشابه فيها الاجناس والطباع والمادات والتقاليد ، وتشترك فيها مصالح الاهالي وسياسات المتقدمين فيهم . غير ان هذه الوحدة لا تدوم الا بثلاث : حكومة منظمة عادلة ، ومدارس وطنية عامة ،

وطرق مواصلات حديثة اي البرق والبخار - وليس في البلاد العربية اليوم ، ما سوى العراق ، غير قطرين في احكامها شيء من النظام المدني ، هما الحجاز واليمن - وليس في البلاد العربية اليوم غير حكم واحد عادل ، هو حكم ابن سعود . اما المدارس الوطنية العامة فلا تجدها الا في الحجاز ولنج والبحرين والكويت - وليس في شبه الجزيرة كلها ، اذا استثنينا مكة حديد المدينة والتلغرافات السلكية واللاسلكية في اليمن والحجاز ، شيء من البرق والبخار .

على ان في الحالة الجغرافية بعض الامل ، فيها اليسير مما يثبت وحدتها ويشر بتعميم عواملها . وكأني بالقارئ يسأل سؤالاً آخر . اذا عمت هذه العوامل الافطار العربية كلها ، فأنشئت الحكومات المنظمة ، وطرق المواصلات الحديثة ، والمدارس الوطنية العامة فهل تفوز بضالتنا المنشودة ؟

اجيب : نعم . ولكن بعد خمس وعشرين سنة في الاقل من بداية هذه المؤسسات ، فنزول بواسطتها العصبية القديمة لتحل محلها روح القومية العربية الكبرى ، وتليذ السیادات المذهبية من الاحكام المدنية ، فنقوم مقامها سيادة العقل والعدل والنسائل ، بل سيادة العقلية العربية الجديدة التي ترفع فوق كل مصلحة وفوق كل سياسة ، مصلحة العرب المشتركة وسياسة العرب الموحدة .

اذن لا امل للعرب في تحقيق الوحدة العربية السلكية اليوم . فهل من الممكن ان يتفاهم ملوكها ويتآلفون ؟ اجيب : نعم . واقول فوق ذلك انه من الممكن ان يؤلفوا وحدتين اوليتين تقسمان شبه الجزيرة شطرين في الحكم كما قسمتها الطبيعة ، اي الشطر الغربي والشطر الشرقي . وما كان هذا ليم اليوم لولا سقوط الخلافة ونزول الاتراك عنها .

اما رأيي فيها اذا اعرضه على اميادي ملوك العرب . الخلافة يا سيادي في قريش - حديث شريف - ومن في قريش اليوم ومن سلالة الرسول اصلح واشرف من جلالة الملك حسين ؟ ^(١) ولكننا في القرن الرابع عشر بعد البعثة

(١) قد كتب هذا الفصل قبل سقوط الملك حسين والمؤلف لا يزال على رآيه ان فصل الخلافة عن السيادة المدنية الزمنية هو خير للإسلام والمسلمين .

النبوية ، وسنة التطور سنة الله . فاذا استنكرنا عمل الاتراك فلا يجوز ان نتعاضد عما هو صالح فيه ، بدأ مصطفى كمال وزملائه في فصل الخلافة عن السلطنة وهذا هو النصف الصالح في اصلاحهم . واني اظن ان الاسلام لا يعود بعد اليوم الى التقليد القديم .

افلا يجدر بالعرب اذن ان يخطوا هذه الخطوة الى الامام فيقبلون من مصطفى كمال نصف برنامج اصلاحه ؟ وهم اذا بايعوا حسيناً بن علي على الخلافة فيجمعون مقره مكة اي كالبابا في رومه ، ويقسمون بعدئذ ملكاً غيره منهم .

اذا سلمت بهذا التقدم واياك الى ما يليه . لنفرض ان الملك حسيناً قبل الزعامة الدينية الكبرى فمن من ملوك العرب اليوم يستحق الزعامة المدنية الكبرى ويحقق امال العرب بها ؟ لا اظنك اذا كنت قرأت ما تقدم تتردد في الجواب ، نعم ، ان سعود وابن حميد الدين . فيحكم الاول الجزء الاكبر من شطر البلاد الشرقي ، والثاني الجزء الاكبر من شطرها الغربي . فلماذا لا يساعد كلا منهما اذن ليبسط حكمه على سائر الشطر الذي هو اليوم السيد الاكبر فيه ؟

اني احذثك ايها القارىء بلغة فيها سداد المنطق وبساطة الف باء . ولا انتقل من مقدمة الى اختمها قبل ان ابين باجلى بيان الحقيقة فيها . سلمنا بالخلافة للحسين ، وبالملكية للملكين . ولكننا السبيل الى ذلك ، ما هي ؟ وما هي العقبات التي تقوم في وجه المشروع ؟ وكيف تُدُلل ؟

ان في سبيل العلاج عقبتين لا يستخف بهما ، الاولى في داخل البلاد والاخرى خارجها . اسم الاولى امراء العرب واسم الثانية دولة بريطانيا العظمى . وان بين الاثنين صلة لا تقطع اليوم ، ولست ممن يظنون بقطعها . انما اقترح ان تنتقل من الفروع الى الاصل ، ارتئي ان يتألف من الصلات المتعددة صلة واحدة او بالحري صلتان لا غير . اما اذا اعترض الانكليز قائلين ان الامراء لا يقبلون بذلك فاجيب : ان للامراء ولوجهاء العرب الحق في معالجة الامر دون تدخل حكومة بريطانيا على شريطة انهم منذ البدء يؤكدون لها ان مصالحها في البحر الاحمر والبحر العربي وخليج فارس لا تمس بتماماً .

أما الامراء الخاكون اليوم فاول ما يجب اقراره هو ان الحكم يبقى في بيوتهم كما كان منذ القدم ، اي ان آل صباح يظلون في الكويت ، وآل خليفة في البحرين ، والعبادة في الحج ، والادارسة في عسيرانح . ولا يتغير في استقلالهم غير اعترافهم بالسلطان الاكبر واشترآكهم واياه في الدفاع عن البلاد وفي عقد المعاهدات ، وفي نظام واحد يختص بالمسائل الاقتصادية والمصالح العامة .

ليس في هؤلاء الامراء اليوم واحد مطلق من نفوذ الانكليز معها كان ضئيلاً . وليس فيهم من لا اتفاق او معاهدة بينه وبين دولة بريطانية العظمى فهل يفضل ان يكون النفوذ لامير عربي كبير اذا توفرت فيه شروط الزعامة فيتمزز بذلك شأن الاثنين ؟ وهل تخسر دولة بريطانية العظمى او تفادي بشيء من مصالحها اذا عقد السلطان الاكبر معاهدة معها شبيهة مبدئياً بالمعاهدة او الاتفاق الذي كان بينها وبين الامراء ؟

انني ادرك انها تفضل ان يكون اتفاقها مع كل امير على حدة ، لان في ذلك تقسيم قواهم والاقتصاد بقواها . ولكن الامراء ، اذا هم فكروا ملياً ، يرون مصالحهم الكبرى في غير هذه السياسة . فهم اذا وحدوا سياستهم يعززون ويتخلصون من تدخل عمال الانكليز الشبه الرسمي والغير الرسمي ايضاً ذلك التدخل الذي يشون كلهم اليوم منه . وان بريطانيا العظمى لتكتسب ثقة العرب وحبهم اذا قبلت بمثل هذا الاصلاح وفيه ضمان مصالحها .

ان ابن سعود صديقها وحليفها . فما ضرها اذا كان هو الموقع للمعاهدات والاتفاقات التي بينها وبين البحرين والكويت وقطر وعمان ؟ وما ضر هؤلاء لو كان ابن سعود ، وهو صاحب الصولة والاقتدار ، الضامن سلامتهم ، واستقلالهم ، العامل في سبيلهم - على شرط - الا يكون لسيادته فيهم صبغة مذهبية . واكثر هؤلاء الامراء مثل ابن سعود من قبيلة واحدة من ربيعة ويمتون الى بكر بن وائل .

ليس في ذا الامر اذن شيء مستحيل . والخطوة الاولى في سبيله هو ان يعقد مؤتمر عربي عام في مكة مثلاً يحضره كل الامراء فنتم فيه مبايعة الملك حسين

على اخلافة ، ثم مبايعة الامام يحيى على الملك في الغرب والسلطان عبد العزيز في الشرق ، ويكون بين الملكين معاهدة ولأية اقتصادية واتفاق بان يكون ايضا بينها وبين بريطانيا مثل هذه المعاهدة او ما يقترن بها مبدئياً .

اما الملك حسين فيشترط العرب في بيعتهم انه يقبل بمن يقيمونه ملكاً عليهم . واذا بايعه كل العرب بايعه ولا شك المسلمون في الهند وفي الاقطار الاسلامية الاخرى . فهلا يرضى ، وهو الحضيف الحكيم ، ان يكون خليفة يحترمه المسلمون اجمع ، ولا يكون ملكاً في الحجاز همومه السياسية الخارجية والداخلية هي اشد من هموم حاكم من حكام الدول العظمى في هذه الايام ؟ .

ان في البلاد العربية اليوم اربعة ملوك كبار ، وان في نفسية الرعايا رطايهم ، فصاً على شخصية اولئك الملوك وشرحاً على حالة تسود سياستهم في البلاد .

رعية الملك حسين تطيعه وتخافه .

رعية ابن سعود تطيعه وتجه .

رعية الامام يحيى تطيعه دون حب ودون خوف .

رعية الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع الا مكرهه .

فمن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق ان يسود العرب ؟

فهرس الاعلام

فهرس الاعلام

في هذا الكتاب

ملاحظات .

A هذه العلامة تدل على ان الارقام التي ما بعدها من صفحات الجزء الاول
B الجزء الثاني
— تدل على وجوب تعداد الارقام ما بين الرقين . مثلاً ١ — ٥ يعني ١ ٢ ٣ ٤ ٥
او ان هذه الكلمة وردت في أكثر الصفحات الواردة بين هذين الرقين

— حرف الالف —

ابن جابر (ارحمه الجلاهمة) B ٢٢٢ ٢٢٧	آري B ١٤٩
ابن جابر (بشر بن ارحم) B ٢٢٨ ٢٣٠	اب (مدينة) A ٨٥ ٩٦ ٩٩ ١٠٦
ابن جرير (سليمان) A ١٣٠	١٣٦ ١٧١ ٢١٤
ابن جعفر الصادق (اسماعيل) A ٢١٥	ابراهيم (الخادم) B ١٢٨ ١٢٩ ١٤٠
ابن جلوي (عبدالله) امير الحسا A ٧٢ ٧٣ ٧٤	— ١٤٢
ابن حيمه (ابراهيم) B ٨٦	ابراهيم (آل) B ١٥١ ٢٢٨
ابن حسن (ابو طاهر سليمان) B ٢١٢	ابراهيم باها بن محمد علي A ٥٥ ٢٦٧
ابن حميد الدين (السيد احمد بن قاسم بن عبدالله) A ١٢٣	٢٥٢ B ١٠١ ٢٢٢
ابن حميد الدين (الحسين بن يحيى) A ١٢٣	ابراهيم الخليل A ٢٤٥
ابن حميد الدين (القاسم بن يحيى) A ١٢٣	ابراهيم ال (الشيخ يوسف) B ١٥٦ ١٥٧
ابن حميد الدين (محمد سيف الاسلام بن يحيى) A ١٢٣	ابن ابي العاص (عثمان) B ٢١٠
ابن حميد الدين (المطهر بن يحيى) A ١٢٢	ابن ابي سلمي (زهير) B ٨٨
ابن حميد الدين (الامام يحيى) راجع يحيى بن حميد الدين امام اليمن	ابن ابي طالب (الحسن بن علي) A ١٢٧
ابن حنبلين شيخ العجمان B ١٦٨	٢١١ B ٣٥٣ ٢٨٤ ٣١١
ابن خلدون B ٢١١	ابن ابي طالب (الحسين بن علي) A ١٢٧
ابن خلكان B ٣٩٧	٢٧٦ B ٢١١
ابن الدخيل B ٨٧	ابن الاثير B ٢١١
ابن ذي جدن A ٢٤٨	ابن احمد (الشيخ سليمان) B ٢٠٥
ابن الرشيد (عبد العزيز) امير جبل شهر B ٢٨ ٥٥ ٥٨ ٦٣ ٨٦ ١١٧	ابن ادريس (السيد احمد) A ٢٤٨ ٢٥٢
٢٩٠ ١٥٧ ١٢٥	٢٦٨ ٢٧٤
ابن الرشيد (فيصل) B ٤٥	ابن ادريس (قتادة) A ٥٥
	ابن ادريس (السيد محمد بن احمد) A
	٢٧٤ — ٢٧٠
	ابن بطوطه B ١٩٦
	ابن ثاني (قاسم) B ٢٣٠ ٢٣١

- ابو زيد (هزاع بن سلطان) حاكم عمان
٨٧ B
- ابن زياد الحارثي (الريم) B ٢١٠
ابن زيدون A ٢١٣
ابن سعدون B ٨٢
ابن شايب (نصر) A ٣٨٨ ٣٩٠
ابن صالح (الشيخ سالم) A ٣٩٠
ابن صويط B ٨٧
ابن طوالة B ١٢٩
ابن عباس (قرية) A ٣١٩
ابن العربي A ١٤٨
ابن علي بن حيدر (الشيخ حسين)
A ٢٦٩ ٢٧٠
ابن مجلاد B ٨٧
ابن مهنا B ١١٧
ابن تايب B ٨٧
ابن يحيى بهران (موسى) A ١٣٠
ابها (حصن - مدينة) A ٢٧٢ ٣٠٨
B ٧١
- ابو بكر (الخليفة) A ١٣٠ B ٢٠٩
ابو التمن (جنر) B ٢٧٢ ٢٢٢
ابو جارود A ١٢٩
ابو حلقة (قرية) A ٣١٨
ابو حنيفه (الامام) A ٢٥٢ ٢٥٥
B ٢٨٨
ابو سعيد حمدان B ٢١١
ابو سعد (جزيرة) A ٣٥ ٣٧ ٢٨٢
ابو سعيد القرمطي B ٢١١
ابو شهر (اسكلة) B ١٥٥ ١٥٨ ٢١٧
٢٢٩ ٢٢١ ٢٢٤ ٢٢٩ ٢٤١ ٢٤٦
٣٣٥
- ابو عريش A ١٣٠ ٢٦٠ ٢٦٧ ٢٧٠
٢٨٨
ابو العلاء المري A ٧٤ ١١٧ ٢٤٥
B ٢٧٥ ١٨٨ ٢٢٩ ٢٨١ ٢٨٦ ٢٩١
٢٩٦ ٢٩٤
- ابو فديك الحارثي B ٢١٠
- ابو قطعه A ٢٦٩
ابو النواس B ٣٩١
ابيكورديوس B ١٧٢
أدين A ٣٦٣
اتانية (قرية) B ١٠٩
اجا (جبل) B ٨٨
الاجمود A ١٨٠ ١٨٣ ٢٨٩
اجل (السرदार) B ١٧١
اجياد (قلعة) A ٦٢
احمد بن حسن (الامام المهدي) A ١٣٠
احمد بن حنبل (الامام) A ١٤٤
الاحدية (طريقة) A ٢٤٩ ٢٥٧ ٢٦١
٢٧٢ ٢٧٠ ٢٦٩
الاخرم (الشيخ محمد صالح) شيخ القطيب
A ٢٨٩ ٢٨٢ ٢٩
الاشطل A ٣٨
الاخوان A ٤٨ ٤٩
B ٢٢ ٢٦٢٠ -- ٢٣ ٨٦ ١٠٧ ١٠٧
١١٥ ١٢٧ ١٢٨ ١٣٠ ١٣٩ ١٤١ ١٤٩
١٥٩ ١٧٥ ٢٧٢ ٤١٢
الادارسة A ٢٦٧ B ٤١٥
الادريسي (السيد حسن بن علي) A ٢٧٥
الادريسي (السيد حسن بن محمد) A ٢٧٦
الادريسي (السيد السنوسي) A ٢٧١
٢٢٠ ٢٩٦ ٢٢٢
الادريسي (السيد العابد السنوسي) A ٢٧٥
٢٨٢
الادريسي (السيد عبد الرحيم) B ٢٧٦
الادريسي (السيد عبد العزيز) A ٢٧٦
الادريسي (السيد عبد المتعال بن محمد بن احمد)
A ٢٧١
الادريسي (السيد عبد الوهاب) A ٢٧٦
الادريسي (السيد علي بن محمد بن احمد)
A ٢٧١
الادريسي (علي بن محمد بن علي) A ٢٧٥
٢٧٦

انطونيوس (القديس) B ١٤٠
 اقمره A ٣٥١
 انكلترا « راجع بريطانيا »
 الانكليز - الانكليزي A ٧-١٩ ٢٧ ٢٧
 ١١٢ ١٠٠ ٩٥ — ٧٢ ٦ ٥١ ٤٨
 — ١٧٤ ١٥٢ — ١٤٩ ١٢٧ ١٢٩
 — ٢٦٩ ٢٢٩ — ٢٤٠ ٢٢١ ١٩٩ ١٨٨
 ٢٦٢-٢٢٥ ٢٢٥ ٢٢ — ٢١٨ ٢٨٦
 ٢٨٩ ٢٧٧
 ١١٢ ١ ٤ ٨١ ٧٠ — ٤١ ٢١ ٢٧ — ١٢ B
 ١٥١٦ ١٩٤ — ١٨٥ ١٦٧ ١٥٩ ١٥٥ ١١٦
 ٢٢٨ ٢٢٤ — ٢٧١ ٢٦٩ ٢٦١ — ٢٢٩
 ٢٧٧ ٢٧٤ ٢٧ — ٢٥٧ ٢٥٢ — ٢٤٢
 ٤١٥ — ٤٠ ٢٩٤ ٢٨٩
 انور باشا A ٥٩ B ٢٨٤ ٢٨٥
 ٢٦٧ ٢٢٥ ٢٨٨
 الاهدل (السيد عبد الرحمن بن سليمان)
 ٢٦٠ ٢٥٩ A
 الاهدل (السيد عبد القادر) A ٢٥٩
 اهل البان (قبيلة) A ٣٧٨
 الاهواز - الاهوازيون B ١٧٢ ٢١٢
 اوال « راجع البحرين »
 اور الكلدانيين B ٢٥٨ ٢٥٩
 اوروبه A ١١ ٢٤ ٤١ — ٥٨ ١٤٦
 ٢٧٩ ٢٥١ ٢٤٤ ١٧٤ ١٦٨ ١٥٢
 ١٨٢ ١٨٠ ١٥٠ ٩٩ ٦٦ ٥٢ ٤٤ ٢٩ B
 ٢٥٢ ٢٢٨ ٢٢ ٢٢٠ ٢١٥ ٢٦٦ ٢١٥
 ٤ ٢ ٢٨٩ ٢٦٢
 اوربي - اوربيون اورويات A ١٧
 ٢٤١ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٤٩ ٢١ ٤٥ ٤١ ١٩
 ١٩٨ ١٨٦ ١٤٩ ١٢ ٥٩ B ٢٤٨
 ٤٠٢ ٢ ٢ ٢٦٨ ٢٥٨ ٢٥ ٢٤٩ ٢ ٤
 اولير B ١٩٠ ١٩٣
 اويس القرني A ٢٦٥

ال بدر وما شاكلها راجع الحرف الذي بدأ
 كلمة آل اي راجع كلمة بدر
 البوكره (الفونسو) B ٢١٥
 الماني — المان A ١٣٦ ٢٧٢ ١٤٠
 ٢٩٥ ٢٨٩ ٢٨٥ ٢٨٢ ٢٤٠ ٢٢٩ ٥٧ B
 ٢٩ ٢٦١ ٢٩٧
 المانيه A ٦٠ ٢٨٨
 ٢٦٧ ٢٢٩ ٢٢٨ B
 آكني (الجنرال) A ٢٢٤
 ٢١٢ ٢ ٢ ٢٦١ ٢٨٩ B
 الالوسي (مصطفى افندي) B ٢٢٨ ٢٨٨
 ام النذر (ماء) B ٢٦ ٤٥ ٤٦ ٧٢
 الامرات B ٩ ١
 امرسون (رلق و لندو) A ٧
 امرؤ القيس A ٢٨ ٩ B ١٠٩
 ام العمد (قرية) A ٢٤٩ ٢٦٦ ٢٨٢
 ام المشيم (قرية) B ١٢٥
 الامويون (بنو امية) A ١٢٦ ١٢٢
 ٢١ ٢ ٦ B
 اميركا او الجمهورية الاميركية A ٦ — ٢٧
 ٢٩١ ٢٢٢ ١٥ ١٢١ ١١٥ ٧٨ ٧٥ ٢٩
 — ٢٨٨ ٢٦٢
 ١٨٠ ١٧٢ ١١٤ ١١٢ ٤٤ ٢ ١٨ B
 ٢١١ ٢ ٨ — ٢٠٠ ٢٥٩ ٢٥٢ ٢ ٧
 ٢٨٩ ٢٥٧ — ٢٤٨ ٢٢١ ٢١٥
 الاميركان الاميركيون الاميركي A
 ٢٧٢ ٢٢٢ ١٦ ١٢٠ ٩١ ١٨ ١٢ ٦
 ٢٥٤ ٢ ٢ ٢ ٠ ١٧٢ ٥٩ ٢٩ ١٩ ١٢ B
 — ٢٥٧
 الاناضول B ٢٨١
 الاندلس A ١١٨ ١٣٣ ٧١٣
 ٢ ٦ ١ ٨ B
 انس (جبل) A ١ A ١
 الاصاب A ٢٨٤
 انطاكية B ٢٠٧

إيطالي - ايطاليون ٢٧٨ ٢٧٢ ١٨٧ أ
 ٢٢٤ ب ٢٤٧ ٢ ا
 ايطاليه ٢٠٢ ٢٠١ ٢٧٢ ١٢١ ٦٢ أ
 ٢١ ٢ ٨ ٢٨٤ ب
 ايلياس الخورك (بطريك الموارنة)
 ٢٢٠ ٢١١ ٢١ ب
 ايوب الصديق ٤ ٥ ب ٢٦٥ أ
 الايولي شكري ٢٩٨ ب

الاولقيانوس الهندي ٢١٥ ب
 اوما (بلدة) ٢١٢ ب
 ايراز ٢٨٢ ٢٥٢ ٢٤٥ أ
 ٢٧٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢١٦ ١٨٠ ١٢ ٥٥ ب
 ٢٦٥ ٢٢٥
 ايراني - ايرانيين ٢٤٢ ٢٤٢ أ
 ٢٤٠ ٢٠٤ ٢٠٢ ب

— حرف الباء —

البحاح (قرية) ٢٧٦ أ
 البحر الايض ١٩٠ ب ٦٠ أ
 البحر الالمتيكي ٢٨١ أ
 ابهر الاحمر ٢٨٢ — ٢٨١ ١٨٨ أ
 ٢٥٢ ٢٢٢ ٢١٥ ٢٠٥ ٢ ا
 ٤١٥ ٤١٢ ٢١٥ ١٩٢ ١٧٦ ١٦١ ٢١ ب
 بحر اوقاس ١٩٥ ب
 بحر فارس ٢٠٢ ١٩٥ ب
 البحر العربي ٤١٥ ب ٥٨ ٥٢ ٤٢ أ
 بحر عمان ٢٠٢ ب
 البحر المتوسط ٢١٥ ١٩٧ ١٨٩ ب
 البحر الميت ٢٩١ ٢٩ ب
 البحر الهندي ٢١٦ ٢٠ ب
 البحرانيون او الطارة ٢٠٧ ٢٠٠ ب
 ٢٤٩ ٢٤٢ ٢٢٦ ٢٢ — ٢١٤
 البحرين ٢٤١ ١٨ أ
 ١٥٢ ١ ٢ ٧٢ ٦٦ ٦٤ ٤٧ ٢٦ — ١٢ ب
 ٤١٦ ٤١٢ ٢٤٧ — ١٧٩ ١٥٩
 بداح ١٤١ ١٢٤ — ١٢٢ ب
 بدر (مدينة) ٢١٥ أ
 بدر (يوسف السالم جلبي آل) ١٤٨ ب
 ١٥١ ١٥
 البدر ٤١ ٤٠ ٢٠ ٢٧ ٢٦ ١٥ ٩ أ
 ٢١٤ ١٤٦ ١٢٢ ١٢٥ ١ ٥٠ ٤٨ ٤٧
 ٢٨٦ ٢٨٥ ٢٨٢ ٢٧١ ٢٨٢ ٢٧٤ ٢٦٧

الباب ٢٥٢ ب
 باب المنذب ٢٨٢ أ
 بابل ١٩٢ ١٩٠ ب
 الباجعي (حمدي) ٢٧٢ ب
 باحل ٢١٢ ٢٠٢ — ٢٠٠ ١٧٨ أ
 ٢٧٥ ٢٦ ٢٢٨ ٢٢ ٢٢٧ ٢٢٢
 البادية ٦٥ ٥٢ ٤٧ ٤٢ ٢٨ ٢٥ ب
 ١٨٢ ١٦٢ ١٥٨ ١٤٧ ١٤١ ٨٦ ٨٥ ٢
 ٢١٢ — ٢١١ ٢٥
 بادية التيه ٢٨٩ ب
 بادية سيناء ٢٨٩ ٢٨٨ أ
 بادية الشام ٤٥ ٢٥ ب
 داريت (البحر) ١٨٨ أ
 باريس ٢٢٤ ٢ ٤٥٢ أ
 ٢٨٦ ٢٦٦ ١٨٢ ١٤ ١١٦ ١١٢ ٩٩ ب
 ٢١٥ ٢١٤ ٢١٠ ٢ ٩ ٢ ٧ ٢ ٥ ٢٠
 ٢٧٦ — ٢٢١ ٢١٩
 باسلامه (اسماعيل) ٩٨ ٩٦ أ
 باش اعيان (الشيخ محمد امين طلي) ١٤٨ ب
 الباطن ١٢٩ ١٢٥ ١٢٤ ب
 بالمرستون (اللورد) ٢٥٢ أ
 بان ٢٧٧ أ
 بامادور (محمد شريف خان) ٢٤٥ أ
 ٢٤٨ ٢٤٢ ٢٤٠ ب ٢٨١ ٢٤٦
 البتراء (اسم نقد) ١٠٩ ب

البسام (عبدة) ١١٥ ١١٤ B
 البستاني (سليمان) ٢٨٤ ٥٠ A
 البسفور ٥٨ A
 البصره ١٢١ ٦١ A
 ١٦٢-١٤٨ ١٤٠ ١٤٠ ٩٩ ٢٦-١٤ B
 ٢٥٥ ٢١٥-٢٠٢ ١٩٢ ١٨١ ١٧٢-١٧٠
 ٢٦٢-٢٥٠ ٢٤٢-٢٢٩ ٢١٧ ٢٢٤ ٢٦٤-
 ٤١٠ ٤٠١
 البصير (الشيخ مهدي) ٢٧٢ ٧٧٠ B
 بطي (روفائيل) ٢٩٨ ٢٩٧ B
 بيدا ٢٠٥ B
 بندان (جيل) ١٠٧ ٩٦٨
 بقوية ٢٢٩ ٢٨٠ B
 بطلبك ٢٨٢ ٢١٢ B
 بغداد ٢٤٩ ١٢ A
 ١٢-١٢ ١٦٨ ١٥٤ ٩٩ ٧٧ ٥٤ ٢٤-٢٤ B
 ٢٦٧ ٢٦٦ ٢٥٨ ٢٥٥ — ٢٥٢ ٢٢٨ ٢١٦
 ٢٧٠-٢٦٠ ٢٤٢ ٢٤١ ٢٢٨ ٢٢٦ ٢٨٠
 ٢٧٨
 بلاد الاكراد ٢٢٩ ٢٧٢ B
 البلجيك ٢٨٨ ٢٦٧ A
 بلعاف (مينا) ٢٨٥ A
 « بلد الشيخ » ١٠٢ B
 بلزوك ٥٢ A
 بلس (الجنرال) ٢٠٢ ٢٩٩ B
 بلشفي - بلشفيون ٢٨٢ B ٢٢٢ A
 بلفين (الجنرال) ٢٠٠ B
 بلغراف (وليم) ٩ A
 بليس (هاورد) ٢٠٧ ٢٠١ B

٦٥ ٥٧ ٥٢ ٢٧ ٢٢ ٢٨ ٢٧ ٢٥ ٢٢ B
 ١٢٦ ١٢٤ ١١٦-١٠٤ ٩٢ ٨٤ ٧٢ ٧٠
 ٢٥٩ ٢١٢ ١٨٦ ١٦٩-١٥٥ ١٥٠ ١٢٨
 ٢٧٦ ٢٩٥-٢٨٧ ٢٦٤
 بنو الرويس ٥٠ A
 البصوبات ٢٠٣ A
 البديع ٢٠٥ B
 براغ (جيل) ٢١٥ A
 بر الشام ٢٩١ A
 بربره ٢٢٥ B
 البرتغال ٢٨١ A
 برتالي - برتاليون ٢٨٠ A
 ٢٢١ ٢١٧-٢١٥ B
 برتن (وتشرد) ٩ A
 برج ايجل ٥٧ A
 بركات (سبحي بك) ٢٧٢ B
 بركهارت (جان) ٩ A
 بروستاني روتستانيون ٢٩٢ ١٥٨ A
 ٢٨٧ ٢١١ ٢٨٥ B
 بريان ٢١٥ B
 برينه ٩ A ٩ A ٩٨ B ١٠٠ ١١١
 ١٨٠ ١٢٧ ١٢٠-١١٨ ١١٦
 بريطانية العظمى او الحكومة الانكليزية او
 بلاد الانكليز ٦١ — ٥٩ ٢٦ ٢٠
 ١٧٢ ١٧٥ ١٥٢ ٧٤ ٧٢ — ٦٥ ٦٣
 ٢٨٢ ٢٨١ ٢٤٢ ٢٢٢ ٢٠٠ ١٩٠-١٨٠
 ٢٦٨-٢٥٢ ٢٤٩ ٢٤٠ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٠١
 ٢٨٦ ٢٨١
 ١٥٥ ٦٦ ٥٩ ٥٦ ٢٧ ١٩ ١٧ ١٥ B
 ٢٤٨-٢٣٧ ٢٢٤ ٢٢٢ ١٦٧ ١٦٦ ١٥٦
 ٢٧٢-٢٨١-٢٧٠ ٢٦٢ ٢٥٦
 البريطانيون « راجع الانكليز »
 بريوند (الكولونل) ٢٩٢ B
 البريمي (عشيرة) ٢٨٢ A
 آل سالم ١٩٢ B

البيهاء B ٢٥٢
 البهرة (فرقة من الاسماعيلية) A ٢١٥
 بوذا A ٢٤٥
 بوذي - بوذيون A ٢٤٢
 بورت سيد B ١٩٢ ١٩٢
 بورت سودان A ٧٧ ٦٢
 بوطن (جبل) A ١٠٦ ١٠٦ ٢٠٢-٢١٤
 بولك B ٢١٥
 ياباب (الكولونيل) B ٢٩٩
 يارنيز B ١٨٣
 بيت الفقيه (مدينة) A ٧١٥ ٧٢٩ ٢٥٩
 ير احمد (مدينة) A ٢٨٨
 ير سبع B ٢٨٩
 ير العزب A ١٦٩ ١٦٢
 ييزاني (الملازم) B ٢٩٢ ٢٩٢ ٢٩٦
 يشه (قلعة) B ١٨٠
 يشون B ٢-١-٢٠٥-٢١٢ ٢١٥
 ييرنق (مضيق) A ٢٩٢
 يبروت A ٤٨ ٦٠ A
 ٢١٥ ٢١١-٢٠٠ ٢٩٦ ٢٦٥ ١٥١ B
 ٢١٨ ٢٢١ ٢٠٢
 ييكو (جورج) A ٦٤
 ٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٤ ٢٠٢ B

بجاي A ٤٤ B ١٢-١٨-٢٢ ٨٩
 ١٧٢ ١٦٨ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٥٢-٢٥٧ ٢٦٠
 ٢٥٠
 بنادكتوس الخامس عشر (بابا رومه) B ١٧٧
 بنت (ليودور) B ١٩٢
 البنجاب (مقاطعة) A ٢٤٢ B ١٤٩
 بنغو عباس B ٢٧٢
 بنتازي B ٢٦٧
 بنو نعيم B ١٠٦-١٠٨-١١٦ ٢٠٨
 بنو خالد B ١٠٧ ١٥٢
 بنو زيد B ١٠٧
 بنو سعد B ١٠٦
 بنو السملان B ٥٥
 بنو طي B ١٥٢ ٨٨
 بنو علي آل B ٢٠٦ ٢١٨ ٢٢٨ ٢٣٠
 ٢٢٨
 بنو ضنه B ٢١٨ ٢٢٠ ٢٢٤ ٢٢٥
 ٢٢٧ ٢٢٥
 بنو صكلب B ١٥٢
 بنو مطر (قبيلة) A ١٠٧
 بنو ناصر A ٢٥٦ ٢٥٧
 البنيا او البنيان A ٢٤٥ ٢٤٢ ٢٤٢
 ١٦٨ B

— حرف التاء —

١٨١-١٩٠-٢٠٤-٢١٦-٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٤ ٢٢٧
 ٢٢٤ ٢٢٨ ٢٦٠-٢٧٣-٢٩٠ ٢٦٨ ٢٠١
 ٢٠٢ ٢١٤ ٢١٨ ٢٥٢ ٢٥٩ ٢٦٠-٢٦٩
 B ٥٥ ٧١-٧٤ ١١٨ ١٥٩ ٢١٦ ٢٦٨
 ٢٧٢ ٢٧٧ ٢٨١-٢٩٩-٢٢٧ ٢٥٥ ٢٦٠
 ٢٧٠ ٢٧٦ ٢٧٠-٢٤٠-٢٤٤ ٢١٤
 التركية (الدولة) «راجع الدولة العثمانية»
 نرشل B ٢٧٥ — ٢٧٧ ٢٢٩ ٢٤٠
 ٢٢٧ ٢٤٨

تاجورا وسلطانها A ٢٢٦ ٢٢٤
 التازي (الشيخ عبد الوهاب) A ٢٥٢
 ٢٦٢ =
 تاروت B ٢٢٧
 تبوك A ١٨ B ٢٩٠
 تربه (قرية) A ٤٨ ٥١ ١٩٢
 B ٥٨ ١٢
 تربه (قلعة) A ٢٩٦
 الترك او الانراك A ١١ ٢٩ ٢٦ ٥٤ —
 ١٢٧-١٧٠ ١٤٥ ١٢٧-٩٩ ٨٥ ٧١ ٦٤

٤١١ ٢٨٢ ٦٩ ٦٦ B	٢٥٩ ١٨٩ ٩٨—٩١ A (بلد)
٢٢٨ ٢٢٢ A - تهاميون	٢٢١
تواهي A ٣٥٣	٢٦٢ B. (بلد) نقل كفت
٢٧٠ ١٣٠ A - توفيق باشا	التنبيه (قرية) A ٣١٩
٣٠٧ B (الكولونيل) تولا	التنيس (نهر) B ١٣
٢٩٠ B تيباه	تھامه A ٧٧ ١٠٠ ١٣ ١٣٢ ١٧٤
٢٩٣ ٢٩٠ ٢٨٧ B (جريدة) التيسس	٢٤٢ ٢٢٩-٢١٨ ٢٠٦ ١٩٢ ١٨٧ ١٧٧
٢١٥ B تيبورلنك	٢٩٥ ٤٨٨ ٤٨١ ٢٧٧ ٢٧٣-٢٥٦ ٢٤٨
	٢٥٢ ٢٢٨ ٢٢٥ ٢٢٠ ٢١٤ ٢٠١ ٢١٧

— حرف التاء —

توردا B ١٠٩ ١٠٨ ١٠٦

— حرف الجيم —

١٢٧ ١٢٣ ١٢٠ A - جرجي الهندساوي	٢٥٧ B الجاحظ
١٨٥	٢١٠ B (الاشعث بن عبدالله) الجارودي
٩ A (البطوريك) الجبر صجيري	١٧١ B (السردار) جاسم
١٩ B جبرير	— ١٧٦ ١٣٢ A (الكرنل) جاحكوب
٣٤٨ A الجزائر	٢٦٨ ٢٦٥ ٢٤٧ ٢٤١ ١٨٢ ١٧٩
٢٩٨ B (الامير عبد القادر) الجزائر	الجامعة الاميركية B ٤٠٣
١٠٩ B (اسم نقد) الجزم	٢٨٢ ٢٦ A جاوه
٢٨٠ A الجزويت	٢٤٣ ٢٤٢ A الجاوي
٢٧ B الجشه	جب جنين B ٢٢٧
٢٠٣ B ٢٤٢ A - جفريون	جبرين (وادي) B ٧٣
١٤٠ ١٣٧ ١٣١ ١١٨ B جبين	جبييل (اسكلة) B ٢٣ ٢٢٢ ١٦٢ ١٩٢ ١٩٤
١٤٣	جبييلة (قرية) B ١٠٢
٣٧٢ ٣٧١ A (السيد طوي) الجفري	جدا (جزيرة) B ٢١٦
٣٥٠ B ٣٧٠ A (بلد) جلاجيل	جده A ١٢ ١٤ ٢٢ ٣٥ ٣٨ — ٥٠
٢١٦ B (الدين شاه) جلان الدين	١٢٥ ١٢ — ١١١ ٧٢ ٦٨ ٦٢ ٦٢ ٥٨ ٥٢
٢٣٨ ٢٢٨ ٢١٨ B (الجماعة) جلامه	٢٢٥ ٢١٥ ٢٧٨ ٢٧٧ ٢١٧ ١٨٢ ١٤١
١١٧ B (مدد العزيز بن مساعد آل) جلوي	٢٢٩
٢٩٥ B الجليل	٢٤٢ ٢١٢ ٢٨٤ B
٦٠ ٥٩ A (باشا) جلال	٢١٨ ٢١٦ B (مرجيمون) جديفة
٢٩٥ ٢٩٠ — ٢٨٨ ٢٨٥ ٢٨٤ B	١٥٢ B جديله
٢٨٠ B (فضري آل) جليل	

الجوف A ٣٣٩ B ٦٩ ٧٨ ٨٢
 ١١٧ ٢٩١ ٢٩٠
 الجون (موسى) A ٥٥
 جيبوتي (مدينة) A ٣١٧ ٣٢٣ ٣٢٤
 ٢٤٨ ٢٤٧
 جيزان A ١٧ ١٢٠ ١٥٣ ١٨٢ ١٨٧ —
 ١٨٩ ٢٢٥ — ٢٤٠ ٢٥٢ ٢٧٥ ٢٨٤ ٢٧٧
 — ٢٩٦ ٣٠٢ ٣١١ ٣١٥ ٣٢١ —
 ٣٣٥ ٣٥٩ B ١٦١ ٤١٢
 الجبلاني (الولي عبد القادر) B ٣٥٤
 ٢٥٨ ٢٥٧

جبله B ١٥٣ ٢١٨ ٢٣٥
 الجندي (حسن) B ٣٢٧
 جنكيز خان B ٢١٤ ٢١٥
 الجهره B ١٣٩ - ١٤٣ ١٤٩ ١٥٨ ١٦٤
 ١٦٨
 جنيف A ٣٠٦
 جو (قرية) B ٢٠٥
 الجواد (الامام محمد) B ٣٨٨
 جودت بك B ٢٨٨ ٢٩٥
 جورج الخامس (ملك الانكليز)
 ١٧٨٨ ٢٤١ B ١٦٦ ٢٨١ ٢٤٢ - ٢٤٦
 جورج (لويد) A ١٢١ ٣٣٩ ٣٤٠
 ٢٠٧ ٢١ B

— حرف الحاء —

٣١٥ B ١٧ ٥٧ ١٢٥
 حطام (وادي) A ٢١٤
 الحجير (وادي) B ٣١٥
 الحجيله (قرية) A ٢٠٠ — ٢٢٦
 حجر الحجور (بلد) A ٣٧٧
 حداد باشا A ٣٦
 الحد (مدينة) B ٢٠٦
 حده (قرية) A ٣٧
 الحديدة A ٧٧ ١١٠ ١١٥ ١٣٠ ١٤٠
 ١٥ ١٧٤ — ٢٧٨ ٢٨٢ ٢٨٤ ٣٠١ —
 ٢٢٦ B ١٦ ٢٦ ٢١٥
 حراز (جبل) A ٣٠٠ ٧٠٨ ٧١٠
 ٢١٥ — ٢١٢
 حرب (قبيلة) B ١١٦
 الحرمين B ٥٧ ١٠٢ ٢١٣ ٢٢٠
 الحرير (وادي) B ٢٢٦
 الحجاج بن يوسف B ٣٥٥
 الحرير A ٢٢٢ ٢٩٠ ٣١٥ B ٦٤
 حرمله (بلد) B ١٢ ١٤ ١٦
 الحريري B ٣٥٧
 حرقبل (ساسون اقندي) B ٣٢٨ ٣٤١

حاتم بحر (الولي) A ٣٥٦
 حاشد (قبيلة) A ١٠٩ ١٢٢ ١٨١
 ٢٧٢ ٣١٥
 حافظ ابراهيم A ٢٨٤
 حائل B ٨١ ٥٨ — ١١٧ ١٣٠
 ١٨٠ ٢٧٢ ٢٩٠
 حب (جبل) A ٩٦
 حبان (مدينة) A ٢٨٥
 الحبيشة (بلاد) A ٣٢٤
 الحبشيات (النساء) A ٢٨٧ ٢٢٤
 حبل (قرية) A ٣١٨
 الحجاز A ١٢٨ — ٢٣ ١٨ — ٣٠ ٤٠ — ٦٦
 ٨١ ١١٩ ١٢ ١٣٥ ١٥٠ — ١٥٣ ١٧٢
 ١٩٢ — ١٩٤ ٢٢٢ ٢٢٥ ٢٢٨ ٢٧١
 ٢٨٤ ٢٧٢ — ٢٢٤ ٢٢٨ — ٢٥٩ ٢٢٦
 ٢٧١
 B ١٤ ٢٥ ٢٨ ٢٩ ٤١ ٥٠ — ٥٨ ٧٨
 ٨٥ ١٠٢ ١٧٩ — ١٨٧ ٢٢٢ ٢٥٤
 ٢٨٤ — ٢١٢ ٢٤٢ ٢٦٥ ٤٠٢ — ٤١٦
 حجازي - حجازيون A ٢٢٣ ٢٩٠

٢٩٦ ٢٩٤ ١٧١ B ٦٥ ٦٠ A طلب
 ٢٦٧ ٢٢٤ ٢٢٠ ٢١٢ -
 الخلة B ٢٢٤
 الخناد B ٢١٢
 جاء A ٦٥ B ١٧٤ ٢٩٦ ٢١٢
 حد B ١٤٢ ١٢٨
 حدان (أبو سعيد) B ٢١٢
 الخراء A ١١
 حدي باشا B ١٥٥
 حزه (الشيخ) A ٢١٨ - ٢٢٦
 حص A ٦٥ B ٢٩٦
 حود B ١٢٩ ١٢٣ ١٤٠ ١٤٢ ٢١٢
 الحوي (ياقوت) A ٢٧
 حنفي - حنفيون A ٢٤٢ B ٤١١
 حنيقه (وادي) B ١٠١ - ١٠٢ ١٠٣
 ٢٠١ ١٢٦ ١٢٩
 الخواشب A ٨١ - ٩٢ ٩٨ ٢٩٩
 ٢٥٩ ٢٦٧ ٢٨١ ٢٨٧ ٢٩٧ B
 الخواشب (سلطانة) A ٨٩
 الخواشد A ١٠٩
 حوران (وادي) B ٢٢٧
 الحوره (ميناء) A ٢٨٤
 الحوطة (خاصة لحج) A ٢٦١ ٢٧٠
 ٢٨٦ ٢٧١
 الحولة B ٢١٦
 حو مل B ١٠٩
 الحويلة (قرية) B ٢٢٨
 حيدر (رستم) B ٢٥٤ ٢٦٥ ٢٨٢
 ٢٨٢
 الحبيبة B ١٠٦
 حيفا B ٢٢١ ٢٢٤ ٢٥٢
 الحيمه (بلد) A ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٤

٢٧٢ ٢٦٢ ٢٦١
 حوز (قرية) A ١٠٦ ١٠٧
 الحساء A ١٨٢ B ٢٠ - ٢١ ٢٥ -
 ١١٥ ١٠٨ ٩٤ ٩٢ ٨١ ٧٤ - ٥٢ ٢٧
 ٢٠١ ١٨٢ - ١٧٦ ١٦٨ ١٦٤ ١٦٢ ١٥٤
 ٢١٦ - ٢٢٢ ٢٢٩ ٢٢٤ ٢٥٠
 الحسا (قلعة) B ٢٩٤
 الحسن (راجم ابن ابي طالب)
 حسن (الشريف) A ٥٥
 الحسين (راجم ابن ابي طالب)
 حسين بن علي (ملك الحجاز) A ١١ -
 ١٢٥ - ١١٦ ١٠٠ ٩٢ ٨١ ٧٥ ٧٢ ٦١
 ١٩٦ - ١٨٦ ١٧٥ ١٥٥ ١٤٩ ١٢٥ ١٢٢
 ٢١٨ ٢٠٨ - ٢٠٥ ٢٩٨ - ٢٨٢ ٢٧٢
 ٢٧٢ ٢٥٩ ٢٢٦ - ٢٢٥
 ١٨٤ ١٧٠ ١٢٠ ٩٦ ٥٨ ٥٦ ٢٨ B
 ٢٠٢ - ٢٩٠ ٢٨٨ - ٢٨٤ ٢٦٧ ٢٤٧
 ٢٤٢ ٢٢٢ ٢١٥ ٢١٢ ٢٠١ ٢٠٨
 الحسيني (الدكتور محمد) A ٣٥
 الحصري (ساحل بك) B ٤٠٠ ٤٠٩
 ٤٠٢
 الحضرة B ٢٤٢
 حضرموت A ١٥ ١٧ ١٢١ ١٢٠
 ١٨٢ ١٨٧ ٢٨٤ ٢٨٤ ٢٧٧ ٢٩٠
 ٤١٢ ٢٠٢ ٢٠٢ B
 حضرمي - حضرميون A ٢٢٢ ٢٧
 الحضرمي (عبد الله بن ابياد) B ٢٠٨
 ٢١٧ ٢٠٩
 حطاش (جبل) A ٢١٤
 الحفر ماء B ٩٩ ١٠٠ ١١٩ ١٢٢
 ١٤١ ١٢٩ - ١٢٤

— حرف اطاء —

خليفة (الشيخ خليفة بن الشيخ سلمان آل)	٣٦٥ ٢٧٢ B (الشيخ مهدي)
٢٢٢ B	خبرة الدويش B ١٦٤ ١٣٩
خليفة (راشد بن عبدالله آل) B ٢٧٤	الحداد (قرية) A ٢٧٠
خليفة (الشيخ سلمان آل) B ٢١٩ —	الخرج (مقاطعة) B ٣٢ ٨٨ ١٠٢
٢٢٥ ٢٢١	١٠٨
خليفة (الشيخ عبدالله بن احمد بن محمد بن	الحرمه (قرية) A ٥١ B ٥٨ ١٨٠
خليفة آل) B ٢٢٢ — ٢٢٣ ٢٢٤	نرحل خان (امير نويان) A ٢٧٤
خليفة (الشيخ علي بن خليفة بن سلمان آل)	B ١٥١ ١٥٢ ١٦٦ ١٧٠ — ١٧٦
B ٢٢٨ — ٢٢٢ ٢٢٥	الحضر أبو العباس A ٢٥٢ — ٢٦٤
خليفة (الشيخ عيسى آل) B ٢٤٧	الخطاب (عمر) B ٧٢ ٣٥٠
خليفة (الشيخ مبارك بن عبدالله آل) B ٢٣٠	الخطيب (قواد) A ٢٣ ٢٢٨ ٩٣ ٢٢٢
خليفة (الشيخ محمد) B ٢٢٨ ٢١٨	٢٢٤
خليفة (الشيخ محمد آل) B ١٨٦ ٢٢٠	خليج فارس A ٦ B ١٦ ٣٥ ٥١
٢٢٢	١٨٩ ١٧٦ ١٦١ — ١٥٠ ١٤٠ ١٩ ٦١ —
خليفة (الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان آل)	١٩٠ — ١٩٤ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٦ ٢١٤ ٢١٦
B ٢٢٤ ٢٢٨	٢٢٩ ٢٣١ ٢٢٢ ٢٥٥ ٢٧٢
خليفة (الشيخ محمد بن عبدالله آل) B ١٨٤	٢٣٥ ٢٤٢ ٤١٥
١٨٧	خليفة (الشيخ) B ٢١٨
الحنجي (محمد صالح) B ١٨٨	خليفة (آل) B ١٥٢ ٢٠٤ ٢١٧ —
الحندي (قرية) A ٨٦	٢٢٠ ٢٢٥ ٢٢٨ ٤١٥
الحنساء B ٤٠٦	خليفة (الشيخ ابراهيم بن محمد آل) B
الحوية (قرية) A ٣١٩	١٨٥ — ١٨٧ ٢٢٣ ٢٢٤
الحوخه (قرية) A ١٨٧	خليفة (الشيخ احمد بن سلمان آل) B ٢٢٦
خوزستان B ٢١١ ٢١٨	خليفة (الشيخ احمد الفاتح آل) B ٢١٩
التوير B ٢٢٣	خليفة (الشيخ حمد آل) (الامير الحالي) B
التيام (عمر) A ٧٤ B ١٨٨ ٢٧٩	٢٠٥ ٢٤١ ٢٤٣
٢٩١ ٢٩٤ ٢٩٥	خليفة (الشيخ خالد بن علي آل) B ٢٠٥
خيبر B ١١٧ ١٥٢	

— حرف الدال —

دامه B ٢٣١ ٢٢٢	دار الامير (قرية) A ٣٤٩ ٣٥٦ ٣٧٠
داود (النبي) A ٢٩٤ B ٢٧١	دارين (جزيرة) B ١٩٢ ٢٠٩ ٢٢٧
الداودية (فرقة من الاسماصلية) A ٢١٥	٢٢٢

الدمام B ٢٢٠	الديباغ (عبد العزيز بن مسعود) A ٢٥٢
الدميري B ١٩٥ ١٩٩	٢٦٣
الدنادشة B ٢٢٣	الديبديبه (سهل) B ١١٧ ١٣٩ ١٤٠
دنتون B ٢٨٢	دبّين (وادي) A ٨٦ ٨٥ ٢٧٤ ٣٦٩
دنتله A ٢٧٢ ٢٧٥	دُمي (بلد) B ١٩٤
دقلي - دنقليون A ٢٢٦ ٢٢٤	الدنية (ناحية) A ٣٨٥
ده فوكرسون B ٢٢٢	دجلة (نهر) A ٦٠ B ٣٠ ١٨٩
دهلي B ٢١٦	٢٨٨ ٢٥٨ ٢٥٤ ٢٦٥
الدهناء A ٢٣٩	دجونسون B ٢٦٠
١١٧ ١ ٨ ٩٩ ٨١ ٧١ ٢٥ ٢٢ ٢٧ B	الدجيلي (كاظم) B ٢٧٩ ٢٨٧ -
٤٠٤ ٢٠٢ ٢٠١ ١٦٩ ١٢٦ ١٢٧ -	٢٩٨ ٢٩٥ ٢٩٢
الدواسر (قبيلة) B ٧١ ٩٩ ١٠٤	دخان (جبل) B ٢٠٥
٢٥ ٢٠٥ ١ ٦	الدخول B ١٠٩
الدواسر (وادي) B ٧١ ٧٤ ٨٦ ١٢٩	الدراجة B ٢٥٨ ٢٥٩
الدوحة B ٢٣٠	درزي - دروز B ٣٠٩ ٣١١ ٣١٦
دوران (القطنان) B ١٩١	درعا B ٢٩٠ ٢٩٤ ٢٩٥
دوطي (شارلس) A ٩ B ١١٤ -	الدرعية B ١٠١ ١٠٣ ٢٢١ ٢٢٣ -
١١٦	دروين A ٩٢ B ٣٨٧
دون كيشوت B ٤٠٥	دكسون (البحر) B ٢٧ ٢٤ ٦٥
الدويش (قبيل) B ٨٢	الدكيم (قرية) A ٨٤ ٣٦٧
ديالي B ٢٨ ٢٢٧	دمشق A ١٠ ٥٧ ٦٥ B ١١٣ ٢٨٤
دير العشار (قرية) B ٢٢٦	٢٢٨ - ٢٦٧
الدياس B ٢٧٧	الدمشقيون B ٣٠٠ ٣٠٩ ٣١١ ٣٢٧
الديوانية B ٢٥٩ ٢٢٧	الدملوجي (الدكتور عبدالله) B ٢٩ ٦٥

— حرف الدال —

٢١٤ ١٧١ ١٦٩ ١٣٦ ١١١ ١١٦	الذياني (الناجة) A ٣٨
الذهب (وادي) A ٩٦ ٩٩	ذري (وادي) A ٣٨٥
ذو حسن (قبيلة) A ٥٠ ٢٢٨	ذكير (ال) B ١١٢
ذو الفقار B ٢٥٦	ذمار (مدينة) A ١٠٠ ١٠٣ ١٠٦

— حرف الراء —

الراضي (عبد النبي) A ٢٧٩	رائب باشا A ٥٦
الدكتور رامي B ١٧٤	رأس الرجاء الصالح B ٢١٥
راهو (الملازم) B ٢٩٢	رأس عمران A ٢٨٢
الربيع الخالي A ٣٧١ B ٥٠ ٦٨ ١٢٤	رأس المشطاب B ١٩٤

الرمه (وادي) B ١١٦ ١٣٤ ١٣٩
 روبرنس (ادمون) A ١٨
 رودس (جزيرة) A ١٥٥
 روزقلت (تيودور) A ١٢ B ٣٢٤
 الروس A ٣٣٣
 روسية A ٢٩٣
 روضة مهنا B ١٥٧
 رولنسون (جورج) B ١٨٩ ١٩٠
 ١٩٣ ١١٣ ٢٢٨
 الرولا (قبيلة) B ٥٥ ٥٦ ٣٠٨
 روماني - رومانيون A ١٢٨ B ٧٤
 رومه A ٥٠ B ١٧٢ ٤١٤
 الرومي (جلال الدين) A ٤٥ ٢٤٨
 رؤوف باشا A ٣٦٠
 الرويس A ٣١٨
 رويس (الشيخ محسن) A ٣٩٠
 الرياض A ٩ ١٣ ١٤ B ٣٣ ٢٥
 ٧٠ ٧١ ٧٢ - ٩٢ ٨٩ - ١٠٦
 ١١٥ - ١٢٨ ١٤١ ١٥٧ ١٥٩ ١٦٤
 ١٨١ ٢٠١ ٢٤٣ ٢٤٨ ٢٥٢
 رباق B ٣٢٤
 ريحان (الدكتور) B ١٥١ ١٧٢
 ريلي (الميجر) A ٧٤ ٧٦ ٨٠
 ريمه (جبل) A ٢١٤

ريعه B ٥٦ ١٣٥ ١٥٧ ٢٢٠ ٢٣٥
 ٤١٦ ٤١٣
 رجب باشا B ١٥٥
 رزق (الشيخ احمد) B ٢٠٥
 الرسي (السيد يحيى بن الحسين القاسم)
 ١٢٢ ١٢٩ A
 الرشيد (الشيخ ابراهيم) A ٢٥٢ - ٢٦٠
 الرشيد (هارون) B ١٢٢ ٢٤٤ ٢٧٠
 ٤١٠
 الرشيدية (طريقة) A ٢٦٠
 الرصافي (معروف) B ٢٧٩ ٢٧٦ -
 ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠
 الرضي (الشريف) B ١٧٢
 رضا (الشيخ علي) A ٣٧٩
 رضراض (جبل) A ١٠٨
 رضوان (محمد طاهر) A ٢٠١ ٢٠٢
 ٢٢٩ ٢٢٨
 الرفاع B ١٩١ ٢٠٤ ٢٢٨ ٢٢٩
 الرفاعي (السيد هاشم بن السيد احمد) B
 ٢٣ - ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠
 الرفيق (عون) A ٥٥
 رفوح (وادي) A ٢٨٥ ٢٨٦

— حرف الزاي —

الزبير B ١٦٢
 الزجاج (ابو البهلول محمد بن يوسف) B
 ٢١٤
 الزرانيق (قبيلة) A ٢٣٠ - ٢٤٠ ٢٧٢
 زقلول (سعد باشا) A ١٢١
 الزنج (صاحب) B ٢١٠
 زنجبار (جزائر) B ١٦١
 الزهاوي (جبل صدقي) B ٢٧٩ ٢٨١
 - ٢٨٦ ٢٨٨ ٢٩٧ ٤٠٤ ٤٠٥
 الزور (جبل) B ١٤٠ ١٤١

زايد (عبدالله بن علي ال) B ١٨٧ ١٨٨
 الزبارة B ٢٠٥ ٢٠٩ ٢١٧ ٢٧٢ -
 ٢٢٨ ٢٢٩
 زباره (السيد محمد) A ١٠٩ - ١١١
 ١٢٣ ١٦١ ١٧٢ ٢٠٢
 الزبداني B ٢٢٦
 زيد (مدينة) A ٢٢٨ ٢٥٩ ٢٦٠
 زينه (امرأة هارون الرشيد) B ١٢٢
 - ١٢٤

٢٥٧ ٢٤٩ ٢٤٢ ٢٢٠ ٢١٥ ٢٠١ ٢٧٢	زولا (أميل) B ٢٩٢
٤١٢ B ٢٨٩ - ٢٨٧ ٢٧٦ ٢٧٥ ٢٦٢	زيد (امام الزيدية) A ١٢٨ ١٢٦
٤١٢ ٤١١ B ٣٧٠ ٣٧٥ A	زيدية A ٢١٥ ١٤٤
٢٢٥ B	زيد بن حسين بن علي (الامير) A ٢٤
١٢٦ B	زيد بن الحسين بن علي (الامير) B ٢٨٧ ٢٧٨ ٢٤٤ ٦٢ ٥٩ ٥٢ ٥١
١٤ B	زيد - زيود A ٨٩ ١١٠ ١١٤
٥٠ A	زيد (الشيخ قاسم) A ١٢٢ - ١٣٦ - ١٤٠ - ١٤٩ - ١٥٨ - ١٨٨
٢٧١ A	زيدية (قرية) A ٢٧١
	٢٠٤ - ٢٢٧ ٢٣٠ ٢٢٧ ٢٢٤ ٢٦٩

— حرف السين —

١٠٢ B	سالم B ١٢٠ ١٢١ ١٢٨ ١٤٣ ١٤٩
٢٢١ ٢٢٠	سامرا A ٢٨٨
(الامام عبد الرحمن الفيصل آل)	السامي - الساميون B ١٤٩ ١٩٢
١٥٧ B	سان فرنسيسكو A ٢٩٢
٢٣٠ ١٥٤ B	ساوي (المنذر بن) B ٢٠٨
٤٥ B	السيامي (محمد) B ١٠٧ ١٠٨
٢٦٩ A	سنرة (جزيرة) B ٢٠٥ ٢٢٥
١٧٥ ٨٥ A	ستورس A ٦٠
٢٦٦ - ٢٦٦	سدوس (بلد) B ١٧٧
٢٨٨ ٢٥٨ B	سدير (أحبة) B ٢٢
٢٦٢ ٢٦٢ ٢٢١ ٢٩٤	السر (وادي) B ٩٨ ١٠٠ ١٠٦
٢٢٢ ٥١ A	سرجان (وادي) B ٧١
١٥٥ A	سردود (وادي) A ٢٣٠
٢٩٥ B	سركيس (سليم) A ٢٩١ ٢٨٥ B
٢٨٢ A	سريع (عشيرة) A ٢٠٨
١٨٨ ٧٦ - ٧٤ A	سعد الزنجي (ابو بكر بن) B ٢١٤
٢٧٧ A	سعدون (آل) B ٢٦٢
٢٩٤ B	السعدون (عبد الكريم) B ٢٦٢
سلطان (السيد) B ٢٢٠	السعدون (عبد المحسن بك) B ٢٥٠
سلطان (السيد سعيد بن) B ٢٢٠ ٢٢١	٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٧٠ - ٢٧٢
٢٢٧ ٢٢٥ ٢٢٤	السعدون (فهد باشا) B ٢٦٢
٢٢٨ ٢٢٥ ٢٢٩ B	سمود بن سويد (سلطان مستط) A ١٨
٨٨ B	سمود (آل) B ١٥٢ ١٥٧ ٢٥٠
١١٢ B	سمود (الامير سمود آل) B ٧٢١ -
١١٥ ١١٤ B	٢٢٢
١١٤ B	

٢٧٦ ٢٥٢ ٢٨٤ ١١٩
 ١٥٦ ١٥١ ١١٧ ٥٧ ٥٦ ٢٧ ٢٥ ٢١ B
 ٢٥٥ ٢٥٠ ٢٢٧ ٢١٦ ١٩٠ ١٨١ ١٦٩
 - ٢٠٠ ٢٩٥ ٢٨٦ - ٢٨٤ ٢٧٧ ٢٦٦
 ٢٧٦ ٢٧٠ ٢٦٧ ٢٤٤ ٢٤٠ ٢٢٩ ٢٢٢
 ٤٠٤ ٤٠٢ ٢٩٩
 سوق الخبث (قرية) A ٢٠٩ ٢٠٨
 سوق عكاظ B ٤٠٦
 السويداء B ٢٩٨
 السويدي (ناجي بك) B ٢٨٢ ٢٨١
 ٢٦٣
 السويدي (يوسف) B ٢٢٢
 السويس A ٣٦٥ ٣٤٢ ٦٠
 السويس (ترعة) B ٢٩٢ ٢٨٦ ٢٨٥
 سويسره A ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٢٢
 سويلم (بن سويلم) B ١١٧ ١٢٠ ٢٢٩
 سيويه A ٢٥٧ B
 سيبره A ٢٩٣
 سيف (ظاهر بن محمد) A ٢١٥
 سيكس (الكرنل) A ٦٤
 سيكس ييكو (معامنة) A ٦٧ ٦٤
 ٢٩٩ B ٢٠٠ ٢٠٩ ٢١٢
 سيلان B ١٩٠ ١٩٩
 سيهات (بلد) B ٢٧٧

سليم (عقبه بن) B ٢١٠
 سليمان القانوني (سلطان تركيه) A ١٣٠
 ٢١٦ B
 السليمانية (فرقة من الاسماعيليه) A ٢١٥
 سياره (جبل) A ١٠٦ ٩٩
 سياهه B ٢٥٨ ٢٥٩
 سمرقند A ٩
 سمله B ٢٤٦
 سميت (آدم) B ٢٦٩
 السنه B ٢٨٨ ١٩
 السنوسي (الشيخ محمد) A ٢٥٨ ٢٥٩
 السنوسيه (طريقه) A ٢٥٩
 سني - سنيون A ٢٥٥ B ٧٧ ٨١
 ٤١١ ١٠٠
 سهام (وادي) A ٢٣٠
 السواكني (محمد المجنوبي) A ٢٥٩
 السودان A ٢٤٩ ٢٥٩ ٢٦١ ٢٧١
 ١٧ B ٢٧٢
 سوداني - سودانيون A ٢٢٦ ٢٤٧
 ٢١٨ ٢٤٢
 السودانيه (المرآة) A ٢٧١ ٢٧٥ ٢١٦
 السوده A ١٢٣
 سوريه او البلاد السوريه A ١١ ١٨
 ١١٧ ٦٧ - ٦٤ ٥٩ - ٥١ ٤٨ ٤٦ ٢٠

— حرف الشين —

٢١٧ - ٢٨٥ ٢٦٦ ٢١٢ ١٩٠ ١٨٩
 ٤٠٢ ٢٦٧ ٢٢٧ - ٢٠٠
 الشاميه B ٥٥ ٨٢ ٢٣٤ ٢٣٧
 الشاري (مجدد بك) B ٢٧٩ ٢٩٢ -
 ٢٩٦
 شيبام (جبل) A ١٠٦ ١٠٨ ٢٠٥
 ٢٢٥ ٢١٨ ٢١٦ - ٢١٤ ٢٠٨
 شرف الدين بن شمس الدين (الامام) A
 ١٢٢ ١٢٠

الشاذليه (طريقه) A ٢٥٧ - ٢٥٩
 الشاذليون A ٢٥٧
 شاربنتيه B ٢١٧
 شارلس (ملك الانكليز) B ٧٨
 الشافعي - الشوافع A ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣٥
 ٤١١ B ٢٥٧ ٢٤٩ ٢٧٢ ٢٤١
 الشام A ١١ ٥٢ ٦٠ ٨٥ ١٠٩ ١١١
 ١٧٥ ٢٢٨ ٢٢٩
 ٢٦ B ٥٦ ٥٢ ٦٥ ١٣٠ ١٥٩ ١٧١

شمر (جبل) ٢٨ ٥٨ ٨١ ١٢٥ ١٣٦ ٢٧٢
 شمر (قبيلة) ٩
 شنتيط (مدينة) ٢٥٢
 الشنيطي (الشيخ) ٢٩٧
 شهاة (جبل) ١١٣ ١٣١ ١٣٢ ١٣٧ ١٧٥ ٢١٣ ٢١٨
 الشهرستاني (السيدة هبة الدين) ٤٠٠
 شوقي (أحد) ٢٨٤
 الشوكلات ٢٥٩
 الشيخ سعيد (جزيرة) ٣٦٥ ٣٦٦
 الشيخ صلاح (قرية) ٩٥
 الشيخ صمان (بلدة) ٢٥٤—٣٥٦ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٧٠
 الشيرازي (الملاحسين) ٤٥
 الشيعة ٩٤ ٢١٧ ٢١٩ ٢٤٠ ٢٧٧ ٣١٥ ٣٢٤ ٣٤٧ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٨٨ ٣٩٠ ٣٩٢
 شعبي - شبيون ٢٥٥ ٧٧
 ١٧١ ٢٧٢ ٢٨٢ ٣٥٢

الشرقي (النتيب) ٢٩٩ ٢٠٠
 الشرق الادي ٤٤ ٢١٥ ٢٠٣ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٦٧ ٢٧٢
 شرق الاردن ١٨ ٥٢ ٣٣٩
 ٥٦ ١٣٠ ٢٨٦ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٦٥ ٤١١
 شركة الحد الشرقية ٢٤٩ ٣٥٢—
 ٣٥٤ ٣٨٢ ٢١٧
 الشريعة (نهر) ٢٩٤ ٢٩٥
 شط العرب ٩٩
 الشمال (نوري) ٥٦ ٨٧ ٢٠٨
 شعوان (جبل) ١٠٨
 والشعب (ناحية) ١٨٠ ١٨٣ ٢٨٦
 الشق ١٣٩
 شقرا ١٠٠ ١٠٦ ١٠٩ ١٢٧
 شقير (نوم) ٧٢
 الشقيري (الشيخ اسعد) ٢٨٤
 شكبير (وليم) ١٢٧
 الشلهوب (محمد بن صالح) ٨٨—٩٠
 الشمال ١٥٣

— حرف الصاد —

صاح (سالم ال) ١٥٨—١٦٠
 صباح (صباح ال) ١٥٢
 صباح (صباح الاول ال) ١٥٣
 صباح (الشيخ عبدالله ال) ١٥٣ ١٥٤ ٢٢٣
 صباح (الشيخ عبدالله خليفه ال) ١٤٨
 صباح (الشيخ عبدالله سالم ال) ١٦٤
 صباح (مبارك ال) ١٥٣—١٥٦ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٧ ١٧٢
 صباح (محمد ال) ١٥٢—١٥٥
 صبر (قرية) ٣٧٠
 صيا (مدينة) ٢٣٩ ٢٥٢ ٢٦١ ٢٧٥ ٢٨٨ ٢١١ ٢٢٤ ٢٢٦ ٢٥٩

صاحب الزمان (الامام الثاني عشر)
 ١٢٧ ١٢٨
 الصادق (محمد بن اسماعيل بن جعفر) ٢١٢
 صالح (الامير) ٣٧٤ ٣٧٥
 صالح بن عبدالله العولقي (سلطان العوالق)
 ٣٨٤ ٣٩٠
 الصانع (أحمد ماشا) ٢٢
 صباح (ال) ١٥٢—١٥٤ ١٥٩ ١٦٤ ١٦٤ ١٦٤ ٢٢٣ ٤١٥
 صباح (الشيخ احمد ال) (أمير الكويت)
 ١٤٧ ١٤١ ٩٩ ١٧٥—
 صباح (جار ال) ١٥٣ ١٥٨ ١٥٩
 صباح (جراح ال) ٢٥٤ ١٥٥

٢٨٦ ٢٨٨ ٢٦٢ ٢٤٢ ٢٢٩ ٢٠٢ ٢٩٨
 ٤٠٢ ٢٢ ١٢ B
 صور (بلدة) B ١٩٢ ١٨٢
 صوفي - صوفيون A ٢٥٢ ٢٤٩ ٢٤٨
 ٢٧٩ ٢٦٧ ٢٥٨
 الصوفية أو التصوف A ٢٤٩ ٢٤٦
 ٢٧٩ ٢٦٧ ٢٦٤ ٢٦١ ٢٥٨ ٢٥٢
 الصومال B ٢٣٥
 الصومالي A ٢١٨ ٢٤٢ ٢٤٣
 الصوماليات (النساء) A ٢٥٦
 سيدا B ٢١٨ ٢١٧
 الصين B ٩١
 صيني - صينيون A ١١٧ B ٢٤٧
 صيئون (مدينة) A ٢٢١ ٢٨٢

الصبيحة A ٢٤٩ ٢٦٢ ٢٦٥ ٢٦٧
 ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٢
 الصبيجة B ١٦٤
 الصصاعة B ١٠٢
 الصخير (قرية) B ٢٥
 الصدر (السيد حسن) B ٢٧٢ ٢٦٥
 الصريف B ١٥٧
 صغده A ١٢٩ ١٢١ ٢٧٢
 الصفرا (قفر) B ١١٢
 صفقان (جبل) A ٢١٦
 الصفوي (الشاه عباس الأول) B ٢١٧
 الصليف (مدينة) A ١٥٢ ١٨٢ ٢٧٥
 ٢٢٠
 الصمان (قفر) B ١٠٨
 صنماء A ٧٢ — ٢٤٠ ٢٦٩ — ٢٧١

— حرف الضاد —

الضالغ (ناحية) A ١٨٠ ١٨٢ ٢٦٢
 ٢٨٦ - ٢٨٧
 ضرمه B ١٢ ١٤ ١٦

— حرفي الطاء والظاء —

طاروق (جبل) A ٢٤٢
 الطائف A ٢٢ ٢٢ ٥٩ ٥٧ ٦٢ ٦٢
 ٢٦٦ ٢٢٨
 طرابلس الشام A ١١٩ ١٢٠
 طرابلس الغرب A ١٠٢ ٢٤٨
 طبرستان B ٢٠٠
 طريف (عيسى بن) B ٢٣٠ ٢٣٥
 الطفيل B ٢٩١
 الطليان A ١٠٢
 الطم A ٢٢١
 طهران B ٢٣٥ ٢٦٦
 طواله (ضاري بن) B ١٥٩
 الطور (محجر) A ٢٥ — ٢٧ ٢٨٢

طوروس B ٢٠٢
 طويق (جبل) B ١٠١ ١٠٢ ١٠٦
 ١٠٨
 الطويل (الشيخ محمد) A ٤٤
 الطويل الشيخ (هرون) A ٢٧٢ ٢٧٥
 الطويلة (جبل) A ٢١٤
 طي (بلاد) B ١١٤

— حرف الظاء —

ظفار (جبل) A ٩٩
 ظهر القضيبي (جبل) A ٩٩

- حرف العين -

- عائشة A ٣٧٩
العارض A ٩ B ٦٣ ٧٤ ٨١ ٨٨
١٠١ ١١٠ ١١٩ ١٢٠ ١٢٧ ١٣١
عاليه B ٣٧٧
عامل (جيل) B ٣١٥ ٣١٧ ٣١٨
عبدان B ٣٣ ٦٦ ١٦٧ ٣٣٥
العبادة (قبيلة) A ٣٥٤ ٣٥٧ ٣٧٨
٢٨٨ ٢٨٦ ٢٨٣
العباس B ٢١١
عباس حلبي (خديوي مصر) A ٤٢
العباسيون B ١٦ ١٧٠ ٢١٠ ٢١٢
٤٠٦ ٢٤٤ ٢٦٦ ٢٦٠
عبال A ١٧٧ ٢١٨ ٢٢٧ ٢٧٥
عبدالله (آل) B ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣٤
٢٣٨
عبدالله بن حسين بن علي (امير شرق الاردن)
A ١٨ ٤٨ ٥٩ ٦٢ ٣٥٩ B ٥٦ ١٢٠
٢٨٦ ٢٨٤ ٢٧٧
عبدالله بن متعب (امير حائل) B ٤٥
عبدالله بن الوزير A ١٠٠ ١٠٩
عبدالله (الشريف) A ٥٥
عبدالبهاء B ٣٥٣
عبد الحميد (سلطان تركيا) A ٤٢ B ٥٨
٣٦٣ ٢٤٤ B
عبد العزيز آل فيصل آل سعود (سلطان نجد)
A ١٣ ١٥ ٢٥ ٥١ ٦٧ ١٠٠ ١٧٥
١٧٦ ٢٤٠ ٢١٧ ٣٠٨ ٢١٢ ٢٣٢ ٢٣٩
B ١٢ ١٤٤ ١٥٤ ١٥٧ ١٦٨ ١٧٥
١٨٤ ٢٠٢ ٢٤٢ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٧٧ ٢٥٢
٣٥٠
عبد القادر العبدلي (السلطان) A ٣٨٤
عبد القادر بن محسن الفضلي (سلطان شقرة)
A ٢٨٣ ٢٩٠
- عبد قيس (علي بن محمد بن) B ٢١٠
٢١١ ٢١٢
عبد قيس (قبيلة) B ٢٠٢ ٢٠٨ ٢١٤
عبد الكريم فضل (سلطان الحج) A ٧٢
٧٦ - ٨٠ ٨٢ ٨٧ ٢٢٩ ٢٣٠
عبد المجيد (سلطان تركيا) A ٣٥٣
عبد الملك بن مروان B ٢٠٦ ٢١٠
عبد النور (ثابت) B ٤٠٥ - ٤٠٧
العبيدي (مسعود بن ابو زينة) B ٢١٠
عبيد خانم A ٥٥
العقاره (حصن) A ٢١٥ ٢١٦
عقابه B ١١٦
عثمان بن ابي العاص B ٢١٠
العثمانية (الدولة) A ٢٤١ ٣٥٩ ٣٦٥
B ٥٥ ١٥٤ - ١٥٨ ٢٢٩ ٢٣٢ ٢٨٨
٢٩٢ ٣٥١ ٣٦٤ ٣٧٢
العثمانيون (راجم الاتراك)
A ٧٤ ١٧٢ B ١٧٢ ٢٠٢
٢١٢ ٢١٤ ٢٤٠ - ٢٤٢ ٢٧٧ ٢٣١
٢٣٢ ٢٥٨ ٢٥٥ ٢٣٢
العجمان (قبيلة) B ٧١ ٧٧ ١٠٥ ١٦٨
A ١٤ ١٧ ٥٦ ٧٢ ٧٢ - ٢٠٧
٢١٥ ٢٢٤ ٢٢٦ ٢٤٤ ٢٤٩ ٢٦٢ ٢٦٩
٢٧٣ ٢٧٧ ٢٨١ ٢٨٤ ٢٨٩ ٢٩٥ ٢٢٤
٢٣٥ ٢٣٧ ٢٤٤ ٢٢٩ - ٢٧٢ ٢٨٠
٢٨٢ - ٢٨٦ ٢٨٩ ٢٩٠
١٢٦ ١٢٧ ١٢٩ ١٣٠ ١٤٨ ١٥٩ ٢١٥
٢١٧ ٢٣٤ ٢٥٨
عدنان B ١٠٧ ١٢٥ ١٥٢ ٢٣٥
٤١٢
العراق او الحكومة العراقية A ٥٩ ١٠٠
١٢٩ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٩٥ ٢٥٢

٢٥٠ ٢٢٥ ٢٤٦ ١٧٩ ١٦٢
 ٢٨٨ — ٢٨٦ B ٤٧ A الملا
 ٧٧ ٤٥ ٢٦ B الملا
 العلوي (الشيخ عبد النبي) A ٢٩٠
 العلوي (عشائر) A ٢٨٨ ٢٨٧
 علي (الشيخ ابو بكر) A ٢٩٠
 علي باشا (السيد) B ٢٨٩
 علي بن ابي طالب A ٢٦٤ ٢٥٢ ١٣٠
 ٢٨٤ B
 علي بن الحسين بن علي (امير مكة) A ٦٢
 ٢٨٩ ٢٨٧ B
 علي بن ماتم (سلطان الحواشب) A ٨٤
 ٢٨٧ ٢٦٧ ٨٩ -
 علي بن محسن (دامى الكاومة) A ٢١٥
 علي بن محسن (سلطان الواحدى) A ٢٨٥
 علي بن محمد بن عبد المعين بن عون (الشريف)
 ٥٥ A
 علي بن الوزير (امير جيش الامام) A ٩١
 ١٢٥ ١٠٤ ٩٧ - ٩٢
 علي رضا (الحاج زينل) A ٤٤ ٤٤
 علي رضا الحاج عبدالله A ٤٤
 علي (سليمان بن) B ٨٧
 علي (قرية) B ١٩١
 العربات (قبيلة) B ٤٧ — ٥٦ ٦٥
 ٢٢٧
 عمان A ١٨٧ ١٢٠ ١٢١ ١٨ ١٥
 ١٢٤ ١٩٠ ١٨٢ ١٥٨) ٢ ٢٧ ٢٥ B
 ٤١٦ ٢٩٤ ٢٩٠ ٢١٢ ٢٠٨ ٢٠٢
 عمر بن عبد العزيز الاموي B ٢٠٤
 عمر (الخليفة) A ١٣٠ B ٢٠٩
 عمر (السلطان صالح بن) A ٢٩٠
 العمري (القاضي عبد الله) A ٢١٠
 ٢٠١ ١٦٢ - ١٦٠
 السوداني (مسعان) B ١٤٠
 عمون (داود) B ٢٠٥
 عنزي (قبيلة) B ٤٨ ٥٦ ٥٥ ٨٧

B ١٢ - ٢٩ ٢١ ٢٠ ٢٧ - ٥٦ ٦٤
 ١٢٩ ١١٥ ١٠٢ ٩٨ ٨٧ ٨٢ ٧٨ ٦٧
 ٢١١ ١٨٧ ١٨٠ ١٦٨ ١٦١ - ١٥٦ ١٥٢
 ٤١٣ - ٢٥٢ ٢٤٦ ٢٤٥ ٢٢٧ ٢١٣
 العرائش (بلدة) A ٢٥٢
 العرب A — B تحملت هذه الكلمة اكثر
 صفحات الجزيين الاول والثاني
 عربستان B ١٧٠ ١٧٢ ١٧٦
 العربية (الامراء) A ٢٢٩ ٢٢٩
 العرشي (القاضي عبدالله) A ٧٧ - ٨٤
 ١٨٩ ١٨٠ ١٥٢ ١١٠ ٩٦ ٩١
 العيرة (بلد) A ٢٨٤
 العريف (قرية) A ٢١٦
 عزت باشا A ١٢١ ١٧٥ ٢٥٩
 العزيمي (عشيرة) A ٢٨٧ ٢٨٠ ٢٧٧
 العسكري (جعفر باشا) B ٢٨٨ ٢٧٩
 ٢٢٨ ٢٤١ ٢٦٢ ٢٦٧ - ٢٧٠
 صير A ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٠٥
 ١٩٠ ١٨٧ ١٧٤ ١٧٢ ١٥٢ ١٢٦ ١٢٠
 ١٩٩ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٤٨ ٢٥٢ ٢٥٦
 ٢٦١ ٢٦٧ - ٢٧٦ ٢٨٢ ٢٠٨ ٢١٥
 ٢١٨ ٢٢٠ ٢٢٤ ٢٢٢ - ٢٢٦ ٢٤١
 ٢٥٦ ٢٥٢
 B ١١ ١٦ ١٠١ ١٨٠ ٢٨٤ ٤١١ - ٤١٥
 عشار (جبل) A ١٠٨
 عصار (جبل) A ١٠٨ ٢٠٢ ٢٠٤
 العمايني (عشيرة) A ٢٨٢
 العظمة (يوسف) B ٢٢٥ - ٢٢٨
 حنصان (ابراهيم بن) B ٢٢٠ - ٢٢٤
 العقارب (عشيرة) A ٢٨٨
 العقبة A ١٨ B ٢٨٩ ٢٩١ ٢٩٦
 ٢٦٧
 العقبة (في اليمن) A ٢١٥
 العقير B ٢١ ٢٤ ٢٨ ٢١ - ٢٤
 ٤٧ - ٥٦ ٦١ - ٦٧ ٧٠ - ٧٢ ١٠٠

عيسى (الشيخ يوسف آل) B ١٥٢
 الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (امير البحرين)
 B ١٧٩ - ٢٥٠
 عين الى B ٣١٧
 عين القمر B ١٥٢
 العينه B ١٠٢ ١٠٣
 العيونى (ابن مغرب) B ٢١٣ ٢١٤
 العيونى (الأمير عبداللّه بن علي) B ٣١٤
 العياش (ذكرى بن) B ٣١٤
 العياش (يعقوب بن) B ٢١٤

عينز (جيل) B ٥٦
 عينزه (بلد) A ٩٨ B ٩٨ ١٠٠
 ١٠٧ ١١١ - ١١٦ ١٥٣ ١٨٠ ٢١٨ ٢٢٠
 ٢٢٥ ٢٢٧
 العوازل (عشيرة) A ٣٨٥
 العوالق A ١٨٣ ٣٦٢ ٣٨٢ - ٣٨٦
 العونزية (قرية) B ١١٠ ١١١
 العولقي (الشيخ محسن بن فريد) A ٣٩٠
 عون (الشريف) A ٥٦
 عون (الشريف محمد بن) A ٢٦٩
 عيروس (الولي) B ٣٥٨

— حرف الغين —

غروان (عنه بن) B ٢١٠
 غليلقه (مينا) A ٢٢٨
 غليوم (امبراطور الالمان) A ١٤٠ ١٤٦
 غماص (ال) B ١١٢
 غمدان (فصر) A ١٠٧ ١٣٧ ١٦١
 غنطو ميرون (الكونت دي) B ٢٨٦
 ٢٨٧ ٢٩٠ ٢٩٢ ٢٩٦
 غوا A ٢٨٠ ٢٨١
 غورو (الجنرال) B ٣١٠ ٣١٧ ٣٢٠
 ٣٢٢ - ٣٢٤ ٣٢٦

القال (بلاد) B ١٩٠
 قابيسيا B ٣٧٠
 قاوي (جاد) B ٣٢٤
 قاما (فسكو دي) B ٢١٥ ٢١٦
 قين B ٢١٣
 القدير A ٢٤٩
 قراي (السر ادوارد) A ٦٠
 النزالي A ١١٧ ٢٤٨ B ٩٩
 غريغوريوس (القديس) B ١٧٢
 خزة B ٢٨٨ - ٢٩٠

— حرف الفاء —

فان بورسم B ١٨٢
 فصي يك A ١١٥
 الفخري (القاضي عبد الله) A ٢٩٩
 الفرات (نهر) A ٦٠ B ١٨٩
 فرانس (اناطول) B ٢٦٥
 فرسان (جزيرة) A ٢٧٣
 فرساي A ٥١ ٥٢
 فرساي (مؤتمر) B ٢٦٦ ٣٠٠ ٣٠٦
 ٣٠٧ ٣١٩
 فرنسه او الحكومة الامرنسية A ٦ ٧ ٢٠

فارس (بلاد) B ١٧٢ ١٨٨ ٢٠٣
 ٢٠٩ ٢١٧ ٢٢١ ٢٢٩ ٢٥٢
 الفارسي - الفرس A ٢٤٢ - ٢٤٦
 ٢٤١ ٢٤٠ ٢١٩ ٢٤ B ٢٤٣ ٢٨١
 ٢٥٢ ٢٦٨
 الفارض A ١١٧
 فاس امدينة) A ٢٥٢ - ٢٥٤
 فاطمة ازهراء B ٣٥٣
 الفاطمي (المنز) A ٢١٥
 الفاوور (الامير محمد) B ٣١٦

٢٢٥ ٢٢٢ ٢٢١ B
 فضل (السلطان علي بن محسن بن) A ٢٦٠
 ٢٦٨ ٢٦٧
 فضل (السلطان محسن) A ٢٦١
 فضل (السلطان محسن بن) A ٢٥٧ -
 ٢٥٩
 فلبني (سان جان) B ٧٥ ٨٦ ١٢٦
 فلسطين A ١٨ ٦٥ ٢٣٤ ٢٤٥
 ٢٤٠ ٢٤٢ - ٢١١ ٢٠٢ ٢١٩ - ٢٨٨ B
 ٤١١
 الفلسطينيون B ٢٩٤
 فن سندرسي (ليجان) B ٢٨٦ ٢٨٨ ٢٩٤
 فورد (الستر) B ١٨٢
 الفياض (عسكرمة) A ٢٦٦
 فيصل بن حسين بن علي (ملك العراق)
 A ١٤ ٥١ - ٥٢ ٦٢ ١٠٠ ٢٥٩
 B ١٦ ١٩ ٥٤ ٥٦ ٥٨ ١٦٦ ٢٥٢ -
 ٤١١
 فيضي (وحد باشا) A ١٢١
 الفيليين A ٢٤٤
 فينا B ٢٧٢
 الفينيقيون B ١٨٩ ١٩٠ ١٩٢ ١٩٣

٢٢٤ ٢٢٣ ٢٤٢ ٢٢٢ ٦٥ - ٦٣٤٠
 ٢٨٨ ٢٦٨ ٢٥٢
 B ٢٤٨ ٢٢٧ - ٢١٢ ٢٨٦ ٠٦
 الفرنسيين او الافرنسيون A ٥٢ ١١٩
 ٢٢٤ ١٨٧ - ١٨٥ ١٦٧ ١٢٠ ١٢١
 ٢٤٧ ٢٤٢
 - ٢٩٢ ٢٨٧ ٢٨٦ ٢٧٧ ٢١٦ ٥٧ B
 ٢٩٤ ٢٧٠ ٢٢٩
 الافرنسيات (النساء) A ٢٧٩
 فروق A ٥٨ ٥٥
 الفرقة A ١٠ - ١٢ ٢٩
 B ١٠١ ٢٧٧ ٢٧٦ ٢٤٢
 فضل (عشيرة آل) A ٢٨٦ ٢٨٤ ٢٨٢
 B ٢١٦ ٢٨٩
 فضل بن محمد (سلطان اليواقم) A ٢٨٦
 فضل (السلطان احمد بن) A ٢٥٨ -
 ٢٧١ ٢٦٢ ٢٧١ -
 فضل (الامير) A ٢٧٦
 فضل الدين (الدكتور محمد) A ٢٠٠
 ٢٠٢ ٢٢٢ ٢٤١ - ٢٤٩ ٢٧٩ - ٢٨٦
 ٢٢٨ ٢٢١ - ٢٠٤ ٢١٧ ٢٩٠
 فضل (الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل)

— حرف القاف —

القдах (عبدالله) B ٢١٢
 القدس A ٦٠ B ٢٩٣ ٢٩٠
 القرامطة A ٣٠ B ٢١٢ - ٢١٤
 القرنة (بلدة) B ١٨٩
 قريش B ٤١٤
 القزويني B ١٩٥ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٨٨
 قس بن ساعد B ٤٠٦
 القصبى (عبدالله) B ١٤ ٢٤
 القصبى (عبدالعزیز) B ١٢ ٢٨ ٢١
 القصبى (لاحية) A ٩ B ٥٥ ٧١
 ١٠٨ ١٠١ ١٠٠ ٨٨ ٨١ ٧١ ٧٨ ٧٤

قابل (الشيخ سليمان) A ٤٤
 قابل (عبد القادر) A ٤٤
 قادش B ١٩٠
 قاضي (آل) B ١١٢
 القاهرة A ٢٧٦ ٢٧٣ B ١٨٠
 ٢٦٧ ٢٤٥ ٢٤١ ٢٤٠ ٢٦٥
 قبرص B ٢٩٣
 قبة B ١٢٠
 القهراء (قبيلة) A ١٧٧ - ١٨٠ ٢٣٠
 ٢٢٨ ٢٢٧
 قحطان B ١٠٧ ١٠٨ ١٠٢ ٤١٢

القبطي (حزب) ٢٨٤ A
 القناني ٢٦٥ ٢٦٢ ٢٥٢ A
 القلزم (بحر) ٦٠ A
 القلوح (وادي) ٢٢٦ B
 القليعة B ٢٤٧
 قرآن (جزيرة) ٢٨٢ ٢٧ — ٢٥ A
 ٢١٥ B ٢٢٧
 القنفلة (ميناء) ٢٧٢ ٢٦٧ ٥٢ A
 ٢٨٤ B
 القنيني (عبدالله) ١١٥ B
 القهوجي A ٢٤٤ ٢٨١ — ٢٨٩
 القوقاس A ٢٥٦
 القيروان A ٢٧١
 قيس (جزيرة) B ١٩٤ ٢١٤ ٢٢٨
 القاسم بن محمد A ١٢٩

- ١٢٠ ١٢٦ ١٤١ ١٦٤ ١٦٨ ٢٨٧
 قطر (ناعية) A ١٨ B ٧١ ١٥٨
 ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢٠٩ - ٢١٩ - ٢٢٣ - ٢٢٨
 ٢٢٠ - ٢٢٨ ٢٤٤ ٤١٦
 القطراف B ٢٩٤
 القطيب A ٢٦٢ ٢٨٩
 القطني A ١٨٠ ١٨٢ ٢٨٧
 القطين (اسكلة) B ٢٤ ٢٧ ٢٣ ٣٥
 ٧١ ٧٢ ١٥٤ ١٦١ - ١٦٣ ١٩٤
 ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٩ ٢١٢ ٢١٤ ٢١٦
 ٢٢٧ ٢٢٢ ٢٣٠ ٢٣٢ ٢٤٤
 قبطي (ال) A ٢٩٠
 القبطي (السلطان عوض بن عمر) A
 ٢٩٠ ٢٨٤

— حرف الكاف —

كرمويل B ٧٨
 كرميتة B ٢١١
 كروس (قنصل اميرك) ٢٧٢ ٢٧٢ A
 الكسائي A ٢٥٧ B
 الكسائي (امين) B ٢٥٧ ٢٢٢ —
 ٢٦٢ ٢٥٩ ٢٥٢ ٢٨٢ ٢٦٧ ٢٦٤
 كسرى B ٢٠٩
 الكعبة A ١٣ ١٤ ٢٩ ٣١ ٤٠ ٥٥
 ١٠٠ ١١٧ ٢٢٩ B ٢٢٢ ٢٨٦ ٢٢٢
 كفره (بلد) A ٢٧١
 الكلدان او الكلدانيون B ١٧١ ١٩٠
 ٢٥٨
 كليمنسو (جورج) B ٣٠٦ ٣٠٧
 ٢١٠ ٢١٤ ٢٢٠ ٢٢٢
 كمال (مصطفى) A ١١٥ ١٢١
 ٢٨٠ B ٢٢٥ ٤١٤
 كمبون A ٦٥
 الكنج (نهر) B ٣٥٨
 كندرزي B ١٤

ككادي (الضابط) B ٢٩٢
 كارتشي B ٢٥٧
 الكاظم (الامام موسى) B ٢٨٨
 الكاظمية B ٢٧٢ ٢٦٥ ٢٨٨
 الكاظمين (جامع) B ٢٧٢
 كاهل (قرية) A ٢١٤
 الكبسي (احمد بن يحيى) A ١٥٥ ١٥٧
 ١٦١ ١٧٢ ١٨١ ١٩٢ ٢٠٢
 ككشتر (اللورد) A ٥٩
 الكنجيري (حزب) A ٢٨٤
 كريل B ٢٢٧ ٢٤٢ ٢٦٠ ٢٨٧
 ٢٩٢
 الكرخ B ٢٨٨ ٤٠٨
 الكرد او الأكراد B ٢٦٨ ٢٧٧ ٢٦٢
 كرد هلي (محمد) A ١٠ ١١
 كرز (لورد) A ١٢١
 الكرك B ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٣ ٣٠٥
 كركوك B ٤٠١
 كريل (طامس) A ٧
 كرملي B ٢٨٨

٢٥٠ ٢٤٢ ٢٤١ ٢٢٦-٢٢٥ ٢٢٨ ٢٢٢
 الكويت A ٢٢٩ ٢٤١ B ٢٤ ٢٣
 ٢٦٢٢ ٢٢٥٥ - ٢٦ - ٢٦ ٢٦ ٢٦ ٢٦
 - ٢- ١١٦ ١١٩ ١٢٤ ١٢٦ ١٢٩
 ١٤٠ ١٤٢ ١٤٧ - ١٥٠ - ١٨٠ - ١٨٢
 ١٩٢ ١٩٤ ٢١٨ ٢٢٩ ٢٢٢ ٢٢٥ ٢٢٨
 ٤١٦ ٤١٣ ٤٠٢
 الكويتيون B ١٦٢

كتمان (سليمان) B ٢٢٢
 كورسك (جزيرة) B ٢٢٢
 كورنواليس B ٢٨٠
 كوس الكومندان B ٢٩٢ ٢٠٤
 الكوفة A A B ٢١١ ٢٢٧
 كوكيان (جبل) A ٢٠٨
 كوكس (اللادي) B ٢٧٨ ٢٤٢
 كوكس (برسي) B ١٨ - ٢٢ ٢٤
 ٤٧٢٥ - ٥٠ - ٦٥ ٦٨ ٦٢٩ ٦٧١ -

— حرف اللام —

لقيم (جبل) A ١٠٧ ١٠٨ ٢٠٣ ٢٠٤
 لكسمبور A ٢٨٨
 اللاكمة (قرية) A ٢١٦
 لنبه (جزيرة) B ١٩٤ ٢٢٩
 لندن A ٤٧ ٥٢ ٦٥ ٧٦ ٧٩ ١٧٩ ١٨٠
 ١٨٨ ١٨٩ ٢١٧ ٢٦٨ ٢٦٤
 B ٢٧ ٢٦ ٢٦ ٢٦ ٢٦ ٢٦ ٢٢٧ ٢٢٥
 ٢٥٥ ٢٦٦ ٢٧٥ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨٢ ٢٨٤
 ٢٤١ ٢٤٦ - ٢٤٨ ٢٦٧ ٢٧٢
 لوتبروس B ٢٨٢
 لورنس (الكرنل) A ٣٦ ٦٠
 B ٢٨٧ ٣٠٠ ٣٠٦
 لوزان B ٣٦٧
 لويس الرابع عشر (ملك فرنسا) B ٢١٩
 الليبي (المتوكل) B ٩١
 ليلي الاخيلية B ٢٨٢ ٢٨٣
 ليتيل B ٢٩٣
 لك (وادي) A ٤٢

لاروك A ٢٤٢ ٢٤٢
 لاهور (مدينة) A ٢٤٢
 لايف B ٢١٥
 ليد B ١٠٢
 لبنان A ٩٣ ٩٩ - ١٠٩ ١١٧ ١٢٠
 ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٢٢ ٢٤٢
 B ١٠١ ١١٢ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٧ ٢٩٧ ٢٩٨
 ٣٠٢ - ٣١٠ ٣١٤ ٣٢٠ ٣٢٣
 اللبناني - اللبنانيون A ٢٠ B ١٨٥
 ١٨٦ ٢٢٤ ٣٠٠ ٣٠٢ ٣٠٦ ٣١١
 ٣٢٠ ٣٢١
 لبح او السلطنة اللبحية A ٧٩ ٨١ ٨٤
 ٩٢ ٩٧ ١٠٦ ١٢٠ ١٢٢ ١٢٣ ١٤٨ ١٧٥
 ١٨٢ ١٨٩ ٢٢٢ ٣٥٤ - ٢٨٨
 B ١٢ ١٢٥ ٢٢٥ ٢٥٣ ٤١٢ ٤١٢
 اللبحي - اللبحيون A ٢٢٢ ٢٦٧
 ٢٦٨ ٢٧١ ٢٧٨
 اللحية (ميناء) A ١٠٣ ١٧٥ ١٨٣
 ٢١٨ ٢١٦ ٢٢٥

— حرف الميم —

مالكي - مالكيون A ٢٤٢
 المأمون B ٢٧٠ ٢٤٤ ٢٨١
 مائه (كلود) B ١٢

ماروني - موارنة A ٢٤٢ B ٢٩٧
 ٢١١
 الماسويه B ١٧١

الخا (ميناء) A ١١٥ ١٣٠ ٩٧٥
 ٤١١ B ٢٢٧ ١٨٧ ١٨٦
 مدحت باشا B ١٥٤ ٢٢٨
 مدقسكر (جزائر) B ١٦١
 المدينة المنورة A ٤٨ ٥٧ ٦٠ ٦٢
 ٢٩٠ ٢٨٨ - ٢٨٤ ١٢ ٨٧ B ٢٩٧
 ٢٦٧
 مذكور (الشيخ نصر آل) B ٧١٧ ٧١٩
 المذنب (بلد) B ١٠٩
 مرات (قرية) B ١٠٩
 المراقب B ١٩١ ٢٠٤
 مراکش A ٣١٠
 سراوقه (بلد) A ٢٦٠ ٣١٣
 مرجيون B ٣١٦ ٣١٧
 مرة (بنو) A ٧١٥ B ٧١ - ٧٤ ٩٩
 مرسيية B ٣٠٠
 مرسين A ٦١ ٦٥
 المرقفي (احمد) A ٢٤٩ - ٢٥٢
 المرقبية (طريقة) A ٢٤٩
 المرفد (وادي) A ٩٩
 مروان (وادي) A ٣٨٥
 ميسار (جبل) A ٣١٤ ٣١٥
 مسفر B ١٢٥ - ١٢٣ ١٢٧ ١٤٠
 ١٥٠ ١٤٢ ١٤٢
 مسقط A ١٥ ١٧ ١٨ B ١٠٢
 ٢٢٩ - ٢٢٠ ٢١٧ - ٢١٥ ٢٠٢ ١٥٨
 ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٤
 المسبح (السيد) A ١٢٠ - ١٢٢ ١٤٢
 ٢٠٢ ٢٢٦ B ٢٤٤ ٢٩٤
 مسيلة B ١٠٣
 المشير (قرية) A ٨١ ٨٦ ٨٩ ٢٥٩
 ٢٨٨
 المشهد B ٢٤٢
 المشقر (بلد) B ١٠٩
 مصر A ٢٠ ٢٧ ٣٦ ٤٨ ٥٩ ٦١ ٦٣
 ٢٥٥ ٢٢٦ ٢٢٥ ١٥٥ ١١٥ ٧٦ ٧٢ ٧٢

ماويه (قرية) A ٧٩ - ٨٩ ٩٧ ٩٨
 ٢١٤ ٢٠٢ ٢٠٠ ١٧١ ١٢٦ ١١٦ ١٠٠
 ٩٧ B ٢٢٧ ٢٦٦
 مبارك B ١٢٢ ١٢١ ١٣٧ ١٤٠
 المبرد B ١٧٢
 المتاوله B ٢١٦
 المتني A ٢٨ B ١٢٥
 ممتنه (قرية) A ٢٠٥ ٢٠٦
 متوح (حصن) A ٢١٦
 مجدل بنجر B ٢٢٥ ٢٢٧
 المجوس B ٢٠٨ ٢١٧
 المجبيري A ٢٥٢ - ٢٦٥
 المحرق (مدينة) B ٢٥ ١٨٢ ٢٠٥
 ٢٢٥ ٢٢٨
 محسن (الشريف) A ٦٢
 محسن بن علي (سلطان البوالم السفلى)
 ٢٩٠ ٢٨٦ A
 محسن بن علي بن مانم (سلطان الحواشب)
 ٢٩٠ ٢٨٨ A
 محسن (السلطان فضل بن علي بن)
 ٢٦٢ ٢٦١ ٢٥٩ ٢٥٨ A
 محسن (الشيخ محمد علي) A ٢٩٠
 محمد بن ابونعمي A ٥٥
 محمد بن عبد المعين بن عون (الشريف)
 ٥٥ A
 محمد بن عبد الوهاب B ١٠٢ ١٠٢
 محمد طلي باشا A ٢٥٢ ٢٥٢
 محمد (النبي) A ٩٧ ٣٢ ٤٩ ٥٤ ٥٧
 ٢٥٧ ٢٥٤ ٢٤٩ ٢٠٦ ٢٠١ ١٦٩ ١٢٩
 ٢٢١ ٢١٦ ٢١٢ ٢١٧ ٢٦٥ ٢٦٥ -
 ٢٨٥ ٢٨٤ ٢٧٩ ٢٢٠ ٢٢٩ ٢٢٥
 ٢٠٩ ٢٠٨ ١٢١ ٩٩ ٧٨ ٧٧ ٦٩ B
 ٢١٦ ٢١٥ ٢٠٢ ٢٨٤ ٢٦٦
 محمية (طريقة) A ٢٥٩
 المحرمه A ٣٧٤ B ٥٤ ٥٥ ١٥١
 ١٧٢ - ١٧١ ١٥٨

مكلاً في حضرموت A ٢٧٨ ١٧
 مكهايون (النسر آرثور) A ٥٩ — ٦٤
 ملحان (جبل) A ٢١٤
 المهايك B ٢١٧
 مناخه (مدينة) A ١٠٦ ١٧٤ ٢٠٠
 — ٢١٤ ٢١٩ — ٢٢٤
 المناصير (قبيلة) B ٧٢ ٧١
 الكنامه (مدينة) B ٧٤ ٣١ ١٧٩ ١٨٣
 ١٦٠ ٢٠٤ ٢١٦ ٢٢٨ ٢٢٤ ٢٤٠
 المنتصر بن المنوكل B ٢١٠
 المنتفق B ٣٢٩ ٣٦٢ ٣٧٠
 المنديل (عبد اللطيف باشا) B ٧٩ ٣٣٨
 ٢٥٠ ٣٦٣
 المنزل (قرية) A ٩٩
 المنصور B ٢٦٥ ٢٧٠ ٣٤٤
 المنصور (ابو جعفر الساسي) B ٢١٠
 المنصور (الامام) A ١٣٩ — ١٤٣ ٣٥٩
 المنصون A ١٧
 المنفلوطي (مصطفى) A ٢٨٤
 المنفوحة B ٦٣ ١٠١
 مهدي بن علي (السلطان) A ٣٧٦ ٣٧٩
 مواهب (قرية) A ١١٩ ١٣٠
 مؤتمر لندن A ٣٥٢
 مؤتمر لوزان A ٣٥١ ٣٥٢
 مود (الجنرال) B ٢٦١
 موزة (شقيقة السيد سعيد بن سلطان)
 B ٢٢٥
 مومته (وادي) A ٢١٤
 موسى (وادي) B ٢٩١
 الموصل A ٦٠ ٦٥ B ٢٦٢ ٢٧٢
 ٢٧٦ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩
 ٤١٠ ٤٠١
 المولود A ٣٩٨
 ميدي (ميناء) A ٦٥٣ ٧٧٥ ٢٨٤
 ٢٨٩ ٣١٣ ٣١٨ ٣٢٥ ٣٢٨ B ١٦١
 ميسلون B ٣٢٥ — ٣٢٨ ٣٦٧

٢٧٧-٢٧٠ ٢٨٤ ٢٨٩ ٢٥٢ ٢٦٠ ٢٧٧
 B ١٢ ٢٦ ٢٩ ١٢ ١١٥ ١١٧ ١٦٩
 ١٨١ ١٨٧ ١٩٠ ٢١٦ ٢٢٨ ٢٣٧ ٢٤٠
 ٤٠٤
 المصري - المصريون A ١٤٩ ٢٣٦
 ٢٢٧ ٢٤٢ ٢٦٩ ٢٥٢
 B ١٨١ ١٨٩ ٢٩٦ ٤٠٢٤
 مصوع (مدينة) A ٣٤٧ ٣٤٨
 مضاية (قرية) A ٣١٤
 مضر (قبيلة) B ١٣٥ ١٥٢ ٤١٢
 المطحلة (قرية) A ٢٧٧
 المظلة (قرية) B ٢١٦
 مطير (قبيلة) B ١٠٦ ١١٦ ١١٨ ١٣٦
 ممان B ٢٨٩ — ٢٩٥
 معاوية B ١٧٠
 المغرب (بلاد) A ٢٥٢ ٢٥٧ ٢٧٠
 ٢٧٢ ٢٧٤
 المغربي (الحاج محمد) A ٣١٠ — ٣١٦
 المنقول B ٢١٥
 مفتح (وادي) A ٢٠٧ — ٢١٠ ٢١٤
 المنفحي (الشيخ عبد الرحمن) A ٣٩٠
 مقدوني - مقدونيون B ١٩٢
 مقرن (سعود بن) B ١٠٣
 مقبل (لقب حسن بن) A ٢٩٩
 المكارمة (فرقة من الاسماعيليين) A ٢١٥
 مكة A ٩ ١٣ ٢٣ ٢٨ — ٦٤ ١٠٠
 ١٤١ ١٩٤ ٢٥٢ ٢٥٥ ٢٥٩ ٢٦٦ ٢٧١
 ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٢٥ ٢٥٦ ٢٦٢
 B ٢٦ ٥٧ ١٣٠ ١٥٢ ١٨٤ ٢٠٩ ٢١٢
 ٢١٩ ٢٢٤ ٢٢٤ ٢٢٨ ٢٤٢ ٢٦٧ ٤١٤
 ٤١٦
 المكتفي بن المعتضد B ٢١٢
 مكحولتالد B ٢٥١
 المكسيك A ٢٢٢ ٢٢٩ ٢٩٥
 الكبير B ٢٠٩

— حرف النون —

نصرة الملك B ١٧١	نايلس B ٣١٥
النصور (قبيلة) B ٢٢١	ناصر (الشريف) A ١٥٥
نصيف (الشيخ محمد) A ٤٤	ناصر (ابوبكر بن) (سلطان الموالق السفلى)
النصماني (عارف) A ٤٧ B ٣٢١	٣٦٠ ٣٨٥ A
النميم (قبيلة) B ٢٣٥ ٢٣١	ناصر (بنو) A ٢٥٨ ٢٥٧
النفود B ٣٥ — ٧٧ ٦١ ٥٤	الناصرية B ٢٩٥ ٢٩٤
١٥٦ ١٥٤ — ١١٦ ١١٣ ١١٠ ١٠٦	الناصرية (حلبية) A ٢٥٧ B ٣٦٣
٢٠١ ١٦٩ ١٥٧	نايف (ابن) B ٨٧
النقيب (السيد طالب) B ٢٢٨ ٢٧٦	النهبان (الشيخ خليفه بن محمد) B ١٩٦
٢٤٢ —	٢١٦ ٢٠٨ ١٩٩
النقيب (السيد عبد الرحمن) B ١٥٢	نبوكد نصر B ١٣٣
النقيب (السيد عبد الرحمن الجيلاني)	النهي شعيب (جبل) A ٢٠٥ ٢١١ ٢١٤
B ٢٦٠ ٢٤٣ ٢٤١ ٢٣٧ ٢٢٦ ٢٢٩	نجد أو البلاد النجدية A ١٠ ١٤ ١٦
٢١٥ ٢٦٧ ٢٦٥ ٢٦٣	٢١٢ ٢٧٨ ١٢٨ ٧٥ ٦٧ ٦٦ ٥١ ١٨
النقيب (السيد محمود بن عبد الرحمن الجيلاني)	٢١٢
B ٢٩٦ ٢٩٥ ٢٨٠ ٢٧٤	B وردت هذه الكلمة في أكثر صفحات
٢٧٢ B	الجزء الثاني
نوبة الهراشي (قرية) B ٢٧٠	نجد الاحمر (بئعة ارض) A ٩٦
نوري باشا السيد B ٢٥٧	نجران A ٢١٥ B ١٨٠ ٤١١
نويان B ١٧٠	النجد A ٥٦ B ٢٦٨ ٢٧١ ٢٢٩
نياجر (الكولونل) B ٢١٧ ٢١٨	٢٨٧ ٢٦٠ ٢٤٣ ٢٣٧ —
نيلشي (فردهريك) B ٢٩٠	نحلان (وادي) A ٩٦ ١٠٧
نيرين (راجم دارين)	النخل B ٧٢
النيل B ٣٥٨	نديم (محمود بك) A ١١٥ ١٢٠ ١٧٥
نيويورك A ٦ — ٧٢ ٧٧ ٧٣ ١١	١٧٨
٢١٢ ٢١١ ٢١٧ ٢١٥ A	النزارية (فرقة من الاسماعيليه) A ٢١٥
٢٦٦ ٨٢ B	نشأت (صبيح بك) B ٢٦٢ ٢٦٢

— حرف الهاء —

هالداين (السر آلمير) B ٢٣١	هاجر (بنو) B ٧١ ٧٢ ٢٣٣ ٢٣٤
هانلي (ارنست) B ٢٨٩ ٢٩٠	٢٢٨
هاي (الريان) A ٢٨١ — ٢٨٩	الهاشمي (ياسين باشا) B ٣٦٢ ٣٧٠
هجر B ٢٠٢ ٢١١	٢٧٢

٢٤٥ ٢٤٤ ٢٢٢ ٢٢٥ ٢١٥ ٢٠٠ ١ ٢
 ٢٦٠ ٢٥٢ - ٢٤١ ٢٠٥ ٢٨٢ - ٢٨٠
 ٢٩٠ ٢٨٦ ٢٧٧ - ٢٧٠ ٢٦٥
 ١٦٠ ١١٥ ١١٢ ٩١ ٧٠ ٢٧ - ١٤ B
 ٢١٩ - ٢١٥ ٢٠٢ ١٩٢ ١٩٠ ١٨٠
 ٢٧٢ ٢٦٠ - ٢٤٥ ٢٢٩ ٢٢١ ٢٢٥
 ٤١٦ ٢٥٨ ٢٢٥ ٢٢١
 ٧٠٤ B ٢٩٦ ٢٤٦ - ٢٤٣ A الهندوس
 ٢٩١ ٧١ B (المرأة) الهندية
 ٢٠١ B ٦٠ A هوقارت (الكرنل)
 هونغو (مكتور) ١٢٧ B
 هولس (البيجر فريك) ٦٧ ٦٦ B
 الهويدير ٢٨٠ B
 هيس (القائد) ٢٥٢ ٢٤١ A
 هيودوط ١٩٠ ١٨٩ B

٧١٥ ٢١٤ A (قرية) الحجرة
 ٢١٨ B القدار
 ٢٢٧ ٥٥ B (بنو) القفال
 ٤٧ B (فهد شيخ العمارات) القفال
 ٢٢٧ ٦٧ ٦٥ ٦٤ ٥٦ ٥٠ ٤٨
 ٢٢٧ B (مزيد بن) القفال
 ١٢٧ ١٢٢ - ١٢٨ ١٢٢ B هذلول
 ١٤٧ ١٤٢ ١٤١ ١٢١
 ٢٧ A (أبو جندب) الهذلي
 ٢١٥ A (جبل) همدان
 ٢٤٤ A (حسن بن أحمد) الهداني
 ٢٠٠ B (جبل) هرمز
 ٢١٦ ٢١٥ B (مضيق) هرمز
 ٧٤ ٧٢ ٧١ B الهفوف
 ١٢٤ B (نو) هلال
 ٢٧٢ B (جزيرة) هنجام
 ٧٤ ٢٤ ١٩ A الهند أو الحكومة الهندية

— حرف الواو —

٢٥٩ A (بلد) وصاب
 ١٠٧ ١٠٦ A (قرية) وعلان
 ٢٩٤ A (الولايات المتحدة) الولايات
 ٢٦٠ B ولس
 ٢٧٢ ٢٤٥ ٦٦ B (آرلند) ولسون
 ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٢ - ٢٢٠
 ٢٥٩ ٤٥ ٤٤ B (وودرو) ولسون
 ٢٠٧ ٢٠٦ ٢٢٦
 ٢٠٩ B (خالد بن) الوليد
 ٦٢ A (ردجيتلد) وبحث
 ٢٥٦ ٥٥ ٥١ A (هاميون) وهامي
 ٢١٢ ٢٧٨ ٢٦٧ -
 ١٥٩ ١١٥ ٧٧ ٤٧ ٢٦ B
 ٢٢٩ ٢٦٩ A (الوهابية) الوهابية
 ٢٢١ ٢٢٠ ١٠٢ ٩٢ ٧٨ - ٧٦ ٦٩ B
 ٤١٢ ٤١١
 ٢٦٦ A (قرية) الوهط

٢٢٧ B (الحرير) وادي
 ٢٧٥ A (العين) وادي
 ٢٨٥ A (عشيرة) الواحدي
 ٢٩٢ ١٢١ A (جورج) واشنتون
 ٧٦ ٧٢ A (العاصمة) واشنتون
 ٢٥٦ ٢٤٨ ٢١٥ B
 ٦٧ B (جزر) الواق
 ٤١٦ ٢٠٢ ١٥٢ B (بكر بن) وائل
 ١٠٨ ٥٦ B (قبيلة) وائل
 ٢٠٨ ٢٠٢
 ٢٠٢ B (تغلب بن) وائل
 ٢١٧ B ٢٤٢ A (وثنيون) وثني
 ٢١٨ A (وادي) وجام
 ١٧ A (ميناء) الوجيه
 ٢٥ A (جبل) وروه
 ٢١٨ ٢١٦ - ٢١٤ A (جبل) وصل
 ٢٧٤
 ١٠٨ - ١٠٦ ٩٨ ٢١ B (سهل) الوشم

— حرف الياء —

اليان	٢٩٣	٩١	١١٢	٧٠٧	٩١	١١٢	٧٠٧
اليامم - اليواقم	١٨٣	٣٤٩	٤٦٢	٣٤٩	٤٦٢	٣٤٩	٤٦٢
ياقوت	٢٠٢						
يام (قبيلة)	٧١٥						
يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله (امام النين)	١٤٨	١٥	٧١	٤-٣١٠	٣١٠	٣١٠	٣١٠
يريم (مدينة)	١٠٦	١	١	٩٩	٩٨	٩٨	٩٨
يشبوم (بلد)	٣٨٥	٣٨٤					
اليامة	٢٠٩	٢٠١	١٥٢	١	٢	١	٢
النين	٨						
غصصاً في قسم الامام يحيى (امام النين)							
بسم (مياه)	٤٧	٥٠					
اليني (قسطنطين)	١٢	١٤					
يوسميين يعقوب	٨٩						

— تم الفهرس والجزء الثاني من الكتاب —

الريحانيات

الجزء الاول	يحتوي على مقالات اجتماعية ادبية انتقادية وبذور للزارعين
الجزء الثاني	يحتوي على خطب ومقالات انتقادية وشعر منشور
الجزء الثالث	يحتوي على مقالات اجتماعية ادبية انتقادية وخطب
الجزء الرابع	يحتوي على شعر منشور ومقالات اجتماعية وسياسية

✽ ثمن كل جزء ١٢٠ غرشاً مصرياً ✽

« تطلب هذه الاجزاء من يوسف صادر صاحب المطبعة العلمية »
« والجهة القضائية في بيروت * ومن جميع المكاتب السورية والمصرية »

✽ اقوال وآراء في الريحانيات ✽

الريحانيات من حسنات الاداب في هذا الزمان
اسماعيل باشا صبري

كتاب الريحانيات من الكتب الخمسة او الستة التي عرفتني بانجسائه الفكر
العربي الحديث في صيغتي الشعر والنثر

الانسة مي

فانج

سيرة جلاله

— بقلم مؤلف هذا الكتاب —

وهو يشتمل على نبذات ثلاث في :

نواحي نجد

محمد بن عبد الوهاب والوهابية

آل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء بن الرشيد على نجد

وسيرة جلاله

بمؤلفه

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

يقع هذا الكتاب النفيس في ٢٣٢ صفحة مزين بالخارطات والرسوم العديدة مطبوع على ورق صقيل وهو من الآثار النفيسة التي كان لصدورها الوقع الكبير في البلاد العربية لما حواء من التدقيق في البحث والتاريخ والآراء الصائبة في السياسة والادارة

﴿ تمه سبعة تسليطات ﴾

بطلب من يوسف صادر صاحب المطبعة العلمية في بيروت